رسائل الصفاء
- ٣ -

أبواب القرب
و
منازل التقريب

فوزى محمد أبوزيد
رئيس الجمعية العامة للدعوة الى الله
بجمهورية مصر العربية

دار الايمان والحياة
٧٤ شارع ١٠٥ حدائق المعادى
ت : ٣٥٠٩١٤٠



قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

لأهل الله أسرار خفية　　　وأحوال تُرى فيهم عليه

وأنوار ترى فيهم جهارا　　　يرون بها حقائقهم جليه

وعلم غامض يُعطى بفضل　　　لأنهموا تهنوا بالمعية

معية ربهم حال التجلى　　　بأفئدة من الدنيا خلية

صَفُوا لله من مَيْل وحظّ　　　فكان القرب منه لهم عطيه

حباهم بالشهود وقد صفاهم　　　وناولهم من الراح الشهية

صفت ألبابهم فسموا ونالوا　　　مقام القرب من رب البرية

رأوه بأعين مُلئت يقينا　　　عيون بصيرة صارت مضية

بلا كيف ولا كمٍّ ولكن　　　بأسرار تعالت معنوية

ولم يحجبهم كون ووهم　　　عن الأنوار فافهم يا أخيه

هم الأفراد ناولهم فغابوا　　　به عن زينة الدنيا الدنيه

قلوبهم بنور الله عمرت　　　فقاموا بالأوامر والوصيه

عبيد أخلصوا لله دينا　　　وقاموا صادقين بحسن نية

فلم تشغلهموا دينا وأخرى　　　عن الاخلاص للذات العلية

رأوا مولاهم أحدا تعالى　　　وأنفسهم به صارت غنية

عليه توكلوا وإليه فروا　　　فواجههم بأنوار سنية

ويكرمهم ويرفعهم مقاما　　　ويمنحهم به الرتب العلية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة

الحمد لله الولى الحميد، تولى عباده الصالحين، بمواهب لطفه وآنسهم بمشاهد قربه، فأفردوه عز وجل بالقصد، وخصّوه سبحانه وتعالى بخالص الودّ، فأتحفهم بعنايته، واصطفاهم لولايته، وأنزلهم منازل أهل محبته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد كوثر أهل الشهود، وحوض المعانى العالية، والأسرار الراقية لأهل محبة الودود، وآله وورّاثه الناهلين من هذا البحر المورود، والمخصوصين بهذا الفضل والجود، وكل من تبعهم بإحسان ووفّى لهم بصدق العهود، فلحقته بهم السعادة فى يوم الخلود.

وبعـــد،

إن الدعوة إلى الله عز وجل تتجدد فى كل زمان ومكان، لأنه ما من زمان، إلا وتتجدد فيه أحداث، لم تكن على عهد السلف، وتظهر فيه شئون تقتضيها سعة العمران، ولما كانت تلك الأحداث والشئون، لابد وأن يُنظر إليها بعين الشريعة، ليثبت حكمها، من حيث الحِلّ والحرمة، والندب والكراهة، والوجوب والمنع، وكان لابد لكل زمان من أفراد، يصطفيهم الله لنفسه، فيفقههم فى الدين، ويلهمهم الصواب فى القول والعمل، ويقيمهم مقام رسله صلوات الله وسلامه عليهم، فتنطوى النبوة فى صدورهم، إلا أنه لا يوحى إليهم.

ولذلك نظائر فى الأمور المحسوسة، فإننا لو عرضنا أمراض هذا العصر، على ابن سينا، وابن بختيشوع، وغيرهما من كبار الأطباء فى العصور الماضية، لجهلوا هذه الأمراض، ولما علموا لها دواء، فكما أن الله سبحانه يُحدث فى كل زمان، أطباءا للأجسام، لطفا بالخلق، ورحمة بهم، فهو سبحانه أرحم الراحمين بعباده، فيجدد لهم رجالا يستنبطون الحكم علي كل

أمر حدث، أو شأن تجدّد، وهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، سر قوله صلى الله عليه وسلم : «العلماء ورثة الأنبياء» (رواه ابن النجار عن أنس) ومعلوم أن الأنبياء لم يورثوا درهما، ولا دينارا، وانما ورثوا نورا وهدى، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم: «إن لله عز وجل ضنائن من عباده، يغذّيهم فى رحمته، ويحييهم فى عافيته، إذا توفّاهم، توفّاهم إلى جنته، أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم، وهم منها فى عافية»، وعن عياض بن غنم أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«إن من خيار أمتى – فيما نبأنى الملأ الأعلى، فى الدرجات العلى – قوما يضحكون جهرا، من سعة رحمة ربهم، ويبكون سرا، من خوف شدة عذاب ربهم عز وجل، يذكرون ربهم بالغداة والعشى، فى بيوته الطيبة، ويدعونه بألسنتهم رغبا ورهبا، ويسألونه بأيديهم خَفْضا ورفعا، ويشتاقون إليه بقلوبهم عودا وبدءا، مؤنتهم علي الناس خفيفة، وعلى أنفسهم ثقيلة، يدبّون فى الأرض حفاة على أقدامهم، دبيب النمل، بغير مرح ولا بذخ ولا مُثلة، يمشون بالسكينة، ويتقربون بالوسيلة، يلبسون الخلقان ، ويتبعون البرهان، ويتلون الفرقان، ويقربون القربان، عليهم من الله تعالى شهود حاضرة، وأعين حافظة، ونعم ظاهرة، يتوسمون العباد، ويتفكرون فى البلاد، أجسادهم فى الأرض، وأعينهم فى السماء، أقدامهم فى الأرض، وقلوبهم فى السماء، وأنفسهم فى الأرض، وأفئدتهم عند العرش، أرواحهم فى الدنيا، وعقولهم فى الآخرة، ليس لهم همّ إلا أمامهم، قبورهم فى الدنيا، ومقامهم عند ربهم عز وجل» ثم تلى هذه الآية **«ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد»**

هم قوم صفت قلوبهم ، فلم يحقد أحدهم على الآخر، لأن كل واحد منهم عون للآخر على مقصوده، قال الله تعالى **«وتعاونوا على البر والتقوى»** ([الآية

الثانية (المائدة)]، وكل واحد منهم مرآه لأخيه، يشهد فيها ما منّ الله به عليه من المنن فيشكر، أو ما ألم بنفسه من العيوب فيتطهر منها، أو من الأمراض فيتداوى منها.

فالأخ منهم يحن إلى أخيه أكثر من حنينه إلى الماء البارد فى اليوم الصائف، لأن لقاء أخيه: إما مزيد من المواهب، وإما تخلص من الأمراض والقطيعة والبعد، لم تقع أبصارهم إلا على محاسن اخوانهم، وفضائل أصحابهم، لاشتغال كل واحد منهم بعيوب نفسه عن عيوب أخيه، إذا أغضبتهم اجتهدوا فى أن يرضوا الله فيك، وسعوا فى أن يداووك من فساد أخلاقك، ويرغّبوك فى ربك، فهم يدرأون السيئة بالحسنة، وإن أرضيتهم اجتهدوا فى أن يرضوا الله فيك، فلا أذيتك لهم تخرجهم عن مراقبة ربهم ، ولا إرضائك لهم يلفتهم عن مواجهة مولاهم سبحانه، اجتمعت قلوبهم، وإن تفرقت أبدانهم، وتآلفت أرواحهم، لأنها يوم الميثاق تعارفت، قد بلغ بهم الحب فى الله، حتى منحهم الله من المواهب، ما غبطتهم عليه الملائكة والأنبياء.

يروى صاحب الحلية عن ذى النون قوله فى وصفهم:

«هم قوم ذكروا الله عز وجل بقلوبهم ، تعظيما لربهم عز وجل، لمعرفتهم بجلاله. فهم حجج الله تعالى على خلقه. ألبسهم النور الساطع من محبته، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته، وأقامهم مقام الأبطال لإرادته، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته، وطهر أبدانهم بمراقبته، وطيّبهم بطيب أهل مجاملته، وكساهم حُللا من نسج مودته، ووضع على رؤوسهم تيجان مسرّته، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب، فهى معلقة بمواصلته، فهمومهم إليه ثائرة، وأعينهم إليه بالغيب ناظرة، قد أقامهم على باب النظر من قربه، وأجلسهم على كراسى أطباء أهل معرفته.

ثم قال: إن أتاكم عليل من فقرى فداووه، أو مريض من فراقى فعالجوه،

أو خائف منى فأمنوه، أو آمن منى فحذروه، أو راغب فى مواصلتى فهنئوه، أو راحل نحوى فزوّدوه، أو جبان فى متاجرتى فشجعوه، أو آيس من فضلى فعدوه، أو راج لاحسانى فبشروه، أو حسن الظن بى فباسطوه، أو محب لى فواظبوه، أو معظم لقدرى فعظموه، أو مستوصفكم نحوى فارشدوه، أو مسئ بعد احسان فعاتبوه، ومن واصلكم فىّ فواصلوه، ومن غاب عنكم فافتقدوه، ومن ألزمكم جناية فاحتملوه، ومن قصّر فى واجب حقى فاتركوه، ومن أخطأ خطيئة فناصحوه، ومن مرض من أوليائى فعودوه، ومن حزن فبشّروه، وإن استجار بكم ملهوف فأجيروه.

يا أوليائى لكم عاتبت، وفىّ إياكم رغبت، ومنكم الوفاء طلبت، ولكم اصطفيت وانتخبت، ولكم استخدمت واختصصت، لأنى لا أحب استخدام الجبارين، ولا مواصلة المتكبرين، ولا مصافاة المخلّطين، ولا مجاوبة المخادعين، ولا قرب المعجبين، ولا مجالسة البطالين، ولا موالاة الشّرهين.

يا أوليائى، جزائى لكم أفضل الجزاء، وعطائى لكم أجزل العطاء، وبذلى لكم أفضل البذل، وفضلى عليكم أكثر الفضل، ومعاملتى لكم أوفى المعاملة، ومطالبتى لكم أشد المطالبة.

أنا مجتبى القلوب، وأنا علام الغيوب، وأنا مراقب الحركات، وأنا ملاحظ اللحظات، أنا المشرف على الخواطر ، أنا العالم بمجال الفكر، فكونوا دعاة إلىّ، لايفزعكم ذو سلطان سوائى، فمن عاداكم عاديته، ومن والاكم واليته، ومن آذاكم أهلكته، ومن أحسن إليكم جازيته، ومن هجركم قليته»

هذه الأخبار التى أوردناها فى مدح مقام الشيوخ فى التربية الروحية، والتنويه بقدرهم عند الله، ولا غرو فى ذلك فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مهمتهم فقال: «والذى نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم: إن أحب عباد الله ، إلى الله، الذين يحببون الله إلي عباده، ويحببون عباد الله

إلى الله، ويمشون فى الأرض بالنصيحة» وهذا الذي ذكر رسول الله صلي الله عليه وسلم، هو رتبة المشيخة، والدعوة إلي الله، لأن الشيخ يحبب الله إلى عباده حقيقة، ويحبب عباد الله إلى الله، ورتبة المشيخة والدعوة من أعلى الرتب فى طريق الصوفية، ونيابة النبوة فى الدعاء إلى الله.

فأما وجه كون الشيخ يحبب عباد الله إلى الله، لأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن صح اقتداؤه واتباعه أحبه الله، قال الله تعالى: **«قل إن كنتم تحبون الله، فاتبعوني يحببكم الله»** [الآية (٣١) آل عمران]

ووجه كونه يحبب الله تعالى إلى عباده، لأنه يسلك بالمريد طريق التزكية، وإذا تزكت النفس: انجلت مرآة القلب، وانعكس فيها نور العظمة الالهية، ولاح فيها جمال التوحيد، وذلك ميراث التزكية، قال الله تعالى **«قد أفلح من زكاها»** [الآية (٩) الشمس]، وفلاحها بالظفر بمعرفة الله، وأيضا مرآة القلب إذا انجلت لاحت فيها الدنيا بقبحها، وحقيقتها، وماهيتها، ولاحت الآخرة بنفاستها، بكنهها وغايتها، فينكشف للبصيرة حقيقة الدارين، وحاصل المنزلتين، فيحب العبد الباقي، ويزهد فى الفاني، فتظهر فائدة التزكية، وجدوى المشيخة والتربية، فالشيخ من جنود الله تعالى، يرشد به المريدين، ويهدى به الطالبين.

فعلى المشايخ وقار من الله، وبهم يتأدب المريد ظاهرا وباطنا، قال الله تعالى: **«أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده»** [الآية (٩٠) الأنعام] فالمشايخ لما اهتدوا، أهلّوا للاقتداء بهم، وجعلوا أئمة المتقين.

فإذا أتى الفقير إلى الشيخ ليأخذ بيده، يأمره بالتوبة ورد المظالم، وقضاء الدين بقدر الاستطاعة، ويحذره من الرجوع إلى ما كان عليه.

ثم يعلمه ما يلزمه فى دينه، من طهارة وصلاة، وما يتعلق بذلك إن كان

جاهلا، وما تيسر من علم التوحيد، ثم يأمره بلزوم الطاعة، من صلاة وصيام وذكر، وغير ذلك، ويشير على كل واحد بما يليق به، ثم يأمره بالصحبة، ولزوم مجالسة الشيخ، والاجتماع مع الاخوان، فطريق التربية، ليست طريق الانفراد، وإنما هى طريق الاجتماع والاستماع والاتباع، فمهما انفرد المريد عن الاخوان، لم يكن منه شئ.

ثم يذكره أولا بما يصلح جوارحه الظاهرة: التقوى والاستقامة، فإذا صلحت جوارحه الظاهرة، أمره بفراغ القلب، والاكثار من ذكر الله عز وجل، وفتح له شيئا من علم الحقائق.

ولا يزال به حتى تصفو ذاته، وتطهر من رعوناتها، بإزالة الظلام منها، وقطع علائق الباطل عن وجهتها، لتطيق حمل السر، فإذا تحقق للمريد الانقياد ظاهرا وباطنا لشيخه، وتحقق الشيخ من صدق محبة الفقير، ذكّره بأسرار شهدتها لطائف قلبه، وتجملت بها سريرته، فاجتمع عليه قوّتا السماع الظاهر، المذكر للجمال الباطن، والسّر الكامن، الذى هو حقيقة ما سمع، ورفع هذا الحجاب، لأن الحظوظ والأهواء الحاجبة، إنما تكتسب من الحواس الظاهرة، فإذا صغت الحواس إلى الذكرى، ووافقت الحقيقة، زال المانع، وظهرت أنوار الملكوت، فكان الملكوت كأنه عند الذكرى رؤيا، لما ينبلج فى القلب من الأنوار الكاشفة لحجاب الحظوظ عن القلوب، فيشرق عليه من تلك الذكرى أنوار تكشف له عوالم الملكوت، فيشهدها بعين قلبه، فيكدح بانشراح صدر فى نيل الفوز، موجها وجهه للذى فطر السموات والأرض حنيفا، لا يلتفت وراءه، ولا يمنه ولا يسرة، خوفا من ضياع نَفَس وطرفة وحركة بغير ربح، وقرب وتقرب، وعمل صالح نافع للجميع، فلا يلبث إلا وقد زكت نفسه، واتصلت بعالم الغيب، عالم الملكوت الأعلى، وظهرت له الآيات فى الأرض وفى السموات، ثم يشرق له نور بين يديه، وعن يمينه، فيرى أكمل

الآيات، وأجلى التجليات فى نفسه، ويشهد أنه الآية الكبرى، والمثل الأعلى، ويقوى اليقين بالتمكين بعد التلوين، فيحضر بعد الغيبة، ويقرب بعد البعد، ويسكن بعد الحركة **«ولله يسجد من فى السموات والأرض»** [الآية (١٥) الرعد]، لديها فالدنيا عنده آخره، لأنه ليس فى الدنيا، ولا من أهلها، وإن كان فيها بالجسم، فقلبه معلق بالملأ الأعلى.

فإذا بلغ هذا المقام، نال الفلاح، وتوالت عليه البشرى من الله تعالى، في الدنيا والآخرة، وكان مع الله، والله سبحانه معه وعنده.

هذه الأسرار الحقيقية، والأنوار القدسية، هبات إلهية، ومزايا ربانية، يختص الله بها من يشاء، ممن أهلهم لسابقة الحسنى، وفطرهم على الاحسان، حتى أنه سبحانه، حصّنهم بحصون العناية، عن الميل إلى مقتضى البشرية، ولو إلى ما لا بد منه لقوام الهيكل الانسانى، مما يلاحظهم به من مواجهتهم بأنوار جمالاته، فيكون الرجل لشدة حضوره الفطرى قبل الكشف، أقرب الناس إلى مكارم الأخلاق، وجميل الصفات، التى هى من شيم العبد الكامل، بدون وازع ولا باعث إلا أنوار الفطرة المودعة فى جبلته، المجبولة على الخير بسابقة الحسنى، وتراه ممزوجا من صغره بالرحمة والشفقة والحنانة بجميع الخلق، وخصوصا لأقاربه وذوى رحمة، مسالما للناس، يكره ما يؤذى الخلق، كما يكره أن يؤذيه الخلق، لا وجهة له فى ذلك إلا سجية وعاطفة إلهية. حتى إذا كُشف له عن عوالم أسرار الملكوت، وغيب مشاهد الجبروت، كان على أكمل خلق، وأتم وصف، لا يمنعه خُلق إبليسى، ولا وصف بهيمى، عن تمتعه بمظاهر الأسرار الربانية، فيكون كامل الرياضة، مستوفى المزايا، فيترقى إلى مكانات الأبدال، الذين بدّل الله سبحانه معالمهم بمعالمه، ومشاهدهم المقيدة بمشاهداته المقدسة، حتى تنجلى تلك الصفات الكاملة فى المرآة الكاملة، فتترقى إلى مقامات الأفراد، الذين

أفردهم الحق لذاته، بدون خطور أقل خاطر لسواه على قلوبهم، ولا شهود كائن ما غيره، ويترقى إلى مقامات وراثة الرسالة **«إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا»**[الآية (٢٩) الأنفال]

والمتمكن فى هذا المقام هو ميزاب الرحمة، وباب الهداية، ومفتاح الأسرار، وهو الذى يسميه الأبدال بالغوث الفرد، الذى يغيث الله سبحانه به عباده المؤمنين، ليبيّن لهم غيوب العلم المكنون، الذى هو العلم بالله تعالى، ويكشف لهم عن أسرار الآيات والأحاديث، ويومى لهم إلى أسرار الكون، وآياته الظاهرة، وما يشير إليه باطنه، وهذا الرجل هو الصّدّيق الأكبر، الممنوح الهداية والتوفيق **«وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»** [الآية (٨٨) هود] وهو الذى يقول فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: «إذا كان الغالب على عبدى الاشتغال بى جعلت همته ولذته فى ذكرى، فاذا جعلت همته ولذته فى ذكرى، عشقنى وعشقته، ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه، لا يسهو إذا سها الناس، أولئك كلامهم كلام الأنبياء، أولئك الأبطال حقا، أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا، ذكرتهم فيها، فصرفته بهم عنهم»

ولله در الأمام أبى العزائم رضى الله عنه إذ يقول فى شأنهم:

هم رجال فوق التراب ولكن	شاهدوا الوجه فى مقام الوصال
همة القوم فوق عالين تجلى	للرجال الأنوار فى كل حال
ما رآهم من قد رآهم ولكن	شاهد الجسم فى مبانى الظلال
من رآهم حقيقة نال وصلا	يعرف الله بالصفا لا المقال
يشهد الحق ظاهرا بالتجلى	يفنى حقا عن سافل الكون عال
فاطلبنهم بالروح والزم ثراهم	وافتح الكنز بالجمال العالى
واصحبنهم بالروح بل آثرنهم	بجميع المحبوب أهل ومال

سلمن للرجــال فى كل حـــال واترك العقل فـــى رضا الأبدال

ويقـول ايضـا رضى الله عنه فى أخـلاقـهـم التى يتـحلّون بهـا فـى ذواتهم وأنفسهم:

«الصبر مطيتهم، وجمال الأخلاق رائدهم، والحلم سفيرهم، والحياء وزيرهم، والخشية من الله قوامهم، ووجهه الكريم قبلتهم، وفضله ورضوانه مبتغاهم، سرورهم اقبال الخلق على الله، فهى تجارتهم التى يبذلون لأجلها النفس والنفيس، وهم كما وصف الله تعالى :**«وعباد الرحمن .... الى قوله : أولئك يجزون الغرفة بما صبروا، ويلقون فيها تحية وسلاما، خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما»** [الآيات (٦٣:٧٦) الفرقان]

وقد اشتاق إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصفهم باخوانه، فهم أبداله وخلفاؤه صلى الله عليه وسلم وخلفاء ربنا سبحانه وتعالى، قاموا مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام بالرحمة والعاطفة والرأفة، والحرص على المؤمنين، والزهد فيما سوى الحق، يحبّبون عباد الله، فى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويرغّبونهم فيما عنده سبحانه وتعالى، بين خوف لا يبلغ درجة اليأس، وطمع لا يؤدى إلى أمن من مكر الله.

أخلصوا لله سرائرهم، فجّمل الله ظواهرهم وبواطنهم، وأخلصوا له المعاملة، فأكرمهم سبحانه بالمواجهة والمنازلة، نظروا الدنيا بعين شهدت الحق فاحتقروها، وسكنوا فيها بأبدان قلوبها فى الملأ الأعلى فاستوحشوها، وأقاموا فيها بآمال غايتها الأنس بالله فهجروها، فهم فى الدنيا وليسوا فيها، ظهر الحق لهم جليا، فاتخذوا الله وليا، وعلموا مرتبتهم فتولوا خالقهم، علّموا الناس بأعمالهم قبل أقوالهم، وبأحوالهم قبل أعمالهم، فالرجل منهم واحد فى الخلق، وهو أمة عند الله تعالى.

هذه هى صفات الدعاة إلى الله تعالى وأحوالهم، فمن ظفر بواحد منهم، فلقد وصل إلى الله تعالى ، وعرفه سبحانه»

وقد تحدثنا فى هذا الكتاب عن الدعاة إلى الله عز وجل ويطلق عليهم (المرشدون) أو الشيوخ) – فبيّنا أوصافهم، ووضّحنا منهاجهم، وذكرنا الآداب التى يجب أن يتحلوا بها فى أنفسهم، والآداب التى تنبغى للمريدين معهم، وكشفنا أحوال الأدعياء، حتى لا ينخدع بهم الصادقون من المريدين، وذلك على هدى من كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحوال السلف الصالح.

وهدفنا من وراء ذلك، بيان الحق وأهله، واظهار الصادقين من الأدعياء والمبطلين، ومجابهة المغرضين الذين ينكرون الحق – مع شدة ظهوره – وقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تزال طائفة من أمتى قائمة بالحق، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك»

«ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب»

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الخميس ٢٧ من جمادى الأولى ١٤١٧هـ
الموافق ١٠ من اكتوبر ١٩٩٦م

فوزي محمد أبو زيد
مدير عام بالتربية والتعليم بطنطا
ورئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله
بجمهورية مصر العربية
: الجميزة - محافظة الغربية.
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
: الموقع على شبكة الإنترنت
WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكتروني E-mail :
fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com

الفصل الأول

الشيخ المربي

- أوصافه وعلاماته
- أخلاقه
- علومه ومعارفه
- الشيخ الكامل
- الحاجة إلى الشيخ
- أوصاف الأدعياء
- نصيحة صادقة



أوصافـــه وعلامـــاتـــه

هو الرجل العالم العامل، الذى وهبه الله عز وجل النور الكاشف للظلمات والشبهات، ومنحه الفقه فى دين الله، وتأويل المتشابهات، وفك رموز الخفيات من آيات القرآن، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الفرد الذى تتنزل عليه الفيوضات والالهامات، من العلوم الوهبية اللدنية، زيادة على ما حصّله من العلوم الكسبية والاجتهادية.

وهو العبد الذى آتاه الله رحمة فى قلبه بعباد الله، حتى قام يبذل كل ما لديه، لاخراج الناس من الظلمات إلى النور، ويبين لهم معالم الدين الحنيف، ويجدد آثار السنة المطهرة، ويعيد إلى الأذهان، ما خفى من هدى الأئمة، وما اندرس من آداب وأحوال وسلوك السلف الصالح رضى الله عنهم.

وللمرشد صفات كثيرة يُتعرف بها عليه، أشار إليها الله عز وجل فى قوله : **«فوجد عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما»** [الآية (٦٥) الكهف].

فقد كشف الله عز وجل عن بعض صفات هذا الرجل بهذه الآية الكريمة، وهى تقص علينا من أخبار سيدنا موسى وفتاه عليهما السلام، وهما يبحثان عن العبد الذى يطلبه سيدنا موسى ليتعلم منه مالم يكن يعلم، وقد كان سيدنا الخضر مثلا لهذا الرجل الذى يجدد الله به معالم الدين، وسنة سيد المرسلين فى كل عصر من الأعصار، حتى تقوم الساعة.

وقد غصّت كتب السادة الصوفية بالشرح والتفصيل لمقام الشيخ المربى، أو المرشد الربانى بما لا يسع ذكر كل ما قيل فى هذا الشأن هنا، ولذا فنكتفى بذكر أبرز الصفات التى يتحلى بها، والتى ذكرناها فى كتابنا

(الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة) ص١٥٧ وما بعدها وهى كما يلى:

١- هو رجل يبين للناس كلام الله عز وجل، وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم، بما يناسب عقولهم، مع الرحمة بهم، وذلك بالحكمة الرشيدة، والبصيرة النافذة، سر قوله سبحانه: **«قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى»** [الآية (١٠٨) يوسف]

٢- هو رجل بلغ فى كمال اتباعه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما لا يقدر معه أن يلتفت عن رسول الله طرفة عين ولا أقل، ولا أن يخالفه فى أى شئ مهما كان صغيرا.

٣- هو عبد من عباد الله المخصوصين لذاته، والمفردين لحضرته جل شأنه، وقد آتاه الله رحمة من عنده تسع الناس فى عصره، فهو يعطى كل واحد منهم نصيبه من هذه الرحمة التى وهبها الله له.

٤- هو رجل علمه الله علما من لدنه سبحانه وتعالى، وهذا العلم ينفع الله به الناس فى زمانه، لأنه علم قريب العهد بالله، قد أكرم به من حضرة اللدنية الالهية مباشرة بدون واسطة، وهى حضرة القرب الأقرب من الله عز وجل، وهذا العلم تقوم به الحجة على المعاندين والمجادلين، وتتضح به الطريقة والمحجة للمؤمنين والمسترشدين.

٥- هو رجل ورث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علوم الشريعة، وعلوم الطريقة، وعلوم الحقيقة.

٦- هو رجل جعله الله خبيرا بمعانى تجليات الحق تبارك وتعالى، وعليما بأسراره وغيوبه القدسية، وجعله الله حفيظا على هذه الأسرار والغيوب، فلا يبيح منها شيئا إلا لأهلها بقدر طاقتهم، وحسب حاجتهم، قال الله

تعالى: **«الرحمن فاسأل به خبيرا»** [الآية (٥٩) الفرقان].

٧- هو رجل قلبه مع الله ورسوله دائما أبدا، وإن كان جسمه مشغولا بالأعمال الكونية، أو بهداية الناس إلى الله، فهو مع الحق بسره، ومع الخلق بجسمه.

٨- وهو رجل قائم لله بالحق، لا يتزحزح عنه قدر أنملة، وإن خالفه الناس أجمعون، ولو اجتمعوا على أن يغيروا من موقفه، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

٩- هو رجل أذل نفسه للمؤمنين والمؤمنات، وأعزها على أهل الكفر أجمعين، فلم يقدروا على إذلاله وإهانته.

١٠- هو رجل يرجع الناس إلى أمره جميعا، عند اختلافهم حول محدثات الأمور، من المشاكل التى لم يجدوا لها حلاّ فى كتاب الله، ولا فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا فى أقوال الأئمة المجتهدين، لأنه أعلم أهل زمانه بدين الله، سر قول الله تعالى: **«ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم»** [الآية (٨٣) النساء] لأن الله أقامه مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألهمه الحكمة والصواب، وفصل الخطاب.

١١- وهو رجل فات المقامات، وتخطى المنازل بالنسبة للناس جميعا فى عصره، فلم يفته سابق منهم، ولم يدركه لاحق منهم، والله أعلى مقامه فوقهم جميعا، وأخفاه عنهم، فإنهم يرونه مثلهم، ولكنه عند الله عظيم.

١٢- وهو رجل واحد فى الأمة، وله أبدال كثيرون، يبلغون الناس ما علمه الله له، وما ألهمه به من الفقه فى كتاب الله، وفى سنة رسوله صلى الله

عليه وسلم، مما يحتاجه أهل عصره فى حل مشاكلهم، وتزكية نفوسهم، قال الامام على رضى الله عنه: «اللهم لا تُخل الأرض من قائم لك بحجة، إما ظاهرا مشهورا، وإما باطنا مستورا، لئلا تبطل حجج الله وبيناته» وقال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث على رأس كل مائة عام لهذه الأمة من يجدد لها دينها» (رواه أبو داود عن أبى هريرة)

وعن هذا الرجل يقول العارف بالله تعالى الشيخ محمد على سلامه فى كتابه (قطرات من بحار المعرفة) ص ١٣٢:

«هذا الرجل هو بغية كل مؤمن، ومقصد كل محسن، وأمل كل فرد من أهل الصفاء والاخلاص، وإن الكل يبحث عنه، ويسعى فى طلبه، اقتداء بسيدنا موسى عليه السلام، وعملا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه الشريف الذى يقول فيه: «اطلبوا العلم ولو بالصين» (رواه ابن عدى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس).

والعلم الذى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلبه، إنما يكون عند العالم العامل، وعند الفرد الكامل، وهو علم الايمان، وعلم تزكية النفوس، وعلم الوصول إلى الله عز وجل.

وقال صلى الله عليه وسلم ايضا: «استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا» (رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة)، والعاقل هو الذى يعقل عن الله عز وجل آياته، ويعقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاياه وإرشاداته»

وقد قال فى شأنه أيضا الامام أبو العزائم رضى الله عنه:

والعارف الفرد محبوب لخالقه	فات المقامات تحقيقا وتمكينا
فى كل نفس له نور يواجهه	من حضرة الحق ترويحا وتعيينا
معناه غيب ومبناه مشاهدة	والفرد معنى وليس الفرد تكوينا
يمشى على الأرض فى ذلّ ومسكنة	هام الملائك شوقا منه وحنينا
لا يعرف الفرد إلا ذو مواجهة	صافى فصوفى فأحيا النهج والدين

أخلاقه

أما الأخلاق التى يجب أن يكون عليها الداعى إلى الله عز وجل أو المرشد الربانى فهى أخلاق الله عز وجل، وأخلاق رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم، ولما كان هذا الباب بحر لا ساحل له، فنكتفى بالاشارة إلى ما يمكن ملاحظته على ظاهر المرشد منها، فمن ذلك ما ذكره الامام أبو العزائم فى (مذكرة المرشدين) ص ١٠٢ :

١- «أن يكون حكيما، رحيما، حريصا علي النفوس، معتقدا عند الناس، مشهورا باتباع السنة والكتاب والعمل بهما، متباعدا عما ينفر القلوب، من كل الأعمال والأحوال والأخلاق، وأن يكون متمكنا من أصول التوحيد، طبيبا حاذقا بأمراض النفوس ودوائها، خبيرا بمدرارة الناس، فاهما منزلة كل انسان، له معرفة بسيما الناس التى تدل على خفى طباعهم وغرائزهم، ومكنون أخلاقهم».

٢- أن يألف الناس، ويتحمل أذاهم، حتى يألفوه ويرغبهم فى الأخلاق الكريمة.

٣- أن يجاهد نفسه ليعمل أولا بعلمه، ثم يدعو الناس إلى ذلك.

٤- ألاّ يفرق بين الناس بسبب الفقر أو الغنى أو الجاه أو النسب، فى الاقبال عليهم والبشاشة لهم.

٥- لا يستحى إذا كان لا يعلم أن يقول لا أعلم، كما لا يستحى أن يطلب العلم ممن فوقه، دون التعصب لشيخه.

٦- بذل ما فى اليد للناس، تأليفا لهم، وعدم التطلع إلى ما فى أيديهم.

٧- ترك الجدال مرة واحدة، إلا ماكان لبيان حكم من الأحكام الشرعية، مختلف فيه، ويكون بالتى هى أحسن.

٨- الصبر على جفوة من يدعوهم، والاحسان إلى المسئ، وصلة القاطع، وتأليف النافر.

٩- التباعد بالكلية عن تنفير الخلق، وعن نية السوء، أو قصد الشر، أو العزم عليه، أو التكلم بما لا يليق، من قبيح الكلام، فى غيبة الناس أو فى مواجهتهم، والتباعد كذلك عن سماع الشر فى حق الناس.

١٠- المسارعة إلى فعل الواجبات، والفضائل والمكرمات، ومنافستهم فى ذلك، حتى يقلدوا الداعى.

١١- الشفقة عليهم، والاجتهاد فى دفع المصائب عنهم، وتخفيف آلامهم، ومشاركتهم فى مهماتهم مشاركة عملية بالمال والنفس.

١٢- الاجتهاد فى تنبيههم لترك المعاصى التى يقع فيها بعضهم، وعمل الفضائل التى تركها بعضهم، بطريق محفوظ من أن يتوهم أحدهم، أنه مقصود بالذات، خشية من التنفير، بل يكون بتنبيه عام، يبين فيه قبح المعصية، وسوء عاقبتها، وحسن الفضيلة، وجميل مآلها.

١٣- الغضب لله، والرضا لله، والحب فى الله، والبغض فى الله.

١٤- دعوة الخلق كل على قدر عقله.

١٥- مداراة الناس، والتباعد عن سماع الشر فى حق الناس، وذكر محاسنهم، وستر عيوبهم فى غيبتهم.

١٦- أن يتحصن بالحصون الشرعية عند دواعيها، وفى ذلك أمور كثيرة، فصلها الامام أبو العزائم رضى الله عنه فى وصيته الجامعة لاخوانه فى كتابه (مذكرة المرشدين) ص٣٤ حيث يقول:

«الواجب علينا أن نتباعد عما يريبنا، أو يوقعنا فى الريبة عند الناس، بأن نتحصن بالحصون الشرعية، فلا نتكلم أمام الناس بخصوصياتنا، ولا بخصوصيات المرشد، ولا نفضل طريقتنا، أو أستاذنا على الطرق الأخرى، وعلى الرجال، لأن ذلك يوقع المسلمين فى فتنة وشغل فى غير الحق، وأن نحافظ على اخواننا المسلمين من الوقوع في غيبتنا، وظن السوء بنا، بترك الأعمال التى لو عملناها لا تضرنا، ولكنها تلفت المسلمين إلى ذمّنا مثل:

أن نترك الصلاة فى المساجد بالتلذذ بها فى الخلوة، ومثل أن نترك الكلام مع الناس اشتغالا بالأنس بالله، ومثل أن نترك العمل فى الدنيا توكّلا على الله، ومثل الخلوة بالأجنبيات تحصنا بمراقبة الله تعالى، واعتقاد أنه لن يضره، ولن يضرها ذلك، لعلمه بنفسه، ومعرفته بالكبائر المحرمة شرعا، فإن ذلك موجب لوقوع الناس فى الشر، وفساد اعتقادهم فى الطريق وأهله، ومثل ترك الملابس، أو تكلف لبس المرقعات، مما يجعل الناس يقعون فيه، فان ذلك مخالف لطريقتنا ومبدأنا، لأننا نحب اقبال الخلق على الله، ودعوتهم جميعا إلى الحق، ومن كان هذا طريقه وحاله، فالواجب عليه أن يؤلّف الخلق أجمعين، لا فرق بين المسلم وغيره، من المجوسى واليهودى والنصرانى، وإن تأليفهم يكون بالمحافظة على وصايا القرآن الشريف، وكمال الاقتداء لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فى السر والعلن، وبأن يخفى مواجيده

وأحواله وأسراره عن العامة حتى يكون مع الخاصة»

ولله در ابن عجيبة رضى الله عنه إذ يقول:

إذا لم يكن فى الشيخ خمس فوائد ... وإلا فدجّال يقود إلى الجهل

بصير بأحكام الشريعة عارف ... ويبحث فى علم الحقيقة عن أصل

يبادر للورّاد بالبشر والقرى ... ويخضع للمسكين فى القول والفعل

فهذا هو الشيخ المعظم قدره ... جدير بتمييز الحرام من الحل

وقال أيضا رضى الله عنه: «لابد للشيخ، أن يكون له علم صحيح، وذوق صريح، وهمة عالية، وحالة مرضية».

فهذه الأخلاق ، هى التى يجب أن يكون عليها، المتصف بصفات الداعى إلى الله، أو النائب عنه، لأنها من أخص صفات رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخادم إذا ناب عن سيده يلزمه أن لا يخالفه، فإن خالفه هلك وأهلك.

فمن أقامه الله بدلا عن الصديقين والشهداء، ونائبا عن العلماء الربانيين، وغلبته نفسه فغضب، أو شتم آخر أو سبّه، أو كرهه بقلبه، أو ظن فى أخيه سوءا ، أو قطع أخا له لغرض من أغراض الدنيا ، أو لعلّة من علل الحظوظ، أو تهاون بواجب، أو ترك المنافسة فى عمل الخيرات، ونافس فى عمل الشرور، فكأنه يريد أن لايقبل فضل الله ونعمته، لأن هذا الفضل العظيم يُمنح بالفضل من الله تعالى، ويدوم ذلك الفضل بمراعاة تلك المعانى، ونعوذ بالله من حال عبد يتفضل الله عليه، فيأبى فضل الله، وينعم الله عليه فيرد نعمة الله.

علومه ومعارفه

لابد للشيخ أن يكون عارفا بالعلوم التى يحتاج إليها، ويذوق أسرار الأحوال والمقامات، وذلك بأن يكون حَلّ فى منازل السائرين، وهى مقامات اليقين، بحيث يتم له سلوكها ومعرفتها: ذوقا وحالا ومقاما، كتصحيح التوبة بشروطها، وأركانها، وتحقيق الورع والزهد، والخوف والرجاء، والتوكل والصبر، والرضى والتسليم، والمحبة، والمراقبة، والمشاهدة.

وأن يكون قطع مهامه النفوس، وجال فى ميدان محاربتها، فى قطع شهواتها، وعوائدها، وما تجنح إليه من رعونتها ومألوفاتها، وقطع أيضا مفاوز البعد الذي بينها وبين خالقها، الناشئ عن وهمها وجهلها، وذلك بقطع ركونها إلى الكرامات، وخوارق العادات، أو طلب الخصوصية، أو غير ذلك من القواطع القاطعة عن مقام الاخلاص، واللحوق بخواص الخواص، ويكون أيضا اختبر وعرف كل ما يحبس عن السير، من الوقوف مع المقامات، والقناعة بظهور الكرامات.

وفى الحكم لابن عطاء الله رضى الله عنه: «ما أرادت همة عارف أن تقف مع ما كُشف لها، إلا ونادته هواتف الحقيقة: الذى تطلب أمامك، ولا تبرّجت ظواهر المكونات، إلا ونادته حقائقها: إنما نحن فتنة، فلا تكفر»

وعرف أيضا، ما يحجز ويمنع من الوصول إلى صريح العرفان، على وفق المشاهدة والعيان، وهو أمران:

إما الملل من المجاهدة والسير، والركون إلى الراحة والكسل، وإما الاستغناء عن الشيخ، والخروج عنه قبل الترشيد؛ فإن ذلك يحجز بينه وبين التحقيق، ويخرجه عن سواء الطريق، ويرجع إلى مقام العموم.

وحصل له الفرق بين الروحانية والبشرية، والسلوك والجذب، والفناء

والبقاء، وأحكم أحكام التخلية والتحلية، وكل شرب من مشارب القوم وأذواقها، كان فيه ناهلا وشاربا. فإذا حصّل هذه المراتب، وذاق هذه الأذواق: استحق أن يكون شيخا مربيا.

قال صاحب العوارف «ومن شرائط أهل الولاية، أن يكون عالما بالأوامر الشرعية، عاملا بها، واقفا على آداب الطريقة، وسالكا فيها، وكاملا فى عرفان الحقيقة، وواصلا إليها، ومخلصا لجميع ذلك، حتى يتم له السلوك، ويشرف بعالم الوصال، فالله الله أيها الطالب، الحذر من صحبة الأشرار، فإنهم قطاع الطريق، واعتصموا بحبل القرآن، والأحاديث النبوية»

وقال أبو الحسن الششترى رضى الله عنه: «لا يُقتدى فى طريقنا هذه بظاهر، ولا بباطن، وإنما يُقتدى بمن جمع بينهما مع الزهد الظاهر، والايثار، والورع، والعلم بالمنازلات والأحوال، والمقامات والخواطر» وقال الجنيد رضى الله عنه: «من لا يكتب الحديث، ويحفظ القرآن، لا يُقتدى به فى هذا الأمر، فيجب على المريد ألا يقتدى إلا بالعالم المتجرد عن الدنيا، العامل بما يعلم» ثم قال: «ولا يتخيل لطالب هذا الأمر أنه يبلغه بذكائه، أو ينظر فى كتب الصوفية، أو الحكماء، ويعمل ويجتهد ويصلى، لا والله ما الأمر هين» وهكذا نجد أن أهم شروط الشيخ، أن يكون حصّل علم الظاهر، وعلم الباطن.

أما العلم الظاهر، فالمطلوب منه تحصيل ما يحتاج إليه فى نفسه فقط، ويحتاج إليه المريد فى حال سيره، وهو القدر الذى لابد منه من أحكام: الطهارة، والصلاة ونحو ذلك.

إذ كثير من العلوم الظاهرة، لا مدخل لها فى السير والسلوك إلى ملك الملوك، كالدماء، والحدود، والطلاق، والعتاق.

وأما العلم الباطن، فالمطلوب فيه التبحر التام، إذ المقصود بالذات فى

الشيخ المصطلح عليه عند القوم هو هذا العلم، لأن المريد إنما يطلب الشيخ ليربيه ويعلمه علم الطريقة والحقيقة، فيكون عنده علم تام بالله، وصفاته، وأسمائه، ومتعلقاتها، وأحكامها، وتفاصيلها، وفوائدها، وحكمها، وأسرارها، وعلم تام بآفات الطريق، ومكايد النفس والشيطان، وطرق المواجيد، وتحقيق المقامات، وقد حصل له ذلك على سبيل الذوق والوجدان، بحيث إذا استخبر عن آفات الطريق وعلاماته، وعن حقيقة المقصد، يخبر بحقيقة الأمر على ما هو عليه، وحصلت له مع ذلك قوة وتمكن من رفع الموانع، وقطع العلائق الظاهرة والباطنة، وبصيرة نافذة ينظر بها فى قابلية المريدين والمسترشدين، واستعداداتهم، ليحمل كل أحد على شاكلة قابليته، ويعين له طريقا قريبا يفضى منها إلى ربه.

قال الساحلى: «من الشروط التى لابد منها فى الشيخ، أن يكون عنده من الكتاب والسنة، ما يقيم به مالابد منه فى الرسوم الشرعية، وما يبنى عليه وظائف سلوكه، وإذا انضاف ما يفتح الله به عليه من الحكمة فى باطنه، فإنه يكون له فى ذلك نور يمشى به فى الناس، ويهديه إلى فهم خطابات الكتاب والسنة»

وكذلك لابد للشيخ، أن يكون ماهرا بأحوال القلوب، عارفا بعللها، عالما بعلاجها، يعلم ما كان منها ليس فيه إلا قصد واحد، وهمّ واحد، ومحبة واحدة، وهو الذى أشار إليه الجنيد رضى الله عنه، حين قالوا له: كيف يصل العبد إلى التحقيق؟

فقال: بقلب مفرد، فيه توحيد مجرد.

وهذا القلب، سهل العلاج، قريب الصحة، فهو حين سلم من تشعيب الهموم، ولم يبق له إلا هم واحد، لم يبق فيه إلا مرض واحد، وهو حجاب الوهم، فعلاجه فى ترقيته، ورفع حجابه، بخلاف القلب الذى تشعبت فيه

الهموم، فهو أصعب فى العلاج، لتركيب أمراضه، وتراكم علاجه.

قال بعضهم: «القلب كالمعدة، والمعدة بيت الداء، فإذا كثرت عليها الأخلاط مرضت وفسدت؛ وعلاجها الحمية من الأخلاط، وكذلك القلب إذا كثرت عليه الهموم والخواطر، فسدت فكرته، وانطمست مرآة بصيرته، وإذا قلّت منه الهموم والخواطر، سلمت فكرته، وانصقلت مرآته»

وقد قال صلى الله عليه وسلم: **«من جعل الهموم هما واحدا: هم المعاد: كفاه الله سائر همومه، ومن تشعبت به الهموم من أحوال الدنيا، لم يبال الله فى أى أوديتها هلك»** (رواه ابن ماجة عن ابن مسعود رضى الله عنه)

وقد أشار الى ذلك ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه فقال: «لا يُخرج الشهوة من القلب إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق؛ فمداواة الأمراض الظاهرة، التزام التوبة، والتقوى، والاستقامة؛ فإن صعبت عليه فيلزم صحبة الشيخ، ومداومة الجلوس بين يديه، أو تكرار المجئ اليه، فإنّ نظر الشيخ ترياق، فان صحبه ولم يشف من مرضه، فليعلم أن صدقه ضعيف، أو شيخه ضعيف، فإن الشيخ إذا كان له نور يمشي به فى الناس جامعا بين جذب وسلوك، لا يمكن أن يصحبه العليل بالصدق، ولم يشف من ساعته»

فلابد للشيخ أن يكون قد أحكم علم تشريح القلوب، واطلع على أسباب فسادها، وصلاحها، وصحتها، وسقمها، عارفا بعلاج أمراضها وعللها؛ علم ذلك ببصيرة نافذة، ومكاشفة غيبية.

قد عالج نفسه وطهّرها، وطهر قلبه من صدأ الحس، وصفّي مرآته من صور الأكوان، فإذا فعل ذلك، فإن قلبه يصير كالزجاجة الصافية، فينطبع فيه بواطن المريدين، فيعالجهم بما يتجلى فيه من أمورهم، بإذن الله.

فيقع الشفاء بمجرد المواجهة والمقابلة. ولذلك يقول الشيخ محى الدين بن

عربى رضى الله عنه:

«الشيخ إذا لم يكن صاحب ذوق، وأخذ الطريق من الكتب، لا من أفواه الرجال، وقصد يربى المريدين طالبا للرياسة، فإنه يهلك من تبعه، لأنه لايعرف مورد الطالب ولا مصدره، فلابد أن يكون عند الشيخ: دين الأنبياء، وتدبير الأطباء، وسياسة الملوك، وحينئذ يقال له: أستاذ»

الشيـــــخ الكامــــــل

وما ذكرناه هو بعض علوم الشيخ الكامل الذى يقول فيه سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: «كل شيخ لم تصل إليك الفوائد منه من وراء حجاب، فليس بشيخ»

ويخبر عن حاله فيقول : «والله إنى لأوصّل الرجل إلى الله من نفس واحد»

ويخبر عن هذا الحال ايضا سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه فيقول: «والله ما بينى وبين الرجل إلا أن أنظر إليه، وقد أغنيته»

وفيهم يقول السهروردى رضى الله عنه فى العوارف: «إن نظرة العلماء الراسخين، والرجال البالغين، ترياق نافع، ينظر أحدهم إلى الرجل الصادق، فيستنشق بنفوذ بصيرته، حسن استعداد الصادق، واستئهاله مواهب الله تعالى الخاصة، فيقع فى قلبه محبة الصادق المريد، وينظر إليه نظرة محبة عن بصيرة، وهُمْ من جنود الله تعالى، فيُكسبون بنظرهم أحوالا سنية، ويهبون آثارا مرضية.

وماذا ينكر المنكر من قدرة الله سبحانه وتعالى، وكما جعل فى بعض الأفاعى من الخاصية، إذا نظر إلى الإنسان يهلكه بنظره، هو قادر بأن

يجعل فى بعض خواص عباده أنه إذا نظر إلى طالب صادق يكسب حالا وحياة»

ويقول الامام أبو العزائم رضى الله عنه:

من نظرة يرتقى المطلوب مرتفعا ⁂ قدس الجلالة فى حال المناجاة

وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن: «إنما يكون الاقتداء بولى، دلك الله عليه، وأطلعك على ما أودعه من الخصوصية لديه، فطوى عنك شهود بشريته، فى وجود خصوصيته، فألقيت إليه القياد، فسلك بك سبيل الرشاد، يعرفك برعونات نفسك، وكمائنها، ودفائنها، ويدلك على الجمع على الله، والفرار مما سوى الله، ويسايرك فى طريقك حتى تصل إلى الله: يوقفك على إساءة نفسك، ويعرفك بإحسان الله إليك، فيفيدك معرفة إساءة نفسك: الهرب منها، وعدم الركون إليها، ويفيدك العلم بإحسان الله إليك الاقبال عليه، والقيام بالشكر إليه، والدوام على ممر الساعات بين يديه»

وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه: «الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم، وسرك بالتعظيم»

«الشيخ مَنْ هذّبك بأخلاقه، وأدّبك باطراقه، وأنار باطنك باشراقه»

«الشيخ من جمعك فى حضوره، وحفظك فى مغيبه»

وقال ابن عطاء الله فى (لطائف المنن): «ليس شيخك من واجهتك عبارته ، إنما شيخك الذى سرت فيك إشارته، وليس شيخك من دعاك إلى الباب، إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب.

وليس شيخك من واجهك مقاله، إنما شيخك من نهض بك حاله.

شيخك هو الذى أخرجك من سجن الهوى، ودخل بك على المولى.

شيخك هو الذى مازال يجلو مرآة قلبك، حتى تجلت فيه أنوار ربك، نهض بك إلى الله، فنهضت إليه، وسار بك حتى وصلت إليه، ولازال محاذيا لك حتى ألقاك بين يديه، فزج بك فى نور الحضرة، وقال: ها أنت وربك.

هنالك محل الولاية من الله، ومواطن الإمداد من الله، وبساط التلقى من الله»

هذا الشيخ الكامل يتفضل الله عز وجل عليه بأحوال النبوة، وعلوم الرسالة، فيجمله بالعطاء الذى تفضل به على نبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله عز وجل: **«كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون»** [الآية (١٥١) البقرة] . فقد دلت هذه الأية على العلوم التى بُعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره الله بتبليغها، وننقل هنا ما كتبناه فى توضيحها فى كتابنا «الامام أبو العزائم المجدد الصوفى» ص ١٥١:

«١- علم الآيـــات:

ويقصد به العلامات الدالة على قدرة الله عز وجل فى الأكوان، وفى الانسان، وهى المشار إليها بقول الله عز وجل **«سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم، حتى يتبين لهم أنه الحق»** [الآية (٥٣) فصلت] وفى ذلك يقول سيدنا عبدالله بن مسعود رضى الله عنه: «تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما فى السماء طائر يطير بجناحيه، إلا ذكر لنا عنه علما».

«٢- علم تزكية النفوس:

وهو العلم الذى به تصفو النفس، من شوائب الرياء، وعلائق الحق، وأدران الحسد، وبواعث الحظ والهوى، حتى تنال مقام الاخلاص، ولا تُحقق العبادة الغاية منها، إلا بعد تزكية النفس وتصفيتها، لقول الله عز وجل **«قد**

أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى» [الآيتان (١٤، ١٥) الأعلى].

وهذا هو الطور الهام الذى جاهد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأصحاب حتى فطرت نفوسهم على الصفاء والوفاء،وذلك لمدة اثنى عشر سنة، حتى تأهلت النفوس، لعبادة حضرة القدوس، فبدأ نزول العبادات بالصلاة فى العام الثانى عشر من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم توالت بعد ذلك بقية العبادات.

٣- علـــم الكـــتاب:

وهو علم الأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات والأخلاق، والأسر والمجتمعات، والسلم والحرب، وهو مايسمى الآن بعلم الفقه.

٤- علـــم الحكـــمة:

وهو العلم الذى يلهمه الله عز وجل للانسان، فيكون حكيما فى تصرفاته، بليغا فى أحواله وهيئاته، مُسدّدا فى أقواله وتحركاته، حتى يكاد الناس - غير الحاسدين والحاقدين - لايرون فيه عيبا فى أحواله وأفعاله، وهذا نتيجة التوفيق، ولأنه عزيز لم يُذكر فى القرآن كله إلا مرة واحدة، وعلى لسان نبى من أنبياء الله عز وجل فى قوله تعالى: **«وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»** [الآية (٨٨) هود]

وقد أخبر الله عز وجل أن صاحب الحكمة قد أعطاه الله البر والفضل الكبير فى قوله عز وجل: **«يؤتى الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة، فقد أوتى خيرا كثيرا»** [الآية (٢٦٩) البقرة]

٥- العلـــم اللـــدنى (الوهبى):

وهو ما ينتج عن الاخلاص فى تنفيذ الأعمال، والصدق فى المتابعة

لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يفاض على صاحب هذا القلب، علوم وهبية، وأسرار روحانية، لم ولن تسجل فى كتاب، وهى من باب قول الله عز وجل **«وأتقوا الله ويعلمكم الله»**[الآية (٢٨٢) البقرة] أو من كنز فضل الله عز وجل المرموز إليه بقوله سبحانه : **«وعلمناه من لدنا علما»**[الآية (٦٥) الكهف] أو فتح وفيض من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«ومن عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم»** (رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس)

وهذا العلم هو الذى يقول فيه سيدى أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه لعلماء الظاهر: «أخذتم علمكم ميتا عن ميت، ونأخذ علمنا عن الحى الذى لايموت، فنأخذه فى أى وقت شئنا». وهو ما أشار إليه الامام ابو العزائم رضى الله عنه فى قوله:

هو العلم لا يجلى بغير الحقائق ... وعلم بكشف فيه قرب لخالق

وما العلم إلا ما يعلمه العلى ... وأى «يعلمكم» دليل لصادق

وفى أول الرحمن نور لمهتد ... بها علم القرآن جذب الموفق

وما العلم والأعمال من غير خشية ... سوى ألة صماء سؤل المنافق

وهذا العلم حقائق صادقة، تجيش فى صدور العارفين، فينقلونها بأفواههم إلى خاصة المحبين كما يقول الامام على رضى الله عنه: «يحفظونه فى صدورهم، حتى يودعوه فى قلوب أشباههم وأمثالهم» ولما كان العلماء ورثة الأنبياء، وأكمل الناس وراثة، هم أئمة أهل الطريق، لأنهم الذين يقومون بتربية مريديهم ، وتهذيب سلوكهم، وتجميل أخلاقهم، كان لابد لمن يقوم هذا المقام، أن يكون متجملا بعلوم الرسالة التى وضحناها، حتى يكون صورة أكملية، يضئ للسالكين، ويهذب المريدين، وينير للواصلين، ويجمل المتمكنين، وهذا هو الامام الذى يقول الله عز وجل فيه: **«ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا»** [الآية (١٧) الكهف]. ومن نقض علما من هذه العلوم، عليه أن يسعى

ليتكمل من مرشد ربانى فى هذا العلم، ولا يتكبر فى ذلك لقول الله عز وجل: **«وفوق كل ذى علم عليم»**.

ولما كانت الآية قد وضحت أن هذا الرسول من أنفس أهل زمانه، فكذلك لابد أن يكون هذا المرشد العالم العامل حيا، يُحى به الله النفوس لأهل زمانه، ومن هنا قال الامام أبو العزائم رضى الله عنه: «الله حى قائم، ولايصل إليه واصل إلا بعبد حى قائم».

وليس معنى ذلك انكار أحوال العارفين السابقين؛ فإن من ينكر ذلك فقد بان عن طريق القوم. ولكن لما كان فضل الله واسع، وعطاؤه متجدد، اقتضت ارادته أن يصطفى فى كل زمان، وفى كل مكان من يؤهله للكشف والتبيان عن أمراض النفوس فى عصره، ويلهمه بتحضير الدواء الناجح لهذه الأمراض من القرآن والسنة، ومن هنا قيل: «لكل زمان دولة ورجال».

ولذلك عندما سئل الامام أبو العزائم رضى الله تعالى عنه، عن سيدى أبى الحسن الشاذلى، وهو الامام الأعلى لأهل طريقته، واليه ينتهى نسب الطريقة الروحانى، قال: «لو بُعثت فى عصر أبى الحسن الشاذلى لكنت تلميذا له، ولو بعث أبو الحسن الشاذلى فى عصرى لكان تلميذا لى».

وهذا لأن النفوس لا تتأثر إلا بالمجالسة والمؤانسة، والانسان الذى يطلب الكمالات الدينية، لابد أن يجالس، ويجانس، من رأى فيهم هذه الكمالات فى عصره وزمانه.

وقد كان هذا دأب الصالحين فى كل زمان ومكان، فهذا سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه، بعد أن انتقل شيخه الكبير سيدى على الخواص إلى الرفيق الأعلى، ولاحظ لصدقه، أنه لم يتكمل فى طريق القوم بعد، انتقل إلى صحبة سيدى محمد الشناوى رضى الله عنه، فتكمل على يديه».

الحاجـــة إلـــى الشيـــخ

المرشد الكامل أمل المؤمن وبغيته، وطلب المحسن ومقصده، لأن صحبته تؤثر على نفسه تأثيرا مباشرا وعميقا، وتجعل المؤمن يتشبه به فى سيره وسلوكه، وأخلاقه، وآدابه، وتأثير الصحبة على النفوس أمر لايستطيع أحد أن يتجاهله، قال صلى الله عليه وسلم: **«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»** (رواه أبو داود) فأصحاب الهمم العالية من المؤمنين، وأصحاب العزيمة الصادقة من المخلصين، والذين تنبعث من نفوسهم الرغبة الصادقة فى الوصول إلى ما كان عليه السلف الصالح من أحوال ومقامات، يلزمهم البحث عن المرشد الحى من أجل الترقى فى هذه المقامات، والرفعة إلى أعلى الدرجات، لأن المقامات غيب خفى، لايستطيع السالك أن يلجها بنفسه، أو يدخلها بمفرده، لعدم علمه بمزالقها وعقباتها، فلزمه أن يبحث عن المرشد الحى القائم الذى خبر هذا الطريق، وسلك دروبه ومفازاته، اقتحم صعابه وعقباته، ورده الحق إلى الخلق، ليدعوهم إلى حضرة ذاته، كما قال ابن البنا السرقسطى فى منظومته:

إنمــا القـــوم مسافــرون	لحضـــرة الله وظاعنـــون
فاحـــتاجوا فيــه إلى دليـل	عالــم بالسيـــر وبالمقيـل
قد سلك الطـريق ثم عـــاد	ليخبــر القوم بمــا استفاد

فهو ينزل السالك فى المقامات، على قدر قواه الروحانية، من غير إرهاق ولا اجحـاف، لأنه يعرف أمراض النفوس، وكيفية علاجها، كما أن حاله يشرق على النفوس فيزكيها، وعلى القلوب فيطهرها، وعلى الأرواح فيرقيها، وعلى الجوارح فتقشعر من خشية الله، وتلين إلى طاعة الله ورسوله وفى ذلك

يقول الامام أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (مذكرة المرشدين) ص٥٧:

«يلزم لمن أراد أن يسلك طريق الله تعالى - لتحصل له النجاة والفوز والسعادة والوصول - أن يبدأ أولابالبحث عن الرجل الحى، العالم بكتاب الله، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والعالم بتزكية النفوس، وتخليصها من أمراضها ورعوناتها، والعالم بالأخلاق المحمدية المتجمل بها، الممنوح الحال الذى به يجرد النفوس من أوحال التوحيد، العالم بعلوم اليقين، ومشارب الأبرار، ومشاهد المقربين، العالم بحقيقة التوحيد الخالص من الشرك الخفى والأخفى.

فإذا وُجد هذا الرجل، فهو إمام أهل عصره جميعا، والواجب عليهم جميعا أن يتركوا الحظ والهوى، والعلو فى الأرض، والتعصب للآباء والأجداد؛ اقبالا على الله تعالى، وتحقيرا لكل لذة يعقبها العذاب، وكل سيادة تنتج الشقاء، وكل شهرة تؤدى إلى حرمان الرحمة والغفران، وكل وظيفة تبعد عن دار الكرامة، والاحسان الأبدى».

وقد كان السلف الصالح رضى الله عنهم، يسافرون آلاف الأميال، بحثا عن هذا الرجل، فهذا الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه، يأتى من تونس إلى مصر بحثا عنه، ثم إلى بلاد الشام، وبلاد العراق، وهناك أخبره الشيخ أبو الفتح الواسطى، أن شيخه فى بلاد المغرب، وقال له: «جئت تبحث هنا عن القطب، والقطب عندكم» فرجع إلى تونس، فالتقى هناك بسيدى عبد السلام بن مشيش شيخه رضى الله عنه فالشيخ قد أحكم علم البدايات، وعلم النهايات؛ ليربى بهما المريد فى بدايته ونهايته؛ لأن لكل منهما حكم يخصه، فعمل البدايات عمل الجوارح، وعمل النهايات عمل القلوب، وكذلك يكون عالما بالأمور التى يخاف على المريد فيها، فيأمره بالبعد عنها، كالركون

إلى العز والتعظيم، أو إلى الدنيا والميل إلى شئ منها، ومن أسبابها، ومخالطة أهلها، وسماع حديثها.

فالتحقق بالصفاء، والتمكن فى مقامات الصوفية يتحقق بأركان أربعة:

معرفة الله تعالى، ومعرفة أسماءه وصفاته وأفعاله، ومعرفة النفوس وشرورها ودواعيها، ومعرفة وساوس العدو ومكائده ومضاله، ومعرفة الدنيا وغرورها، وتفتينها، وتلوينها، وكيفية الاحتراز منها، والتجافى عنها.

ثم بعد ذلك لابد من دوام المجاهدة، وشدة المكابدة، وحفظ الأوقات، واغتنام الطاعات، ومفارقة الراحات، والتلذذ بما أيّدوا به من المطالعات، وصيانة ما خُصّوا به من الكرامات.

فلا عن المعاملات ينقطعوا، ولا إلى التأويلات يركنوا، لأنهم رغبوا عن العلائق، ورفضوا العوائق، وجعلوا الهموم همّا واحدا، وزايلوا الأعراض طارفا وتالدا، اقتدوا بالمهاجرين والأنصار، وفارقوا العروض والعقار، آثروا البذل والايثار، وهربوا من مرامقة الأبصار، أن يومى اليها بالأصابع ويشار، لما أنسوا به من التحف والأنوار، فبغيتهم أن يكونوا من الأتقياء الأخفياء، والغرباء النجباء، فإذا صحت عقيدتهم؛ سلمت سريرتهم وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم: **«إذا أحب الله عبدا، اقتناه لنفسه، ولم يشغله بزوجة ولا ولد»** (رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود) وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: **«إن من أغبط أوليائى عندى، مؤمنا خفيف الحاذ، ذا حظ من صلاة وصيام، أحسن عبادة ربه، وأطاعه فى سره، وكان غامضا فى الناس، لا يُشار إليه بالأصابع، وكانت معيشته كفافا، وصبر على ذلك، فعجلت منيته، وقلت بواكيه، وقل تراثه»** (رواه أبو نعيم فى الحلية عن أبى أمامة) والحاصل أن من سياسة الشيوخ، إعانة النفوس، بما يقتضيه حالها، على ما هو المراد

منها، ثم إن الطباع مختلفة، وأحوال السالكين مفترقة، فمنهم من تنتعش قواه بالمعارف والعلوم، فيذكر له منها ما يقوى حاله، بوجه يشوق ولا يشوش.

ومنهم من ينتعش حاله بالتذكير والوعظ، فيكون تذكيره، عونا له على سلوكه، ورفعا لهمته، ومنهم من تنتعش قواه بالمذاكرة فى العلوم، واستخراج دقائق الفهوم، فيكون ذلك منهضا له فى حاله، فيؤتى كل أحد بما يُنعشه، وإليه تشير الآية الكريمة: **«ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن»**

فأهل الصدق يكفى فيهم الدعاء إلى الله بالحكمة، وهى الهمة القوية.

وأهل الاعتقاد والتسليم، يكفى فيهم الدعاء بالموعظة الحسنة.

وأهل الانتقاد يجادلهم بالتى هى أحسن، فإن سبقت لهم سابقة نفعهم التذكير، وإلا فإنما أنت نذير.

ومن الناس أيضا من ينتفع بالحكايات وذكر الكرامات، ومنهم من يتأثر بالشعر والسماع.. وهكذا.

وإذا كان الشيخ طبيب القلوب، بما علم وعرف من أحوالها، وعالج من أمراضها، وبما شاهد وذاق من أنوارها وأسرارها، فلابد أن يكون له اطلاع على القلوب، واستشراف على النفوس، فيعلم ما كان منها غثًا ضعيفا من العلم والعمل والحال، خاليا من اليقين، خرابا من النور، فيعامله معاملة الجائع الذى أصابه هزال، فيعطيه من الأذكار ما يقويه على حاله، ومن الأعمال ما يغنيه عن أشكاله، ويمد باطنه من مدد الهمة ما يسد به فقره، ويجبر به كسره.

ويعلم ايضا ما كان منها سمينا بعلم أو عمل أو حال، أو بنور يقين أو معرفة، أو غير ذلك. فيعامله بالترقية والتربية اللائقة به، وإذا كان سمنه مفرطا، ردّه إلى الوسط، فخير الأمور أوسطها. وقد ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص عن صيام الدهر، وقيام الليل، لكنه غلبت عليه القوة فتمسك بذلك، ثم ندم.

ويكون ايضا حال هذا الشيخ حال الطبيب، يدرك القلب الصلب، وهو القاسي من كثرة الذنوب والغفلة، فيحمله على التوبة، ويوقظه من الغفلة، ويأمره بما يلين قلبه، كالصيام، وصحبة الفقراء، وقيام آخر الليل، وغير ذلك مما يزيل علته وقساوته.

ويدرك القلب اللين بالخشوع والخضوع، فيأمره بالترقى إلى مقام الاحسان، ويطوى عنه مسافة أعمال الجوارح، من أعمال أهل الاسلام والايمان، وهكذا يعامل كل قلب بما يناسبه.

قال فى العوارف: «ينبغى للشيخ أن يتفرس فى المريد، ويعامله على حسب صلاحيته واستعداده، ثم قال: ينبغى للشيخ أن يعتبر حال المريد، ويتفرس فيه بنور الايمان، وقوة العلم والمعرفة، فمن المريدين من يصلح للتعبد المحض، وأعمال القوالب، وطريق الأبرار.

ومن المريدين من يكون مستعدا صالحا للقرب، وسلوك طريق المقربين المرادين بمعاملة القلوب، والمعاملة السيئة، ولكل من الأبرار والمقربين نهايات وبدايات، فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن، يعرف كل شخص، وما يصلح له.

ومن العجب أن الصحراوى يعرف الأرضين والغرس، ويعلم كل غرس

وأرضه، وكل صاحب صنعة يعلم منافع صنعته ومضارها، حتى المرأة تعرف قطنها، وما يتأتى منه من الغزل: دقته وغلظه، ولايعلم الشيخ حال المريد، وما يصلح له.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس على قدر عقولهم، ويأمر كل شخص بما يصلح.

فمنهم من أمره بالانفاق، ومنهم من أمره بالامساك.

ومنهم من أمره بالكسب، ومنهم من أقره على ترك الكسب، كأصحاب الصفة.

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف أوضاع الناس، وما يصلح لكل أحد.

أما فى رتبة الدعوة فكان يعمم الدعوة، لأنه مبعوث لاثبات الحجة، وأيضاح المحجة، فيدعوا على الاطلاق، ولا يخصص بالدعوة من يتفرس فيه الهداية دون غيره»

ويعلم الشيخ أيضا كيفية تركيب العقاقير والأغذية، فمن رآه يليق به ذكر واحد: لقّنه له بسيطا، ومن رآه يليق به ذكران أوثلاثة، لقنه كذلك.

ومن رآه يصلح للفكرة، أمره بها، ومن رآه يصلح للفكرة والنظرة ركبها له، وكذلك الذكر مع الفكرة يركبهما لمن يقدر عليهما، وهكذا.

ويعلم أيضا كون القلب: هل هو سليم أو سقيم، وهل هو أهل للخدمة أو للمحبة، فإن القلب الذى لايطيق أنوار المعرفة، لايصلح لصاحبه إلا الاشتغال بالخدمة.

قال الامام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه: «وكما أن معيار الدواء مأخوذ من معيار العلة، حتى إن الطبيب لايعالج العليل، مالم يعرف أن العلة من حرارة أو برودة، فإن كانت من حرارة، فيعرف درجتها، هل هى ضعيفة أو قوية، فإذا عرف التفت إلى أحوال البدن، وأحوال الزمن، وصناعة المريض، وسنه، وسائر أحواله، فيعالج بحسبها، فكذلك الشيخ المتبوع الذى يطب نفوس المريدين، ويعالج قلوب المسترشدين، ينبغى ألا يهجم بالرياضة والتكاليف، فى فن مخصوص، وطريق مخصوص، مالم يعرف أخلاقهم وأمراضهم.

وكما أن الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد، لقتل أكثرهم، فكذلك الشيخ، لو أشار على المريدين بنمط واحد من الرياضة، لقتل أكثرهم، وأمات قلوبهم»

وهكذا يتضح لنا، أن سلوك الطريق، وخصوصا لمريد الكشف والتحقيق، لايكون من غير التزام الطاعة والانقياد، لشيخ محقق مرشد، لأن الطريق عويص، وأدنى زوال يقع عن المحجة، يؤدى إلى مواضع فى غاية البعد عن المقصود، وهذا ما جعل الصوفية يؤكدون على ضرورة اتخاذ الشيخ، فى نصحهم للمريدين.

فهذا الشيخ أبو الحسن الششترى رضى الله عنه يقول: «ولابد أن يتحكم لمن يأمره وينهاه ويبصره، فإن الطريق عويص: قليل خطاره، كثير قطاعه، وقد يظن السالك أنه على جادته، وهو قد ولّى ظهره لموضع توجهه منه، فإنه إذا خرج منه أنملة فقد خرج وانقطع، وانصرف سيره على أشعة تلك الأنملة، فإنه طريق دقيق، ونفس متصرفة فى البدن، وهى الراحلة عنه، وعادة مألوفة، وشيطان هذا الطريق فقيه بمقاماته ونوازله»

وقال أبو عمرو الزجاجى رضى الله عنه : «لو أن رجلا كُشف له عن الغيب ، ولا يكون له أستاذ لايجئ منه شئ» وقال ابراهيم بن شيبان رضى الله عنه: «لو أن رجلا جمع العلوم كلها، وصحب طوائف الناس، لايبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة، من شيخ، أو إمام، أو مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ أدبه عن آمر له يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، لايجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات»

وقال الشيخ أبو مدين رضى الله عنه: «من لم يأخذ أدبه من المتأدبين: أفسد من يتبعه»

وقال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه: «كل من لا يكون له فى هذا الطريق شيخ، لا يُفرح به، ولو كان وافر العقل، منقاد النفس، واقتصر على ما يلقى إليه شيخ التعليم فقط، لايكمل كمال من تقيد بالشيخ المربى، لأن النفس أبدا كثيفة الحجاب، عظيمة الخداع، فلابد من بقاء شئ من الرعونات فيها، ولا يزول عنها ذلك بالكلية إلا بالانقياد للغير، والدخول تحت الحكم والقهر»

وقال ابن عطاء الله رضى الله عنه فى لطائف المنن: «من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الأتباع، ويكشف له عن قلبه القناع، فهو فى هذا الشأن لقيط: لا أب له، دعى: لانسب له، فإن يكن له نور، فالغالب غلبة الحال عليه، والغالب عليه وقوفه مع مايرد من الله إليه، لم ترضه سياسة التأديب والتهذيب، ولم يقده زمام التربية والتدريب».

وقال الشيخ أبو عثمان الفرغانى رحمه الله: «المجذوب : المتدارك الراجع من عالم الحق إلى عالم الخلق، لايكمل ولا يصلح للاقتداء، إذا لم يكن له

مرشد يهديه إلى دقائق المقامات، وإن كان على بينة من ربه، وبصيرة فى سلوكه ، فإن فى المقامات الإسلامية الايمانية، دقائق لاتدرك إلا من حيث الخلقية، والاطلاع عليها متوقف على اطلاع من اطلع عليها بنظر خليقته، فلا يكتفى بالبينة الحقيقة التى للمجذوب، فكان محتاجا إلى المرشد» وروى عن أبى يزيد رضى الله عنه أنه قال: «من لم يكن له أستاذ، فإمامه الشيطان»

وقال الشيخ أبو على الدقاق رضى الله عنه: «الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس، فإنها تورق ولا تثمر» كذلك المريد إذا لم يكن له أستاذ يأخذ منه طريقته، نفسا فنفسا، فهو عابد هواه، لايجد نفاذا» قال القشيرى: «وهو كما قال، ويجوز أن تثمر كالأشجار التى فى الأودية والجبال، ولكن لايكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين، والغرس إذا نقل من موضع لآخر، يكون أحسن وأكثر ثمرة، لدخول التصرف فيه، ثم قال: وسمعت كثيرا من المشايخ يقول: من لم ير مفلحا لا يُفلح»

وبالجملة فكلام أئمة القوم فى ضرورة اتخاذ الشيخ كثير، ولكن ربما يقول قائل: فأين مَنْ هذا وصفه؟

وقد أجاب على ذلك الشيخ ابن عطاء الله رضى الله عنه فى كتابه (لطائف المنن) فقال: «فاعلم أنه لايعوزك وجود الدالين، وإنما يعوزك وجدان الصدق فى طلبهم، جِدّ صدقا تجد مرشدا، وتجد ذلك فى آيتين من كتاب الله تعالى، قال الله سبحانه: **«أمن يجيب المضطر إذا دعاه»** وقال سبحانه : **«فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم»**

فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله، اضطرار الظمآن إلى الماء، والخائف إلى الأمن، لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك، ولو اضطررت

إلى الله اضطرار الأم لولدها، إذا فـقـدته، لوجـدت الحق منك قـريبـا، ولك مجيبا، ولوجدت الوصول غير متعذر عليك، ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك»

أوصـــاف الأدعيـــاء*

إن الذي جعل كثيرا من الناس يهاجمون الصوفية، وينعون على التصوف وأهله، هو ظهور كثير من الأدعياء، الذين اتخذوا الطريق مغنما ومكسبا، فزينوا ظاهرهم للناس لخراب سرائرهم، وباعوا الدّين بالدنيا، وعملوا أعمال الآخرة بالدنيا، فذهبت أنوار الطريق، ومحيت أسراره، وانطمست معالمه، وجُهلت أحوال أهله، وحُجبت الامدادات السماوية، والفيوضات الربانية، التى كانت تُفاض على القلوب العامرة باليقين، والأبدان العاملة بسنة سيد المرسلين، والعقول الجائلة فى الفكر فى آيات السموات والأراضين، والأنفس السابحة فى ملكوت السموات والأرض، والأرواح المواجهة لقدس الجبروت، فأصبحت أجسامهم بلا أرواح. كل ذلك للاشتغال بالدنيا عن الآخرة، فكثر الحفاظ والمرشدون، وقلّ الراغبون والطالبون، يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يجلسون مجالس الأنبياء، والقلوب قلوب الشياطين.

فقد اشتغل هؤلاء بأمور لاتمت إلى طريق القوم بصلة، وجعلوها أساس الطريق، فمنهم من جعل لطريقته زيّا خاصا بها، إذا لبسها المريد صار من أهل هذا الطريق، وإن كان لم يتحقق باطنا بأحوال أهلها، ومن الدعاة الجهلاء من يجلسون فى وسط العامة، فيذكرون اسم ولى من أولياء الله، يبثّون عنه الأقاصيص المفيدة بأنه ينفع ويضر، وأن من اتبعه يكثر ماله وولده، وأن من زار قبره تُقضى حوائجه، ويموت أعدائه، ويذكرون لهم من

* وقد فصلنا هذا الموضوع فى كتابنا (الامام أبو العزائم المجدد الصوفى) ص ١٥٤.

الكرامات، ما هو حق وباطل، حتى يرغب الناس، فيكون الضرر بذلك من جهتين: من جهة أنهم يتبعون طريقه لعاجل فان، فيكونون ممن يعبدون الله على حرف، ومن جهة أخرى أنهم يتبعونه لينتفعوا به من الجهة التى لا يمكنه أن ينفع نفسه ولاغيره منها، لأن النافع هو الله، ويحرمون النفع من الجهة التى يُنتفع منها، لأن الله أقامه سببا للنفع فيها، وهى جهة تلقى العلوم، وفهم فقه القرآن الكريم، وتزكية النفس، وفهم أسرار التوحيد، وكشف حِكم الأحكام، أو التجمل بعلوم اليقين، مما به السعادة الأبدية، التى لاتُذكر الدنيا بجانبها بشئ، إلا كما يذكر العدم مع الوجود.

وقد يحصل ضرر ثالث لايقل عن هذين الضررين، وهو أن يكون الرجل الذى يدعون إليه متوفيا، وليست له كتب علمية ينفع بها من يقتدى به، فيحصل الضرر لمن اتبعه، بحرمانه من طلب الرجل العالم، الذى جعله الله نورا، وأوجب الانتفاع بعلمه، والاقتداء بعمله.

- ومنهم من يشغلون أنفسهم بالمفاضلة بين فلان وفلان، أو التعصب لشخص على آخر لحظ، أو هوى مستكن فى نفسه.
- ومنهم من ينتسبون للعلم أو الطريق، ويجعلون العلم أو الطريق بابا من أبواب جلب الدنيا.
- ومنهم من يستعملون المخدرات فى مجالسهم، ليفسدوا على الناس القوى التى بها إدراك الحكمة العالية، ويخدعون بها أهل التسليم، ليستدرجونهم، إلى أن يتمكنوا من قلوبهم، فيتصرفون فى أموالهم، ويلعبون بعقائدهم.
- ومنهم من يأمر أتباعه بترك العلم والتعليم، وترك الوظائف والرواتب، بل وترك الأعمال الشرعية، موهما أن ذلك يحجب عن الأنوار، ونعم فإنه يحجب عن الأنوار الإبليسية.

● ومنهم من سلم لأهل الجذب الذين أفناهم الحب عن سوى المحبوب، وبلغت بهم الرياضية والتزكية مبلغا جعلهم روحانيين، حتى صاروا بحيث يعملون أعمالا لا تقبلها العقول، كترك الأكل زمنا، وكبغض الدنيا وما فيها، وكتحمل الحر والبرد، وكالفرار إلى الصحارى وغير ذلك.

فسلموا لهم معتقدون أنهم مرشدون، وتركوا أهل العلم بالله والمعرفة، وهؤلاء المنجذبون بكليتهم إلى الجناب العالى، ليسوا أئمة للمتقين، ولا هداة للمسلمين، ولكنهم مُنحو الحب والوجد والمعرفة لأنفسهم خاصة، وهم أبدال الأنبياء وليسوا أبدالا للرسل، وقد قال فى شأنهم سيدى محى الدين بن عربى رضى الله عنه:

لا تقتدى بمن زالت شريعته ولو جاء بالأنبا عن الله

وقد نبه إلى هذه الحقيقة الامام أبو العزائم رضى الله عنه فقال فى كتابه: «الشفاء من مرض التفرقة» ص ٢٥: «وإن كثيرا من السالكين يميلون إلى الذين اختطفتهم العناية فيقلدونهم فيضلون، وليس المجذوب إماما للمتقين، وإنما هو رجل اختطفته العناية من الأزل، ومن اقتدى بالمجذوب فى سيره لم ينتفع بحال من الأحوال» ثم يوجه رضى الله عنه إلى كيفية معاملتهم فيقول فى كتابه: «مذكرة المرشدين» ص ٦٤: «وإنى ليسرنى أن المسلم يعامل هؤلاء معاملة الأطفال الرضع، فيرحمهم، ويشفق عليهم إكراما لله ورسوله، ولا يقتدى بهم، فإن اقتداءه بهم، يصير به هالكا، لأن لهم مواجيد ومشاهد ملكوتية، ومكاشفات عن حضرة العزة والجبروت، بها سكروا، وإليها جُذبوا، وفيها فنوا، وعن سواها غابوا، فمن اقتدى بهم وقلّدهم – مع ما هو فيه من طمس البصيرة، وفساد السريرة، والحجاب عن

مشاهد القدس – فقد هلك وأهلك غيره»

فإن المجذوب الحقيقى، الصادق فى حاله مع الله، لابد أن يرده الله إلى بشريته فى أوقات الصلاة، حتى يؤديها، ولا يخرج عن الشريعة طرفة عين مع كمال جذبه، أما من يتخطى حواجز الشريعة، فقد يكون انسان عنده خلل فى قواه العقلية، فهو معتوه، ولايمت إلى الجذب الحقيقى بصلة.

فالجذب هو تعلق القلوب بشدة بالحبيب المحبوب، ولما كان المقصد هو رضاء المحبوب، فكان أول شئ يفعله المجذوب، أن ينفذ ما طلبه منه علام الغيوب، فى كلامه المكتوب، ومن لم يفعل ذلك فهو مغلوب أو معيوب، لايجب على العقلاء اتباعه أو تقليده، ولو أخبرهم بصريح الغيوب.

● ومنهم من يتمسكون فى امامة الطريق بابن الشيخ، ولو كان ليس مؤهلا لهذا المقام، فقد اختلط عندهم أمر الوراثة الالهية، بالوراثة الشرعية، فجعلوا الإبن الصلب، الذى ثورته الشريعة، ما خلّفه الأب من مقتنيات الدنيا، هو الذى يرث الأحوال الوهبية، والعلوم اللدنية، وغفلوا عن أن هذه وراثة الكتاب التى يصطفى الله عز وجل لها من يشاء من الأحباب ، وإليها الاشارة بقوله سبحانه: **«ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، ذلك هو الفضل الكبير»** [الآية (٣٢) فاطر].

وفى ذلك يقول الامام أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه: (مذكرة المرشدين) ص ٦٤:

«وبعض أهل الطريق – إذا مات المرشد، أو مات الشيخ المأذون بالطريق – يسلمون لأحد أولاده أو أقاربه، وهذا أمر حسن، لو أن من سلّموا له يكون

على شئ من العلم والعمل والحال، واجتهد فى تحصيل ما به كمال نفسه، ونفع غيره، وحافظ على الاقتداء بالمرشد محافظة حقيقية فى القول والعمل والحال، أما إذا سلموا لابن المرشد، أو أحد أقاربه، وكان صبيا لم يبلغ الحلم، أو كبيرا على غير استقامة، بعيدا عن معرفة الطريق وأهله، فانهم بذلك يكونوا عرّضوا من اقتدوا به للهلاك، وأهلكوا أنفسهم، لأنهم بذلك يجعلوه يغتر بنفسه، ويتكبر على العلم، ويحتقر العلماء، ولا يزيده الاقبال عليه، إلا غرورا وبُعْدا عن الله، وكأنهم بذلك أساءوا إلى مرشدهم، فإنه جملهم بالعلم والعمل والحال، وهم لم يحسنوا إليه فى أولاده وأهله، وكان الواجب عليهم، أن يجتهدوا فى تربية ابن الاستاذ، أو من يكونوا من أهله، تربية حقيقية، علما وتهذيبا وعملا؛ حتى يكون لسان صدق لوالده، وارثا لعلومه وأحواله.

وانى لأعجب من رجل لايرضى أن يجعل الحصرم من العنب زبيبا، ويرضى أن يجعل الطفل الصغير، المؤهل للتربية والتهذيب والتعليم مرشدا عظيما، ويظن أنه يحسن صنعا...

إلى أن قال رضي الله تعالى عنه: ... إن الله سبحانه وتعالى، حكم فى كتابه العزيز فى ميراث الأرض خاصا لمخصوصين، وحكم فى ميراث السماء أنه فضله يؤتيه لمن يشاء، فحكم سبحانه تعالى فى خير الدنيا بما هو واضح، وحكم فى ميراث الأنبياء والمرسلين، والفضل العظيم، بأنه لمن يشاء: **«ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»**.

وقد سار على هذا النهج الصوفية العظام، كالشيخ منصور الباز البطائحى رضى الله عنه، الذى آثر بالخلافة من بعده، ولد اخته سيدى

أحمد الرفاعي رضى الله عنه، مفضلا إياه على ولده، رغم غضب زوجته من ذلك، ولكنه أثبت لها ولأتباعه، صدق فراسته، عندما أحضرهما معا، وطلب من كل واحد منهما على حدة، أن يحضر حملا من حشائش الأرض، فذهب ابنه وعاد بسرعة، بكم هائل ينوء بثقله، ليثبت مهارته وجدارته.

وأبطأ سيدى أحمد الرفاعي، حتى أرسل الشيخ فى استدعائه، فجاء وليس معه شئ.

فسأله الشيخ أمام الحشود المنتظرة، لم لم تُحضر ما طلبت منك؟

فقال رضى الله عنه: كلما هممت بقطع نبتة، سمعتها تذكر الله عز وجل، فأستحى من الله سبحانه وتعالى أن أقطعها، فأقام بذلك الحجة على صدق فراسة شيخه رضى الله عنهم اجمعين.

وهذا الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه - مع كثرة ولده - يسلم الراية من بعده، لسيدى أبى العباس المرسى، وسيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه - مع صلاح أبنائه - يعطى الخلافة من بعده، لسيدى ياقوت العرش رضى الله عنه.

- ومنهم من يتمسك بأن مشيخة الطريق، لا تحق إلا لمن انتسب ظاهرا إلى الدوحة النبوية الطاهرة، وإن كان غير كفء للقيام بهذه المهمة، ويستندون فى ذلك إلى الحديث الشريف الذى يقول : **«أبقيت فيكم ثقلين لن تضلوا بعدهما، كتاب الله وأهل بيتى»**. وقد بيّن حقيقة ما يقصده سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث رجل من أهل البيت الطاهرين هو الامام أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (الفرقة الناجية) ص٢١ فقال : بعد ذكر الحديث: «والمراد بأهل البيت حملة العلم بالله سبحانه

وتعالى، الذين كاشفهم الله تعالى بظاهر القرآن وباطنه، وحدّه ومطلعه، ممن جملهم الله بحقيقة النسب المحمدى الروحانى بدليل قوله صلى الله عليه وسلم: «سلمان منّا أهل البيت» (رواه الطبرانى والحاكم عن عمرو بن عوف)، وتبنّيه صلى الله عليه وسلم زيدا رضى الله عنه، وقوله صلى الله عليه وسلم:**«أدخل الاسلام بلالا فى نسبى»** (رواه النسائى وابن ماجه واحمد والدارمى والحاكم عن أنس) فالمعّول فى طريق القوم على الاتصال بالنسب الروحانى، والسر النورانى، فإذا تجمل المريد بصفات شيخه الروحانيةمن حبّ ووجد وصدق وورع وزهد واخبات وخشوع، وتوكل ورضا وتسليم وغيرها، تُفاض عليه الجمالات الوهبية، والكمالات المحمدية، والأنوار العرفانية، لثبوت نسبه الروحانى، واتصاله بأصله النورانى. وهذا هو النسب الذى يقول فيه صلى الله عليه وسلم: **«نحن معاشر الأنبياء، لا نوّرث درهما ولا دينارا، وإنما نوّرث علما ونورا».**

ولما كان العلماء ورثة الأنبياء، فالوراثة الحقيقية فى هذه المعانى والكمالات الروحانية، لا تكون لمجرد الأنساب الطينية، وإنما لاتصال الأرواح النورانية، والتشابه فى الكمالات المحمدية، والانتظام فى رحاب أهل المعية القرآنية.

وممن ورث مقام القطبانية، ولم يكونوا من الدوحة النبوية الطاهرة بالنسب الظاهر، خلق كثير، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، سيدى أبو العباس المرسي الخزرجي الأنصارى، وسيدى ياقوت العرش الحبشى وسيدى أبو الحسن البكرى الصديقى وغيرهم كثير.

● ومنهم الذين يوهمون الناس، أنهم وصلوا إلى مقامات المعرفة، ويأمرونهم

باتباعهم، ويؤثّرون عليهم تأثيرا بليغا، حتى يتصرفون فيهم كما يحلوا لهم، وذلك لسلب أموالهم.

- ومنهم الذين يشربون المسكرات بحجة هداية العاصين.
- ومنهم الذين يجمعون بين النساء والرجال فى مكان واحد.
- ومنهم الذين يطلبون من مريديهم التسليم للشيخ على أى حال كان، وفيهم يقول الامام أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (دستور السالكين) ص٦٠: «بعض من لا بصيرة لهم فى الدين، ومن لم يسبق لهم تحصيل العلم، يقتدون ببعض أدعياء الطريق، فيُدخلون فى قلوبهم أن التسليم للشيخ - مهما كان وعلى أى حال كان - خير، ولا يصل السالك إلى الله إلا بالتسليم للشيخ، ثم يعملون أمام المريدين صريح الحرام، أو يقولون صريح الكفر، ويأمرون بترك الفرض والسنة، وينهون عن الأعمال الشرعية، فيسلم لهم أهل الجهالة تسليم الأعمى، لاعتقادهم أنهم أهل الحقيقة، وأنهم ارتقوا عن الشريعة، ويضربون مثلا يدل على كمال جهالتهم فيقولون: «إن كان شيخك حمار امسك ذيله» مبالغة فى التسليم الأعمى، وكم من فئة من الناس استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله».

نصيحة صادقة

اخوانى أهل الطريق، كيف يسلم السالك، طالب النجاة من هول يوم القيامة، بصحبة من يهلكه بمخالفة سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟

إن هذا ليس بتسليم، وإنما جهل بالحق، وحظ جلى لا خفى، وللتسليم مقدار مخصوص، فإن خالف المرشد ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه

وسلم، وقف المريد عن الاقتداء به، حتى يستبين له الحق فيه، أو يسأله عن مأخذه من كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: **«بل الانسان على نفسه بصيرة»** [الآية (١٤) القيامة]

والعاقل لا يقلد إلا من بعثه الله بالحق بشيرا ونذيرا، مبينا لنا محاب الله ومراضيه، والمرشد يبين لنا ما خفى من بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه الأئمة الهداة من الصحابة والتابعين.

وانظروا الى هذا الإمام الصادق، أبى يزيد البسطامى رضي الله عنه، عندما سأل تلاميذه قائلا: من أنا؟ قالوا: أنت أبو يزيد.

قال: أنا محمد رسول الله، يعنى لا تنظروا إلى بعين العصمة، ولكن انظروا إلى بعين البصيرة، فإن كنت على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصحبونى، وإن خالفت رسول الله فقومونى.

هذا أساس الطريق، فإن الحق فوق الخلق، فاقبلوا الحق ولو من الغريب البعيد، البغيض الدنئ، ولا تقبلوا الباطل، ولو من الولى العالم الورع الزاهد.

وأهل السلوك يعرفون الرجال بالحق، ولا يعرفون الحق بالرجال.

اخوانى أهل الطريق، كان الرجل من أهل الطريق، يمشى فيجتمع الناس عليه، فيردّهم الناس عنه بالسياط، فلا يرتدون، ويمر بعده أمير المؤمنين، والجند يضربون الناس بالسياط، ليجتمعوا عليه، فلا يجتمعون.

كان أمير المؤمنين يزور أهل الطريق فى بيوتهم، فيسمع منهم القوارص من الوعظ حتى يبكى، وفى زيارة أمير المؤمنين هارون لفضيل، وما واجه به ابن جريج أبا جعفر المنصور، وما كتبه بعض الصحابة لأمير المؤمنين عمر، كل هذا دليل على أن أهل الطريق، كانوا أئمة للأمراء، وسادة للخلفاء، لأنهم

خافوا الله، فأخاف منهم كل شئ، وأقبلوا على الله، فأقبل بقلوب الخلق عليهم، وجمّلوا سرائرهم لله، فجمل الله علانيتهم لعباده. أنتم تسمعون من أسرارهم، وكراماتهم، ما دونه أهل التاريخ عنهم، خصوصا من ترجموا لأهل الطريق، واعتنوا بآثارهم، كانوا إذا جلسوا فى مجلس، لاحت أنوار الحكمة، وظهرت أسرار المعرفة، وامتلأت القلوب إيمانا، وذُكر الله لرؤيتهم، وكره الناس الدنيا بما فيها، ورغبوا فى الآخرة وما فيها.

وكم أسلم يهودى ونصراني ومجوسى عند سماع عباراتهم، وعلم أحوالهم، وبيان أخبارهم.

هكذا كان الطريق، وكان أهل الطريق، حتى بلغ من التعظيم لهم فى القلوب، أن الناس كانوا إذا أقسموا يقولون: وحياة أهل الطريق.

وقد أشار إلى ذلك الامام الشعراني رضى الله عنه فى كتابه (الأنوار القدسية) فقال:

«وقد أدركنا بحمد الله جملة من أشياخ الطريق أول هذا القرن، وكانوا على قدم عظيم فى العبادة، والنسك، والورع، والخشية، وكفّ الجوارح الظاهرة والباطنة عن الآثام، حتى لا تجد أحدهم قط يعمل شيئا يكتبه كاتب الشمال، وكان للطريق حرمة وهيبة، وكان الأمراء والملوك يتبركون بأهلها، ويقبّلون بطون أقدامهم، لما يشهدونه من صفاتهم الحسنة.

وقد رأيت بعينى السلطان الغورى، وهو يقبّل يد سيدى محمد بن عنان، ورأيت السلطان طومان باى الذى تولى بعده يقبّل بطن رجله، وطلعت مرة مع سيدى الشيخ أبى الحسن الغمرى للسلطان الغورى فى شفاعة، فقام للشيخ وعضده من تحت ابطه وقال:

ياسيدى عززتنى فى هذا النهار، فأنا ومملكتى كلها لا نفى حق طريقك».

اخوانى أهل الطريق، اعلموا أن المزاحمة والمنافسة، إنما تكون فى الفرار من الدنيا إلى الآخرة، وفى التخلى عن الرذائل النفسانية، للتجمل بالفضائل الروحانية، فى عمل الخير النافع لجميع الاخوان، وفى السبق فى عمل القربات، والمسارعة إلى المنافسة فى رفعة الدرجات عند الله، لا عند الخالق، وفى احتقار نفسه ليعظمه الله، وفى الرضا بالفقر ليغنيه الله، وفى التواضع لعباد الله ليرفعه الله، وفى بغض الشهرة والسمعة والرياسة خوفا من القطيعة عن الله، وفى اعتقاد أن الدار الدنيا فانية زائلة، فى ذلك تكون المنافسة والمزاحمة، ينافس فى ذلك أهل الله الصالحون، وأحباب الله المقربون! **«وفى ذلك فليتنافس المتنافسون»** [الآية (٢٦) المطففين] ، وليست المنافسة والمزاحمة فى جمع ما يفنى من المال، وما لا ينفع من الشهرة والسيادة، وما لا يدوم من ملاذ المأكل والمشرب والمنكح والملبس والمسكن.

إن الطريق المستقيم يا اخوانى، واحد لا يتعدد، وإن تعددت أنوا ع السير عليه، سرعة وبطأ، وتأنيًا واقبالا، والسالكون عليه وإن تفاوتت هممهم، وتنوعت عزائمهم، إلا أنهم لاخلاف بينهم، لأنهم كلهم على اعتقاد واحد، ورأى واحد، ومذهب واحد، سارعوا إلى وجهة واحدة، وتعاونوا على مقصد واحد، وتنافسوا فى مراد واحد.

إنما الخلاف بينهم، أن هذا على الطريق الحق، إلا أنه توسط وعمل بالقلب والجسم بحالة وسط، وأخوه معه على الطريق الحق، إلا أنه عمل الواجب البدنى، ووقف عنده، وذاد فى عمل القلوب على الواجب القلبى> والآخر على الطريق الحق، إلا أنه يجاهد نفسه ليتخلى ، وأخوه معه إلا أنه

ينافس ليتحلى، والكل فى حيطة واحدة، وهى المدينة التى أشار إليها صلى الله عليه وسلم بقوله: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون» (متفق عليه من حديث سفيان بن أبى زهير) واسمعوا ياخوانى أهل الطريق إلى هذه النصيحة من الامام أبى العزائم رضى الله عنه، والتى ذكرها فى كتابه (مذكرة المرشدين) ص ١٠٨:

«يأيها العلماء والمرشدون، والخلفاء عن الطريق، وأبناء الأشراف، وورثة أهل العلم بالله والفضل، أنتم الأنجم فى أفق العامة، فاذا هوت تلك الأنجم، كيف تكون حالة الناس، وإذا كُسفت تلك الكواكب، فبم يهتدى الناس؟

هلا اقتديتم بسلفكم الصالح، فزكيتم أنفسكم، وجاهدتموها، حتى أطاعتكم فملكتموها قبل أن تملككم، فكنتم بدور هدى كما كان سلفكم، وأنجم دلالات كما كان آباءكم، ومشايخكم، ومن سبقكم وأئمة للمتقين من أهل عصركم وذريتكم.

يا خلفاء الطريق: أنتم تسيرون مع من معكم إلى أين؟ وتعملون لمن؟

فإن قلتم نحن سائرون إلى الله، ونعمل لله، أقول لكم: ياخوانى، الطريق الذى سلك عليه السائرون إلى الله، معلوم لا يُجهل، معروف لا يُنكر، فهل عليه سلكتم؟ وعلى جادته نهجتم؟ ومن الميل عنه تحصنتم؟ إن كان ذلك، فلم الاختلاف بينكم؟ ولم الشغل فى المنافسة فيما لا ينفع؟

عجبا لكم!! لو أنكم على الطريق المستقيم، والنهج القويم سرتم، وبحصون أمنة تحصنّتم، لنزع الله مافى صدوركم من غلّ، ولأشهدكم من جمال آياته، وعجائب قدرته، وغرائب حكمته، ما به تبتهج أنفسكم، فتسكن إلى الله، وتطمئن قلوبكم فتحب الله، وتلين أعضاءكم لطاعة الله»

ولله در الامام أبو العزائم رضى الله عنه إذ يقول:

ما اختلاف الطريق والقصد واحد والصراط السوى للمتواجد
ذا لأن النفوس مختلفات كل نفس لها سبيل وشاهد
واختلاف الطريق فى السير ينبى باختلاف النفوس بل والموارد
والمراد المحبوب أفرد بالقصد عليا هو الاله الواحد
والنفوس المرضى تسير الهوينى للأيادى أو للعطا والموائد
أو لأجر تسعى ونيل حظوظ فى جنان النعيم بين الولائد
بين باك من خوف نار وراج جنة الخلد فى عناء يجاهد
بين ورع فيما يزول لقصد فوزه بالقبول تهجد عابد
ذاك سر التفريق والوجه قصدى من ألست وطالب الغير جاحد
أفرد المجتبون وجها عليا باليقين القوى محو العوائد
شاهدوا باليقين فى الكون نورا كان بدءا يراه كل شاهد
لم تعقهم عناصر وحدود كل فرد لله بالله عائد
قصدهم واحد إليه أنابوا بل له أسلموا بقلب واحد

الفصل الثاني

أدب المرادين والمريدين

- أدب الشيخ
- أدب السالك في نفسه
- أدب السالك مع شيخه
- أدب السالك مع أخوانه



للأدب عند الصوفية شأن كبير، فقد اعتبروه الأساس الأول فى سيرهم وسلوكهم إلى الله عز وجل، ولذلك قالوا: «الزم الأدب، وإلا فانتظر العطب»، وقالوا: «حافظ على الأدب، ولو رقيت إلى أعلى الرتب» وعللوا ذلك؛ بأن صحة الظواهر، تدل على صحة البواطن، فما استُودع فى غيب السرائر ظهر فى شهادة الظواهر.

فأحوال الظاهر تابعة لأحوال الباطن، فأسّرة الوجه تدل على السريرة، وما فيك يظهر على فيك، وكل إناء بالذى فيه يرشح، وما خامر القلوب، فعلى الوجوه أثره يلوح، فتهذيب الجوارح يدل على تهذيب القلوب، وآداب الظاهر، يدل على آداب الباطن.

حُكى أن الجنيد دخل على أبى حفص النيسابورى، فرأى أصحابه واقفين عند رأسه، كأصحاب الملك. فقال الجنيد: أدّبت أصحابك ياأبا حفص أدب الملوك؟

فقال: لا ياأبا القاسم، ولكن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن.

ولذلك قيل: من يُحرم سلطان الأدب ، فهو بعيد ما تدانا واقترب.

وقيل: من تحبسه الأنساب، فإنما تُطلقه الآداب.

وقال أبو حفص رضى الله عنه: التصوف كله أدب، لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقامٍ أدب.

فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، مردود من حيث يظن القبول.

وقال ابن عطاء الله : من جهل المريد أن يسئ الأدب، فتُؤخَّر العقوبة عنه، فيقول: لو كان هذا سوء أدب لقطع الإمداد، وأوجب البعاد، فقد يُقطع المدد

عنه من حيث لايدرى، ولو لم يكن إلا منع المزيد، وقد يُقام مقام البعد من حيث لايدرى، ولو لم يكن إلا أن يخلّيه وما يريد».

فإن القوم ماسادوا، وما شرفوا إلا بالآداب مع الله، ومع رسوله صلى الله عليه وسلم، ومع أشياخهم ومع سائر المسلمين.

فالأدب مع الله بامتثال أمره، واجتناب نهيه، والاستسلام لقهره.

وقال فيه الشيخ زروق رضى الله عنه فى شرح الحكم: هو حفظ الحدود، والوفاء بالعهود، والنطق بالملك الودود، والرضى بالموجود، وبذل الطاقة والمجهود.

والأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته، وإيثار صحبته، والاهتداء بهديه، والتخلص بأخلاقه، والأدب مع الأشياخ، بحفظ الحرمة، وحسن الخدمة، وصدق المحبة.

والأدب مع المسلمين، بأن تحب لهم ما تحب لنفسك ، أو أكثر.

وأداب الأوقات، تعميرها بالطاعات، فأوقات العبد أربعة كما قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه: وقت الطاعة، ووقت المعصية، ووقت النعمة، ووقت البلية، فوقت الطاعة مقتضى الحق منك شهود المنة، ووقت المعصية مقتضى الحق منك تحقيق التوبة، ووقت النعمة مقتضى الحق منك الشكر، ووقت البلية مقتضى الحق منك الصبر.

فاذا قام العبد بهذه الآداب كلها حصل له الشرف التام، والمنزلة الكبرى عند الخاص والعام وسنذكر بفضل الله عز وجل نبذة مختصرة من آداب القوم، مما لاغنى لسالك طريق القوم عنه فمنها:

أدب الشيـــــــخ

لما كانت أهم وظيفة المشايخ، حفظ اجتماع البواطن، وإزالة التفرقة بإزالة شعث البواطن، لأنهم بنسبة الأرواح اجتمعوا، وبرابطة التأليف الالهى اتفقوا، وبمشاهدة القلوب تواطئوا، ولتهذيب النفوس وتصفية القلوب رابطوا، كان لابد لهم من التآليف، والتودّد، والنصح لقوله صلى الله عليه وسلم:

«المؤمن يألف ويؤلف، ولاخير فيمن لايألف ولايؤلف»

فيكلم المريدين كلام الناصح المشفق الوالد لولده، بما ينفعه فى دينه ودنياه، وكل مريد ومسترشد ساقه الله تعالى إليه، يراجع الله تعالى فى معناه، ويكثر اللّجأ إليه أن يتولاه فيه، وفى القول معه، ولا يتكلم مع المريد بالكلمة إلا وقلبه ناظر إلى الله، مستعين به فى الهداية للصواب من القول. يقول الشيخ أبو النجيب السهروردى مُوصيا بعض أصحابه: «لاتكلم أحدا من الفقراء إلا فى أصفى أوقاتك»

ويقول فى ذلك الشيخ عبدالعزيز الدباغ رضى الله عنه فى كتابه «الابريز» ص٣٩٠: «إن الولى الكامل غائب فى مشاهدة الحق سبحانه وتعالى، لا يُحْجب عنه طرفة عين، وظاهره مع الخلق، فيستعمل الحق سبحانه ظاهره مع القاصدين بحسب ما سبق لهم فى القسمة، فمن قُسم له منه رحمة أطلق عليه ذلك الظاهر، وأنطقه بالعلوم، وأظهر له مالا يكيف من الخيرات، ومن أراد به سوءا ولم يُقسم له على يده شيئا، أمسكه عنه، وحجبه عن النطق بالمعارف.

ثم قال رضى الله عنه: وما مّثلت الولى مع القاصدين، إلا كحجر بنى اسرائيل، فإذا كان بين يدى أولياء الله تعالى، انفجرت منه اثنتا عشرة عينا، وإذا كان بين أعدائه تعالى، لاتخرج منه ولا قطرة واحدة.

وكان الشيخ أبو السعود رضى الله عنه يكلم أصحابه بما يُلقى إليه، ويقول : أنا فى هذا الكلام مستمع كأحدكم، فأشكل ذلك على بعض الحاضرين، وقال: إذا كان القائل يعلم ما يقول، فكيف يكون مستمعا؟! فرجع إلى منزله، فرأى فى ليلته فى المنام كأن قائلا يقول له: أليس الغواص يغوص فى البحر لطلب الدُّر، ويرجع بالصدف فى مخلاته، والدُّر قد حصل معه، ولكن لايراه إلا إذا خرج من البحر، ويشاركه فى رؤية الدُّر مَنْ هو على الساحل، ففهم فى المنام إشارة الشيخ فى ذلك.

ومن أدب الشيخ: أن يكون له خلوة خاصة، ووقت خاص، لايسعه فيه معاناة الخلق، حتى يفيض على جلوته فائدة خلوته، ولاتدّعى نفسه قوة، ظنّا منها أن استدامة المخالطة مع الخلق والكلام معهم لايضره، ولايأخذ منه، وأنه غير محتاج إلى الخلوة، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله، كان له قيام الليل، وصلوات يصليها ويداوم عليها، وأوقات يخلو فيها.

كان الجنيد رضى الله عنه يقول لأصحابه: «لو علمت أن صلاة ركعتين لى أفضل من جلوسى معكم ما جلست عندكم» فإذا رأى الفضل فى الخلوة يخلو، وإذا رأى الفضل فى الجلوة يجلس مع الأصحاب، فتكون جلوته فى حماية خلوته، وجلوته مزيدا لخلوته.

ومن وظيفة الشيخ: حسن خلقه مع أهل الارادة والطلب، والنزول من حقه فيما يجب من التبجيل والتعظيم للمشايخ، واستعماله التواضع.

ومن آداب الشيوخ: النزول إلى حال المريدين، من الرفق بهم وبسطهم.

ومن آداب الشيوخ: التعطف على الأصحاب، وقضاء حقوقهم فى الصحة والمرض، ولايترك حقوقهم إعتمادا على إرادتهم وصدقهم.

ومن آداب الشيوخ: أنهم إذا علموا من بعض المسترشدين ضعفا فى مراغمة النفس وقهرها، واعتماد صدق العزيمة، أن يرفقوا به، ويوقفوه على حد الرخصة، ففى ذلك خير كثير.

ومن آداب الشيوخ: التنزه عن مال المريد وخدمته، والارتفاق من جانبه بوجه من الوجوه، لأنه جاء لله تعالى، فيجعل نفعه وإرشاده خالصا لوجه الله تعالى.

ومن آداب الشيخ: إذا رأى من بعض المريدين مكروها، أو علم من حاله اعوجاجا، أو أحسّ منه بدعوى، أو رأى أنه داخله عُجْب، أن لايصرح له بالمكروه، بل يتكلم مع الأصحاب، ويشير إلى المكروه الذى يعلم، ويكشف عن وجه المذمّة مجملا، فتحصل بذلك الفائدة للكل، فهذا أقرب إلى المداراة، وأكثر أثرا لتألف القلوب، وإذا رأى من المريد تقصيرا فى خدمة ندبه إليها، يحمل تقصيره، ويعفو عنه، ويُحرضّه على الخدمة بالرفق واللين.

ومن جملة مهام الآداب: حفظ أسرار المريدين، فيما يُكاشفون ويُمنحون من أنواع المنح، فسر المريد لايتجاوز ربه وشيخه، ثم لا يُحقّر الشيخ فى نفس المريد مايجده فى خلوته من كشف أو سماع خطاب، أو شئ من خوارق العادات، ويعرفه أن الوقوف مع شئ من هذا يشغل عن الله تعالى.

ومن صدق عبودية الشيخ لربه : أن يتبرى من حوله وقوته، وعلمه، وعمله، وحاله فيقول كما قال الامام أبو العزائم رضى الله عنه:

علمت نفسى أنى كنت لاشئ ... فصرت لاشئ فى نفسى وفى كلّى

به تنزّه صرت الآن موجودا ... به وجودى وإمدادى به حولى

ومن أنا عدم الله جملنى ... فصرت صورته العليا بلا نيل

ويكون كما قال رضى الله عنه:

وإذا دعاهـــم أن يـــدلّوا غيرهم	قامــوا بحــول منه لا بفخـار
يدعــون والرهبــوت مـلء قلوبهم	بالهدى هدى المصطفى المختــار

وقد قال أبو يعقوب النهرجورى رضى الله عنه: «من علامة من تولاه الله فى أحواله، أن يشاهد التقصير فى إخلاصه، والغفلة فى أذكاره، والنقصان فى صدقه، والفتور فى مشاهدته، وقلة المراعاة فى فقره، فتكون جميع أحواله عنده غير مرضية، ويزداد فقرا إلى الله عز وجل فى قصده وسيره».

وقال أبو عمر إسماعيل بن نجيد رضى الله عنه: «لا يصفو لأحد قدم فى العبودية، حتى تكون أفعاله عنده كلها رياء، وأحواله كلها دعاوى، فالنفس مجبولة على ضد الخير، لولا فضل الله علينا ورحمته، قال الله تعالى: **«ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا»** [الآية (٢١) النور] وقال عز من قائل: **«وما أبرئ نفسى إن النفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى»** [الآية (٥٣) يوسف].

وقال بعض السادات رضى الله عنه: «ما هناك إلا فضله، ولا نعيش إلا فى ستره، ولو كُشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم، فلذا تبّرأ الأكابر من أعمالهم الصحيحة فضلا عن غيرها»، حتى قال أبو يزيد رضى الله عنه: «لو صفت لى تهليلة واحدة ما باليت بعدها بشئ»

وعن هذا الشيخ الذى تخلق بما ذكرناه يقول سيدى على الخواص رضى الله عنه: «علامة الشيخ الذى يجب الأدب معه أن يكون عارفا بالكتاب والسنة، قائلا بهما فى ظاهره، متحققا بهما فى سره، يراعى حدود الله، ويوفّى بعهد الله، لايتأول فى الورع، بل يأخذ بالاحتياط فى سائر أحواله، يشفق على جميع الأمة، لايمقت أحدا من العصاة، بل يتلطف به، ويدعوه إلى

الخير برحمة ورفق، جوده مطلق على البرّ والفاجر، والشاكر والجاحد، كأن جميع الخلق عائلته».

أدب السالك فى نفسه

الأدب تهذيب الظاهر والباطن، فإذا تهذّب ظاهر العبد وباطنه صار صوفيا أديبا، ولا يتكامل الأدب فى العبد إلا بتكامل مكارم الأخلاق، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: **«حسّنوا أخلاقكم»**. فإذا تزكّت النفس، تدبرت بالعقل، واستقامت أحوالها الظاهرة والباطنة، وتهذّبت الأخلاق، وتكونت الآداب، ولأهمية الأدب فى طريق القوم عبّر عنه كبار الصوفية، بعبارات تستولى على الألباب فقال عبد الله بن المبارك رضى الله عنه: أدب الخدمة، أعز من الخدمة.

وقال الجنيد رضى الله عنه: من أعان نفسه على هواها فقد أشرك فى قتل نفسه، لأن العبودية ملازمة الأدب، والطغيان سوء الأدب.

وقال أبو على الدقاق رضى الله عنه: العبد يصل بطاعته إلي الجنة، وبأدبه فى طاعته إلى الله تعالى.

وقال بعضهم : إلزم الأدب ظاهرا وباطنا، فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا، وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا.

وقال عبد الله بن المبارك: من تهاون بالأدب، عُوقب بحرمان السنن، ومن تهاون بالسنن عُوقب بحرمان الفرائض، ومن تهاون بالفرائض عُوقب بحرمان المعرفة.

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: الأدب فى العمل علامة قبول العمل

وقال أبو على الدقاق رضى الله عنه: ترك الأدب موجب للطرد، فمن أساء الأدب على البساط، رُدّ إلى الباب، ومن أساء الأدب على الباب رُدّ إلى سياسة الدواب.

وقال أبو نصر السّراج رضى الله عنه: أدب أهل الخصوصية من أهل الدين فى طهارة القلوب، ومراعاة الأسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت، وقلة الالتفات إلى الخواطر والعوارض، والبوادى والعوائق، واستواء السر والعلانية، وحسن الأدب فى مواقف الطلب، ومقامات القرب، وأوقات الحضور، والأدب أدبان: أدب قول، وأدب فعل؛ فمن تقرب إلى الله تعالى بأدب فعل، منحه محبة القلوب.

وقال النورى رضى الله عنه: من لم يتأدّب للوقت فوقته مقت.

ولما كانت جميع آداب المريد يعسر حصرها وضبطها فى عبارة على وجه التفصيل، فنكتفى بذكر طرف صالح منها، فمن ذلك:

١- الصدق فى طلبه للطريق، ومحبته للشيخ، والاكثار من زيارته، لما فيها من زيادة فيض الامداد، واكتساب الأوصاف المحمودة، والتخلص من الأوصاف المذمومة، مع اقتباس العلم والحال، وفى ذلك من الخير مالا يعلمه إلا الله ومحّك الصدق فى محبة الشيخ أن لا يصرفه عنه صارف، ولا تردّه السيوف والمتالف.

٢- زيارة الاخوان فى الله تعالى، لأنها قربة عظيمة، ومنقبة جسيمة، وهى من أفضل السياحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه الامام أحمد، وابن حبان، والحاكم ، والقضاعى عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه: **«وجبت محبتى للمتحابين فى، والمتجالسين فىّ، والمتزاورين فىّ، والمتباذلين فىّ»**

٣- طلب العلم النافع الذى يقول فيه صلى الله عليه وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» والمراد بالعلم فى الحديث العلم بذات الله وصفاته، وأحكامه، وعلوم القرآن، والحديث الشريف وسير الأنبياء والمرسلين، وحكايات الصالحين وما شابه ذلك.

٤- ردّ المظالم إلى أهلها، والتحلل من حقوق العباد بالكلية؛ كلما أمكن ذلك سواء فى العرض أو المال.

٥- التوبة من سائر الذنوب الظاهرة والباطنة، كالغيبة، وشرب الخمر، والحسد، ونحو ذلك.

ويتدرج فى ذلك من التوبة عن الكبائر، ثم الصغائر، ثم المكروهات، ثم من خلاف الأولى، ثم من رؤية الحسنات حتى يتوب من رؤية أنه صار معدودا من الفقراء.

٦- ملازمة المجاهدة لنفسه، فقد قال الشيخ أبو على الدقاق رضى الله عنه: « من زيّن ظاهره بالمجاهده، زيّن الله باطنه بالمشاهدة، ومَن لم يجاهد نفسه فى بدايته لايشم من الطريق رائحة» وكان أبو عثمان المغربى رضى الله عنه يقول: «من ظن أنه يفتح عليه بشئ من هذه الطريق بغير مجاهدة، فقد رام المحال».

٧- الأخذ بأركان الطريق الأربعة: الجوع، والعزلة، والسهر، وقلة الكلام.

٨- مخالفة هوى النفس، فلا يوافقها قط فيما تهواه، لأن رأس مال المريد مخالفة النفس، قال أبو حفص رضى الله عنه: «من لم يتهم نفسه على دوام الحالات، ولم يخالفها فى جميع شهواتها، ولم يجرّها إلى مكروهها فى سائر الأوقات، فهو معذور فى سائر الحالات» وقال الامام البوصيرى رضى الله عنه:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محّضاك النصح فاتّهما

٩- أن لايكون له إلا شيخ واحد، لأن مبنى طريق القوم على التوحيد الخالص، وقد كان أبويزيد البسطامى رضى الله عنه يقول: «من لم يكن له أستاذ واحد، فهو مشرك فى الطريق، والمشرك شيخه الشيطان» وقال الشيخ محى الدين بن عربى فى الباب الأحد والثمانين ومائة من الفتوحات المكية: «اعلم أنه لايجوز لمريد أن يتّخذ له إلا شيخا واحدا، لأن ذلك أعون له فى الطريق، وما رأينا مريداً قط أفلح على يد شيخين، فكما أنه لم يكن وجود العالم بين إلهين، ولا المكلف بين رسولين، ولا امرأة بين زوجين، فكذلك المريد لايكون بين شيخين، هذا كله فى مريد تقيد بشيخ بقصد سلوكه الطريق، وأمّا من لم يتقيد فهو متبرك بالشيخ فقط، فمثل ذلك لا يُمنع من الاجتماع بأحد».

١٠- حذف العلائق الدنيوية، فإن من كان له علاقة دنيوية فقلّ أن يُفلح، ومن هنا قالوا: «من شرط التائب بُعْده عن اخوان السوء، الذين كانوا أصحابه فى المعاصى قبل أن يتوب منها، لأن القرب منهم ربما جرّه إلى الرجوع إلى فعل ما كان تاب منه».

١١- ومن شأنه أن يُوطّن نفسه على تحمل الشدائد فى الطريق، وألا ينصرف عنها، إذا أصابته الأسقام والآلام، والفاقات والبلايا المتلاحقة، بل يثبت على الطريق بالحق، ولا يتزلزل بالمحن فيها.

١٢- ومن شأنه عمله على تنظيف باطنه وظاهره عن الصفات التى تمنعه من دخول حضرة الله عز وجل كالغضب، وعز النفس والكبر والعجب والحسد ونحو ذلك، وكذلك مكابدة خواطره، ومعالجه أخلاقه، ونفى الغفلة عن قلبه بمداومة ذكر الله عز وجل.

١٣– ومن شأنه أن يغضّ بصره عن رؤية الصور المستحسنة ما أمكن، فإن النظر إليها كالسهم الذى يصيبه فى قلبه فيقتله، لاسيما إن نظر بشهوة، فإنه كالسهم المسموم الذى يذيب جسم الانسان فى لمحة. وكان أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه يقول: «من أكبر القواطع على المريد، مصاحبة الأحداث والنّسوان، والمساكنة إليهم بميل القلب، ومن ابتلاه الله بشئ من ذلك، فبإجماع القوم: ذلك عبد أهانه الله وخذله، بل عن مصالح نفسه شغله، ولو بألف ألف كرامة أهّله، ولو لم يكن إلا أنه شغل قلبه بمخلوق، فأدخل فيه الشيطان، وحرم محبة الحق قلبه، وأقبح من ذلك كله، تهوين مثل ذلك على القلب».

وقد قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه: «الأنوار القدسية» ص ٥١: «وقد صنّف سيدى محمد الغمرى كتابا سماه «العنوان فى تحريم معاشرة الشباب والنسوان» وحطّ فيه على المطاوعة، أشد الحطّ، وكذلك على الفقراء الأحمدية، الذين يأخذون العهد على النّسوان، ويصير أحدهم يختلى بهن فى غيبة أزواجهن، وتقول له: يا أبى، ويقول لها: يا بنتى، وقال: إن ذلك خارج عن قواعد الشريعة، وإن من استحل ذلك أخطأ، واستدل بقوله تعالى للصحابة، فى حق زوجات النبى صلى الله عليه وسلم: «**وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن**» [الآية (٥٣) الأحزاب]

وقال: كيف يدعى جاهل وجاهلة، ونفوسهما عافة على محبة الحرام كالذباب على العسل، أن مثل ذلك لايضر،»

١٤– ومن شأنه أن لايقنع بحكايات أهل الطريق، دون منازلة مقاماتهم، ويصير يحكى المقامات حتى كأنه نزلها، فإن ذلك من أكبر القواطع على

المريد، وهو من النفاق والخيانة فى الطريق.

فإن من يحفظ كلام القوم مثل رسالة القشيرى، أو عوارف العوارف، أو كلام الشيخ محى الدين بن عربى، عن ظهر قلب، فهو صاحب علم؛ لاصاحب سلوك، فلا يُفتح على يديه لأحد، إذا تصدّر للمشيخة، وهذا الأمر قد وقع فيه جماعة كثيرة من أهل عصرنا، فالتبس على غالب الناس أمرهم، وعدّوهم من أهل الطريق، لجهل الناس بمراتب أهل الطريق.

١٥- ومن شأنه أن لايتصدر لإلقاء درس فى علم الظاهر والباطن، حتى يشهد له شيخه بالاخلاص فيه، وكذلك لا يجعل له مريدين؛ لأن كل مريد تصدر لإلقاء درس، أو لتعليم الطريق، قبل خمود نار بشريته، والاذن له من شيخه، فقد قُطع به وضلّ وأضلّ، وحُجبت عنه الحقائق، وعُدم الخلق الانتفاع به. وذلك لأن محبة الجاه والصيت الحسن قد أضلته، فصارت مرآة قلبه منطمسة النور، فلا يعرف الحق من الباطل، ولا يدرك أحوال الطريق بذاتها.

١٦- ومن شأنه أن يحافظ على آداب الشريعة، والمشى على ظاهرها ما أمكن، فإن الترقى كله فى امتثال أمر الشارع، كما يجب عليه أن لايدع الشريعة تعترض عليه فى شئ من أحواله.

١٧- ومن شأنه مجاهدة نفسه دائما فى ترك الشهوات، فقد قالوا: من وافق شهوته عُدم صفوته، وقد أوحى الله إلى داود عليه الصلاة والسلام: «يا داود حذّر وأنذر قومك أكل الشهوات، فإن قلوب أهل الشهوات، عنّى محجوبة».

١٨- ومن شأنه أن يكون قصير الأمل، وذلك حتى يجدّ فى الطاعات، ويجتنب المخالفات، فإن من كان طويل الأمل لازَمه التسويف بالخيرات،

والوقوع فى المخالفات، وتقول له نفسه: إذا قرب أجلك فتب إلى الله تعالى من جميع المخالفات السابقة فتكون كأنك لم تذنب قط، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له!؟

وهذا من أكبرخداع النفس، والواقع فيه أكثر من الكثير. ومن هنا قالوا: إن الصوفى ابن وقته، لا نظر له إلى ماض، ولا آت.

١٩- ومن شأنه التباعد عن مجالسة أبناء الدنيا، لكثرة غفلتهم عن الله تعالى، واشتغالهم بأمور الدنيا من مطعم وملبس ومنكح وغير ذلك، فيسرق طبع المريد منهم محبة العلائق الدنيوية، والمريد إنما همه فى حذف العلائق، ولذلك كانت مجالستهم للمريد سمّ قاتل.

٢٠- ومن شأنه التباعد عن فعل كل شئ يميت قلبه ككثرة اللغو والغفلة، فإن ذلك مجرب لموت القلب، وليس عمل الصوفى إلا بتحصيل مابه حياة قلبه.

٢١- ومن شأنه أن يكون لهجا بذكر الله عز وجل فى سائر أوقاته، ولا ينثنى عن ذلك حتى يحصل له الحضور الدائم مع الله، فهناك يستغنى عن ذكر اللسان بالشهود القلبى، ومادام لم يحصل له الحضور الدائم، فهو مأمور بذكر اللسان.

٢٢- ومن شأنه اتباع الشرع فى سنن الفطرة كنتف الابط وحلق العانة، واتخاذ المشط والسواك والخلال، وكل شئ ندب الشارع اليه فتهيئة أسبابه من السنة.

٢٣- ومن شأنه أن يحذر كل الحذر من الاهتمام بظهور شأنه، وانتشار صيته فى البلاد مثل ما انتشر صيت شيخه مثلا، فقد قال سيدى على وفا رضى الله عنه: «يا مريد الله لاتهتم بإظهار شأنك، اهتماما يحملك

على الاستعانة بالخلق، فإنك إن كنت على نور وحق، فسوف يظهرك الله، وكفى بالله وليا، وكفى بالله نصيرا، وإن كنت على ظلمة وباطل، فلا تتسبب فى إظهار شأنك، وإشاعة صلاحك، فإنك لا تتمتع بذلك - إن تمتعت به - إلا قليلا، ثم الله أشد بأسا، وأشد تنكيلا»

٢٤- ومن شأنه أن يكون دائم الإيثار لأصحابه، فى سائر الشهوات على نفسه، وقد أجمع الأكابر على أن المريد إذا كان شأنه الايثار واحتمال الأذى، فلا بد من رفعته على جميع أقرانه، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة، وإما فيهما معا، وكان سيدى على وفارضى الله عنه يقول: «لا يسود أحد على أقرانه، إلا إن آثرهم على نفسه، ولم يشاركهم فى شئ مما استشرفت إليه نفوسهم».

٢٥- ومن شأنه التباعد عن كل من لا يراه يعمل بعلمه، لئلا يسرق طباعه فيهلك مثله،، فإن جليس السوء أضر علي جليسه من إبليس، فإن إبليس إذا وسوس للمؤمن، عرف المؤمن أنه عدو مضل مبين، أما اخوان السوء فإنهم يلبسون الحق بالباطل، على وفق أغراضهم وأهوائهم، ولذلك قالوا: ستون من مردة الشياطين، لايفسدون ما يفسده قرين السوء فى لحظة. وقد قال الشيخ عبد الوهاب الشعرانى رضى الله عنه فى (الأنوار القدسية) ص ٦٥: «وقد كان سيدى ابراهيم المتبولى، إذا خرج من زاويته مريد ليتعلم فى الجامع الأزهر يقول له: إذا دخلت الجامع فاسأل عن علمائه، فكل من مدحه الناس بالورع والزهد، وقلة التردد إلى الأكابر فاقرأ عليه، وإياك أن تقرأ على من لا يتورع فى مأكله أو ملبسه، فإنك تصير مثله على طول، وإذا تعلمت العلم فاطلب طريق العمل به على يد الصوفية، فإنهم يقربون عليك الطريق، وإذا قال لك فقيه بعد ذلك: ماذا

استفدته بعدنا من صحبتك للصوفية؟

فقل له: استفدت منهم حسن العمل بما تعلمته منكم» ثم عقّب الشعرانى رضى الله عنه على ذلك قائلا:

«فلو أن الفقهاء عادة يعتنون بالعمل بعلمهم، كما يعتنى به الصوفية، لكانوا هم الصوفية، ولم يحوجوا طالبا إلى غيرهم، كما كان عليه السلف الصالح من العلماء، فإن حقيقة الصوفى هو عالم عمل بعلمه على وجه الاخلاص لاغير، وكان الشافعى رحمه الله مع جلالته يجالس الصوفية، فقيل له: ماذا استفدت من مجالسة هؤلاء؟ فقال: استفدت منهم شيئين، قولهم: الوقت سيف إن لم تقطعه قطعك، وقولهم: إن لم تشغل نفسك بالخير، شغلتك بالشر.

وكذلك كان الامام أحمد رحمه الله يجالس أبا حمزة البغدادى الصوفى، وكان إذا أُشكل عليه شئ يقول: ما تقول فى هذا ياصوفى، وكفى بذلك منقبة للقوم، فلولا أن عندهم مزيد خصوصية، ما احتاج اليهم مثل الامام أحمد»

٢٥- ومن شأنه أن يكون مجتهدا فى طاعة ربه لاسيما أول بدايته، فإنهم قالوا: من لم يكن مجتهدا فى بدايته، لايُفلح فى نهايته، وكان سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه يقول: «لابد للمريد من المجاهدة مع الاخلاص، فإنه إذا صدق فى معاملة الله تعالى فى السرائر، جعله على الأسرّة والحظائر» وكان يقول أيضا: «يجب على المريد الضعيف الحال، أن يأخذ من العلم ما يجب عليه لتأدية فرضه ونفله، ولا ينبغى له أن يشتغل بشئ زائد على ذلك، من الفصاحة والبلاغة حتى ينتهى سيره، ويعرف ربه، وهناك يصير لا يشغله عن ربه شاغل، فإن قرأ فى علم النحو كان مع الله، أو فى علم الكلام كان مع الله، أو فى علم الأحكام كان مع الله: كشفا وشهودا، بخلاف من لم يبلغه بسيره، فكل شئ

اشتغل به فى الوجود، ربما يشغله عن الله، حتى الكلام المباح».

٢٦- ومن شأنه البعد عن كل ما فيه حظّ للنفس، وألا يكون عنده منافسة لأحد، ولا يجادل فى شريعة ولا حقيقة، وكان سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه يقول: «من شرط المريد الصادق، أن يكون خارجا عن حظوظ نفسه كلها، لا التفات له إلى حظ من الحظوظ، من مال أو جاه، أو نسبة إلى صلاح، يرضى بالتلف والضيق، ويفرح بالخمول وعدم الشهرة، كما هو شأن الصادقين، لأن الفلاح والنجاح لا يصح إلا لمن ترك حظوظ نفسه، وقابل الأذى بالاحسان، والشر بالاحتمال»

٢٧- ومن شأنه أن يفتش عن الحلّ فى اللقمة، وساتر العورة، لأن لسانه مادام يذوق الحرام والشبهات فأعماله لا يفى نورها بظلمة تلك اللقمة، ومعلوم أن عمل المريد دائما، إنما هو فيما يستنير به قلبه ليفرق بين الهدى والضلال.

٢٨- ومن شأنه أن يفر ممن يرمى أهل الطريق بزور، أو بهتان، أو رياء، أو نفاق، فإن كل من تجرأ على أهل الطريق، أبغضه الله ومقته، فلا يُفلح بعد ذلك أبدا، ولو كان على عبادة الثقلين سوى ذلك.

٢٩- ومن شأنه الحرص على شهود الأسحار، وفعل السنن والأوراد، والتباعد عن المعصية، وترك الادعاء، فقد كان سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه يقول: «من علامة كذب المريد فى دعواه كمال الصدق فى محبة ربه، نومه فى الأسحار، وفوات شربه من دنّ الدنو، وخمر الخمار» ويقول أيضا: «من شرط المريد أن يكون من أبعد الناس عن الآثام، كثير السهر والقيام، كلما زاد فى خدمة سيده زاده قربا وإحسانا».

٣٠- ومن شأنه أن لا يطيع الملل من قراءة الأوراد التى أمره بها شيخه؛ لأن كل شيخ قد جعل الله مدده وسرّه، وسرّ طريقته فى أوراده، التى يأمر بها المريد، فمن ترك ورده، فقد نكث عهد شيخه، وأجمعوا على أنه ما قطع مريد ورده إلا انقطعت عنه الإمداد فى ذلك اليوم.

٣١- ومن شأنه أن يوبخ نفسه، ويحثها على السير فى الطريق، كلما وقفت مع حظ من حظوظها، فقد قال سيدى ابراهيم الدسوقى رضى الله عنه: «من شرط المريد الصادق أن يكون سائرا فى المقامات، ليلا ونهارا، غدوّا وآصالا، لا مقيل له ولا هدوّ، وجواده قد فرغ من اللجم، وامتلأ من الشجاعة والعزم، قد شق بطنه السرى، وأسقمها البرى، لا يفنّد همته مفنّد، ولا يهوله مهلك، ولا تردّه ضربات الصوارم، ولا يفشله شيطان غوى ولامارد، حتى كل من خاصمه فى محبوبه عاد مخصوما، لا يهدأ، ولا ينام، ولا يضحى، بل الدهر كله عنده سواء، حتى يدخل خيام ليلى، ويضع خدّه على أطناب تلك الخيام، ويسمع الخطاب، فهناك ينتعش ويطيب، ويُقال له: استرح ياطول ما قطعت برارى وقفارا، وجبالا وبحارا، وظلاما ونارا، يا طول ما تعبت، وتغيبت، يا طول ما رجع غيرك من الطريق، وجئت فأكرم الله مثواك، ولا خيب مسعاك، أنت اليوم عندنا ضيف مكين أمين، وضيافتنا لا ينقضى أمدها، بل هى باقية أبد الأبدين»

٣٢- ومن شأنه أن لا يكون عنده حسد، ولا غيبة، ولا بغى، ولا مخادعة، ولا مكابرة، ولا مماراة، ولا ممالقة، ولا مكاذبة، ولا كبر، ولا عجب، ولا ترفّه، ولا افتخار، ولا شطح، ولا حظوظ نفس، ولا تصدر فى مجالس، ولا رؤية نفس على أحد من المسلمين، ولا جدال، ولا امتحان ولا تنقيص لأحد من أهل الطريق.

فإن من أدعى الصدق فى الارادة وعنده خصلة واحدة مما ذكرنا، فهو غير صادق، ولا يجئ منه شئ فى الطريق، لأن هذه الصفات توقف صاحبها عن السير، بل تطرده عن حضرة الله عز وجل إلى حضرة الشياطين لأنها صفاتهم، وقد جمع ذلك الامام أبو العزائم رضى الله عنه فى نصيحته لأهل السلوك التى يقول فيها:

«أخى تباعد عن أخلاق ابليس وهى الحسد والكبر والطمع، وحب الشهرة والسمعة، وأذية الخلق، والغيبة والنميمة، والكذب والزور، واشاعة الفاحشة فى اخوانك المؤمنين، وأحب لجميع اخوانك ما تحبه لنفسك، ودع الفساد.

وتباعد عن أخلاق البهائم من الحرص والبخل والانتقام والحيل والمكر والخداع، والتملك والزنا وشرب الخمر، والتهاون بحقوق الناس.

وتخلق بأخلاق الملائكة بتأدية المأمورات، والتباعد عن المنهيات، واحفظ الرأس وما وعى: من العينين والأذنين واللسان والأنف، والجسم وما حوى: من اليدين والقلب والبطن والفرج والرجلين، واحكم يا اخى أنك من أكابر الأولياء لله تعالى، المحفوظين بعين عنايته، لأن الله لايوفق لهذه إلا صفوته من أوليائه، وهو الموفق الهادى سبحانه، وأدم الشكر على النعمة تعط المزيد» (من كتاب شراب الأرواح ص ٥٠).

٣٣- ومن شأنه أن يرفع همته عن طلب الأجر على أعماله وعباداته فقد قال سيدى على وفا رضى الله عنه: «من طلب أجرا على عمله فهو امرأة، وإن كان له لحية، فإن الرجال للمنن القدسية، والنساء للزينة الحسية، فأيما امرأة تعلقت همتها بالمنن القدسية فهى رجل، وأيما ذكر تعلقت همته بالزينة الحسية فهو امرأة».

٣٤- ومن شأنه أن يصبر على ما يقع له فى الطريق من الامتحانات، فإنه لابد لكل صادق من ذلك، شاء أم أبى، إذ لا يصطفيه الحق تعالى، وهو يميل إلى أحد سواه، فإذا قام عليه الخلق بالانكار، والرمى بالزور والبهتان، نفرت نفسه منهم ضرورة، وتجردت إلى محبة الحق تعالى.

٣٥- ومن شأنه أن لا يقلق من تنكرات الأحوال عليه أول دخوله الطريق، فكثيرا ما تتحول الدنيا من يد المريد أول دخوله الطريق فربما قال - ولو فى نفسه - ما كان لى حاجة باتباع الطريق - فينتقض عهده فلا يفلح بعد ذلك. وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقول: «إذا ضيق الله عليك أيها المريد، وسدّ عليك أبواب الرزق، وقسّى عليك قلوب عباده، فاعلم أنه يريد أن يواليك، فاثبت ولا تضجر».

٣٦- ومن شأنه أن لاينظر إلى زلاّته السابقة قبل دخوله فى الطريق، ويقول فى نفسه: بعيد على مثلى أن يفتح عليه ويصير صالحا، فإن ذلك من أكبر القواطع، ومن أعون الأمور لابليس، قال الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه: «لاينبغى للمريد أن ينظر إلى زلاّته السابقة، ويقنط من حصول الفتح، فإن كثيراً من أهل الطريق تقدم لهم زلاّت، ثم تابوا وصاروا من الأولياء»

٣٧- ومن شأنه أن لا يستبطئ الفتح عليه، بل يعبد الله تعالى لوجهه الكريم، سواء أفتح قلبه ورفع عنه الحجاب أم لا؟ فإن العبادة من شروط العبودية، قال الشيخ محى الدين بن عربى رضى الله عنه فى الباب الرابع والمائتين من الفتوحات: « إياك أن تترك المجاهدة ، إذا لم تر أمارات الفتح، بل دُمْ على المجاهدة، فإن الفتح بعدها أمر لازم لابد منه، تطلبه الأعمال، وتناله الأنفس، ولكن للفتح وقت لا يتعداه، فلا تتهم

ربك، فإنه لابد لأعمالك من الثمرة، إذا كنت مخلصاً، وإرفع من نفسك التهمة لربك جملة واحدة، وفر من أن تكون من أهل التهم ».

٣٨- ومن شأنه أن يلازم الزهد فى الدنيا، فإنه أساسه الذى يبنى عليه جميع أحكام الطريق، إذ الراغب فى الدنيا، لا تفتح له أعمال الآخرة، قال سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه : « أول أساس يضعه المريد الصادق فى الطريق : الزهد فى الدنيا، فمن لم يزهد فى الدنيا، لا يصح له بناء شئ بعده ».

٣٩- ومن شأنه إستواء المدح والذم عنده من الناس، والخير والشر عنده من الله عز وجل، فيرضى بالقضاء، وعلامة ذلك أن يستوى عنده المنع والعطاء، وذلك من علامة إخلاصه، وعبادته ربه بلا علة.

٤٠- ومن شأنه أن لا يتكبر عن سماع النصيحة من شيخة أو من إخوانه فقد قال سيدى إبراهيم المتبولى رضى الله عنه : « من شرط المريد الصادق أن يرى نفسه دائماً فى مقام الطفولية، ليرضع من ثدى المربى، فإن من كبر إستحق الفطام، ومنعوه الرضاع » وقال سيدى على وفا رضى الله عنه : « إياك أن تحسد من إصطفاه الله تعالى عليك من أقرانك، وجعله من أهل الطريق دونك، وإنقادت إليه الأمراء والأكابر دونك، وتقول : أنا تربيت وإياه، ونحن نعرف بعضنا، كما يقع فيه كثير من أهل الرعونات، بل الواجب عليك أن تكون تلميذاً له، وتتبرك به كما يتبرك به غيرك، حيث تعيَّن ذلك عليك بطريقه الشرعى، فمن حسد من رفعه الله عليه، ربما مسخ الله صورة قلبه، كما مسخ إبليس من الصورة الملكية إلى الصورة الشيطانية، حين حسد آدم عليه السلام وتكبر عليه وقال : أنا خير منه.

وفى ذلك تحذير عظيم لمن يحسد أحداً ممن رفعه الله عليه من أقرانه، ويتكبر عليه، ولا يخضع، ولا يأتم به وقد أجمع الأشياخ على أنه يجب على الشيخ إذا رأى مريده قد فاقه، وعلا عن مقامه، أن يكون تلميذاً له، ويدخل تحت حكمه كما تقدم، لأن الصادق ليس قصده رياسة على العباد، وإنما قصده القرب من حضرة الله عز وجل، فإذا رأى من هو أقرب منه إليها، فالواجب عليه أن يكون تلميذاً له، كما وقع لسيدى يوسف العجمى وغيره، فربَّوا جماعة، فبرعوا عليهم، فعادوا وأخذوا عنهم رضى الله عنهم أجمعين ».

ولا يستطيع السالك أن يتأدب فى نفسه بهذه الآداب العالية، إلا إذا لاحظ بعين فكرته، أو رأى بعين بصيرته، حقيقته الأولى، وهى أنه مخلوق من تراب أو من طين، أو من ماء مهين، ورأى مازاد عن ذلك من صفات، وكمالات، إنما هى فيض هبات، وأسرار تنزلات من الحق عز وجل عليه وفى هذا يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه : « من رأى نفسه فوق التراب ضلّ » ويقول إبن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه فى حكمه : « إدفن نفسك فى أرض الخمول تشرق عليك أنوار الوصول ». فالسالك الصادق هو الذى ينظر دائماً إلى سيئات نفسه، وحسنات إخوانه، ولا يلتفت إلى أعماله الصالحة، ويغض طرفه عن عثرات إخوانه، وأجمل ما يتخلق به السالك مع من حوله هو ما عبّر عنه الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى قوله : « يجب على السالك أن يكون كالأرض فى التواضع، وكالشمس فى المنفعة، وكالبحر فى الكرم، وكالليل فى الستر ».

أدب السالك مع شيخه

إعلم يا أخى أن أحداً من السالكين، لم يصل إلى حالة شريفة فى

الطريق أبداً، إلا بملاقاة الأشياخ، ومعانقة الأدب معهم، والإكثار من خدمتهم، وقد كان الإمام الجنيد رضى الله عنه يقول : « من سلك بغير شيخ ضل وأضل، ومن حُرم إحترام الأشياخ، إبتلاه الله تعالى بالمقت بين العباد، وحُرم نور الإيمان ».

وكان أبو تراب النخشبى رضى الله عنه يقول : « إذا ألف القلب الإعراض عن الله، صحبته الوقيعة فى أولياء الله ».

وقال القشيرى رضى الله عنه : « لو لم يكن للمريد من الباعث على الأدب إلا قول موسى عليه السلام للخضر : **« هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً »** [الآية (٦٦) الكهف] لكفاه ذلك، فإن موسى عليه السلام لما أراد صحبة الخضر، حفظ شرط الأدب فإستأذن أولاً فى الصحبة، ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه فى شئ، ولا يعترض عليه فى حكم من الأحكام، ثم لما خالفه موسى تجاوز الخضر عنه المرة الأولى والثانية، فلما إنتهى إلى الثالثة التى هى أول حد الكبيرة قال له : **« هذا فراق بينى وبينك »** [الآية (٧٨) الكهف] وكان سيدى عبد القادر الجيلى رضى الله عنه يقول : « من لم يعتقد فى شيخه الكمال، لا يُفلح على يديه أبداً » وأبو على الدقاق رضى الله عنه يقول : « من دخل فى صحبة شيخ، ثم إعترض عليه بعد ذلك، فقد نقض عهد الصحبة، ووجب عليه تجديد العهد، على أن الأشياخ قد قالوا : إن عقوق الأستاذ، قد يترتب عليه إستحكام المقت، فلا يكاد يصح من ذلك العاق توبة، وقيام الإستهانة بالشيخ فى باطن العاق التائب ».

وكان أبو جعفر الخلدى يقول : « من لم يحفظ الأدب مع المشايخ، سلط الله عليه الكلاب التى تؤذيه » وكان أحمد الأبيوردى رضى الله عنه يقول :

« إياكم والعمل على تغيير قلب شيخكم عليكم، فإن من غيّر قلب شيخه عليه، لحقته العقوبة، ولو بعد موت الشيخ ».

وقال الشيخ عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه فى (الإبريز) صـ٤١٨ :
لا يطمع أحد فى معرفة الله، وهو لا يعرف الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يطمع أحد فى معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو لا يعرف شيخه، ولا يطمع أحد فى معرفة شيخه، وهو لم يصّل على الناس صلاته على الجنازة، فإذا خرج الناس من نظره، وصار لا يُبالى بهم فى أقواله وأفعاله وشئونه كلها، جاءته الرحمة من حيث لا يحتسب.

وقد إستنبط الأئمة الأدب الواجب مع الشيخ من أدب الكليم عليه السلام، مع العبد الصالح، وكذلك من تأديب الله تعالى لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى : « **يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله وإتقوا الله إن الله سميع عليم** » [الآية ا(لأولى) الحجرات] فقد نزلت فى أقوام، كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شئ خاضوا فيه، وتقدموا بالقول والفتوى، فنُهوا عن ذلك، وتعليقاً على هذه الآية يقول السهروردى فى (عوارف المعارف) : « هكذا دأب المريد فى مجلس الشيخ، ينبغى أن يلزم السكوت، ولا يقول شيئاً بحضرته، من كلام حسن، إلا إذا إستأمره الشيخ فى ذلك، ووجد من الشيخ فُسْحة، وشأن المريد فى حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر، ينتظر رزقاً يُساق إليه، فتطلعه إلى الإستماع، وما يرزق من طريق كلام الشيخ، يحقق مقام إرادته، وطلبه وإستزادته من فضل الله تعالى، وتطلعه إلى القول، يردّه عن مقام الطلب والإستزادة، إلى مقام إثبات شئ لنفسه، وذلك جناية المريد، وينبغى أن يكون تطلعه إلى مهم من

حـاله، يسـتكشـف عنه بالسـؤال من الشـيخ على أن الصـادق لا يحـتـاج إلى السـؤال باللسـان فى حضـرة الشـيخ، بل يبادئه الشـيخ بما يريد، لأن الشـيخ يكون مسـتنطقاً نطقه بالحق، وهو عند حضـور الصـادقين يرفع قلبه إلى الله تعـالى، ويسـتمطر ويسـتسـقى لهم، فـيكون لسـانه وقلبـه فى القـول والنطق، مأخـوذين إلى فهم الوقت من أحـوال الطالبين المحتـاجين إلى مايفتـح عليه، ثم قال : ويكون الشيخ فيما يجريه الحق سبحانه وتعالى على لسانه، مستمعاً كـأحـد المسـتـمـعين » وكـذا قـوله تعـالى : « **يأيهـا الذين آمنوا لا ترفـعـوا أصـواتكم فوق صـوت النبى، ولا تجـهـروا له بالقـول كجـهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمـالكم وأنتم لا تشـعرون** » [الآية (٢) الحجرات] فقد كـان ثابت بن قـيس بن شـمـاس فى أذنه صـمـم، وكـان جـهـورى الصـوت، فـإذا تكلم جـهـر بصـوته، وربما كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيتـأذى بصـوته، فـأنزل الله الآية، تأديبـاً له ولغيـره، ولذلك كـان عمـر بعـد ذلك، إذا تكلم عند النبى صلى الله عليه وسلم، لا يُسـمع كـلامـه حـتى يُسـتـفـهم، وآلى أبـو بكر أن لا يتكلم عند النبى صلى الله عليه وسلم إلا كأخى السرار.

قال صاحب العوارف : « فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع شيخـه، فلا ينبسط برفع الصوت، وكثرة الضحك والكلام، إلا إذا باسطه الشيخ، فرفع الصوت إلقاء لجلباب الوفاء والوقار، إذا سكن القلب عقل اللسان، وقد ينال باطن المريدين من الحرقة والوقار من الشـيخ مـالايسـتطيع أن يشـبـع النظر إلى الشيخ ».

وقـال أبو عـثـمـان : « الأدب مع الأكـابر، وفى مـجلس السـادات من الأوليـاء، يبلغ بصـاحبـه إلى الدرجات العلى، والخير فى الدنيا والعقبى، ألا ترى إلى قوله تعالى : « **ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم** ».

وفى هذا تأديب للمريد فى الدخول على الشيخ، والإقدام عليه، وترك الإستعجال، وصبره إلى أن يُخرج الله الشيخ من موضع خلوته ».

وقد أجمل الإمام أبو العزائم رضى الله عنه الأدب الواجب مع المرشد فى عبارة واحدة فى كتابه (دستور السالكين) صـ٤٤ فقال : « تقيمه مقام الوالد الرءوف الرحيم، وتقوم له بما يقوم به الولد البار الكريم » لكننا سنشير بإيجاز إلى جُمل من الآداب الواجبة على المريد نحو شيخه، ليتأسّى بها أهل الصدق والإخلاص.

فمن ذلك :

١- أن يعمل على تطهير نفسه ظاهراً وباطناً، مما يخالف الشرع، من كل الكبائر خُلقاً وعملاً، إذا رغب فى الفتح بمتابعته، ويحافظ على ذلك، فقد أجمع أهل الطريق على أن من صفات المريد الصادق فى محبة الشيخ، أن يكون تائباً من جميع الذنوب، متطهراً من سائر العيوب، فمن تلطخ بالذنوب وإدعى محبة شيخه فهو كاذب.

٢- أن يجعل ذات الشيخ هى المقصودة له، أى يطلب بمتابعته التخلق بأخلاقه، والتجمل بأحواله، ولا يجعل مقصده من الشيخ، كرامة يبتغيها، أو مكانة يرجوها، أو دنيا يصيبها.

٣- أن يكتم أحوال الشيخ، التى أباحها له، فى سر إلهى، أو دينى، أو دنيوى أو أخروى - مادام سمعه منه منفرداً- لئلا يقدح ذلك فى حفظه لأمانته. قال سيدى محمد الشناوى رضى الله عنه : « إياك أن تُفشى أسرار شيخك فى تقريره لكلام القوم، لمن لا يؤمن به، ولا ذوق له فى الطريق، فربما مقتك الشيخ بسبب ذلك فلم تُفلح بعدها ».

٤- أن يكون بعيداً عن الشبهات ظاهراً وباطناً، ولا يعتمد على حفظ نفسه بحاله، ولا يقلد الشيخ فى أحواله التى يظهر بها فى المجتمعات، ولا فى أحواله الخاصة عند جمعه على الله عز وجل.

٥- مهما أكرمه الله تعالى بخصوصية، لا يخطر على قلبه، أنه أشبه المرشد، أو ساواه، أو إستغنى عنه، لأن ذلك دليل القطيعة عن الله تعالى، وإن كان الرجال لا يحظرون على فضل الله تعالى، لكن الطريق لا يسلم فيه إلا أهل الأدب.

٦- ومن الأدب أن لا يكتم من الشيخ شئ من حاله، ومواهب موارد فضل الحق عنده، وما يظهر له من كرامة أو إجابة، ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه، وما يستحى من كشفه يذكره إيماءاً وتعريضاً، فإن المريد متى إنطوى ضميره على شئ لا يكشفه للشيخ تصريحاً أو تعريضاً، يصير على باطنه عقدة فى الطريق، وبالقول مع الشيخ تنحل العقدة وتزول.

وكان سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه يقول : « لا ينبغى أن يكون بين المريد وأستاذه عورة من حيث الأمراض التى عنده، لأن شيخه طبيبه، وحال المريد الباطن عورة، ويجوز كشفها للطبيب لضرورة التداوى، ولا ينبغى له أن يكلف شيخه بمكاشفته بعيوبه، لأن الأشياخ منزهون فى كشفهم عن الإطلاع على العورات، لأنه كشف شيطانى يجب عليهم التوبة منه، وسؤال الحجاب، حتى لا يقع بصرهم على عورة أحد من خلق الله تعالى، ولولا أن المريد يخبرهم بأحواله الباطنة، ما عرفوها منه ».

٧- أن يكون المريد مع الشيخ مسلوب الإختيار، لا يتصرف فى نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره، وإذا كان معه فى أمر جامع،لا يذهب حتى يستأذن منه.

٨- أحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود، حتى يبادئه الشيخ بماله فيه من الصلاح قولاً وفعلاً.

٩- ومن الأدب : أن لا يدخل فى صحبة الشيخ إلا بعد علمه، بأن الشيخ قيّم بتأديبه وتهذيبه، وأنه أقوم بالتأديب من غيره، وقد كان سيدى على وفا رضى الله عنه يقول : « مرشدك إلى الحق تعالى، هو العين التى ينظر الحق بها إليك، باللطف والرحمة، وهو وجه الحق الذى يُقبل بواسطته عليك، ويرضى لرضاه، ويغضب بغضبه، فإعرف وإلزم، وأنظر ماذا ترى.

١٠- ومن الأدب : أن يراعى خطرات الشيخ فى جزئيات الأمور وكلياتها، ولا يستحقر كراهية الشيخ ليسير حركاته معتمداً على حسن خلق الشيخ، وكمال حلمه ومداراته.

١١- ومن أدب المريد مع الشيخ : أن لا يستقل بوقائعه وكشفه، دون مراجعة الشيخ، فإن الشيخ علمه أوسع، وبابه المفتوح إلى الله أعظم.

١٢- ينبغى للمريد أنه كلما أشكل عليه شئ من حال الشيخ، يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، وكيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، وإذا أخبره الخضر بسّرها، يرجع موسى عن إنكاره، فما ينكره المريد يكون لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ، فللشيخ فى كل شئ عذر بلسان العلم والحكمة. وكان الشيخ برهان الدين بن أبى شريف رحمه الله يقول : « من لم ير خطأ شيخه أحسن من صوابه هو : لم ينتفع به ».

١٣- ومن شأنه إذا تعذر عليه الفتح، أن يقيم العذر لشيخه، ويجعل اللوم على نفسه دون شيخه، ويقول : النقص منّى، فإن شأن المريد كما قال القشيرى رضى الله عنه : « كل مريد خطر بباله، أن له فى الدنيا والآخرة قدراً وقيمة، أو على وجه الأرض أحد من المسلمين دونه فى الدرجة، لم يصح له فى الإرادة قدم، وذلك لأن المريد إنما يجتهد فى العبادة ليحصل له الذّل والمسكنة بين يدى الله عز وجل، لا ليحصّل لنفسه المنزلة والجاه عند الناس، إما فى العاجل، وإما فى الآجل ».

١٤- ومن شأنه أن لا يفعل مع الشيخ شيئاً يوحش قلب الشيخ منه، فإن الله تعالى قد يغضب لغضب الشيخ، ويرضى لرضاه، لأنه قد يكون أعظم حرمة من والد الجسم، وإيضاح ذلك، أن الشيخ لا يأمر المريد، إلا بما أمر الله به، فمن خالفه خالف الشارع صلى الله عليه وسلم، ووقع فى غضب الله، بحسب تلك المعصية، من كبيرة أو صغيرة. وفى ذلك يقول القائل :

أقدم أستاذى على حق والدى ... وإن كان لى من والدى النسب والشرف

فذاك مربى الروح والروح جوهر ... وهذا مربى الجسم، وهو لها صدف

وكان أبو القاسم القشيرى رضى الله عنه يقول : « يجب على كل من زار شيخاً، أن يدخل عليه بالحشمة والحرمة، فضلاً عن شيخ الإنسان، ثم إن أهّله الشيخ لشئ من الخدمة، عدّ ذلك من جزيل النعمة، وليحذر من أن يقيم ميزان عقله الجائر، على من يدخل عليه من الأشياء فربما مقته الشيخ، فلا يُفلح بعدها أبداً » وقال سيدى محمد الشناوى رضى الله عنه : « مما أنعم الله تعالى به على، أنّى ما دخلت قط على شيخ، إلا وميزان عقلى مكسور، وأرى نفسى تحت نعاله، فلا أخرج من عنده، إلا بمدد وفائدة ».

١٥- ومن شأنه أن لا يقنع بمجرد إعتقاده فى الشيخ، ويتساهل فيما يأمره فيه، أو ينهاه عنه، ويقول : نظر سيدى يكفينى، فإن ذلك جهل بالطريق.

وقد قال بعض الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أسألك مرافقتك فى الجنة، فقال له صلى الله عليه وسلم : « **أعنّى على نفسك بكثرة السجود** »، فلم يجبه صلى الله عليه وسلم، إلى إتكاله عليه دون العمل، وخرج صلى الله عليه وسلم مرة فقال : « **يا فاطمة إعملى، فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً** ».

وكان سيدى على وفا رضى الله عنه يقول : « لا تطلب من شيخك أن يمنحك الأسرار، وأنت لم تتطهر من أعمال الفجار، فإن من وضع العسل فى قشور الحنظل، تمرّر لمرارة وعائه، وإلتبس على الجاهل أن العسل مُرّ من أصله ».

١٦- ومن شأنه أن لا يرى نفسه يستغنى عن علم شيخه، ولو صار من مشايخ الإسلام، فإن طريق القوم أمر خاص، زائد على علوم الظاهر، ولا يقدر غالب أصحاب العلم الظاهر، على أزالة شئ من أمراض الأعمال الباطنة، وقد كان الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه يقول : « ما صحب عالم مشايخ القوم، إلا إزداد علمه نوراً إلى نور، فالعاقل من إتخذ له شيخاً، ولم يكتف بما عنده من علم الظاهر، لأن الشيخ يصل به إلى محل القرب من حضرة الله تعالى، فيصير يكره المعاصى طبعاً فى تلك الحضرة، حتى لو قيل له إعص الله تعالى، لا يقدر لإرتفاع حجابه ».

وقد إتخذ الإمام الغزالى له شيخاً، مع كونه حجة الإسلام، وكذلك

الشيخ عز الدين بن عبد السلام إتخذ له شيخاً مع كونه لُقّب بسلطان العلماء، فغايتك يا أخى فى العلم أن تكون كأحد هذين الشيخين.

وكان أهل العصر الأول، لقلة أمراضهم وعللهم، لا يحتاجون إلى شيخ، فلما ذهبوا، وحدثت الأمراض إحتاج الفقيه إلى شيخ ضرورة، ليسّهل عليه طريق العمل بما علم.

فإن حقيقة الصوفى، هو عالم عمل بعلمه، أى على وجه الإخلاص لا غير، فليس علم التصوف إلا معرفة طريق الوصول إلى العمل بالإخلاص لا غير، فلو عمل العالم بعلمه، على وجه الإخلاص، كان هو الصوفى حقاً.

١٧- ومن شأنه أن لا يتساهل بهجر شيخه له، فقد قال سيدى محمد وفا رحمه الله : « كل مريد هجره أستاذه، فلم يتأثر من ذلك، ولم يشتق إليه، ولم يبادر لتطييب خاطره عليه، فقد مقته الله، ومكر به » والسر فى ذلك يوضحه الكتانى فيقول : « ما ثقل مريد على قلب شيخ، إلا لعلة بالمريد، أخفاها عن الشيخ » ويقول فى ذلك الجيلى رضى الله عنه :« كل مريد رأى نفسه معرضة عن مواددة الشيخ وإخوانه، فليعلم أنه قد شرع فى الأخذ فى طرده عن باب الله عز وجل ».

١٨- ومن شأنه أن لا يتعب شيخه فى تربيته، بأن يكون سميعاً مطيعاً لكل ما يشير به عليه، فقد كان الشيخ أبو العباس المرسى رضى الله عنه يقول : « ليس المريد من يفتخر بشيخه، وإنما المريد من يفتخر شيخه به » ويوضح ذلك الشيخ أبو الحجاج الأقصرى رضى الله عنه فيقول : « مَنْ صدق فى الإرادة مع الشيخ، لا يحتاج إلى الإجتماع بجسمه، بل يكفيه التوجه إليه بالقلب، لأن صورة صحة المعتقدات، إذا ظهرت لا تحتاج إلى صور الأشخاص، ولكن إن حصل للمريد الجمع بين

الصـورتين فهو أكمل » وكان يقول أيضـاً : « من شرط المريد، أن لا يصـحب شيـخه بنفس، ولا ملك، ولا إختيار، بل يرى نفسـه ملكاً لشيـخه، يتصرف فيه كيف يشـاء، وكل من طلب الوصـول إلى مـقامات الرجـال، بغير مـحبة شيـخ، ومخالفة نفس، فقد أخطأ الطريق ». ٠

ويقـول : « من خـدم شيـخه بـلا أدب، جرّه ذلك إلى العطب، ومـن خـدمه بالأدب، فقد حـاز عزّ الدارين، وحصّـل الارب » وكان يقول كثيراً : « لا ينال المريد الصـادق درجـة الرجـال، حـتى يبـذل الروح، ويُفنى إرادته تحت مـراد شيخه، ثم ينشد :

ولو قيل لى مُتْ مِتّ سمعاً وطاعة وقلت لداعى الموت أهلاً ومرحباً

وكـان يقـول من عـلامـة شـقـاء المريد : أن يرزق صـحـبـة الشـيـوخ، ولا يحترمهم »

١٩- ومن شـأنه، أن لا يرى، أنه كـافـأ أسـتـاذه أبداً، ولو خـدمـه ألف عـام، وأنفق عليـه الألوف من المال، ومن خطر ببـاله بعد ذلك، أنه قـابله بشئ، فقد خرج عن الطريق، ونقض العهد، وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يقـول : « لا تصـحـبـوا الأشـيـاخ، إلا بصـدق وإذعـان، وصـبر على جـفائهم لكم، بغير سـبب ظاهر، ولا تأتوهـم إلا بهمّة وقّادة، فـإنه أسـرع فى قبـول الشيـخ لكم، ومـا قـال شيـخ قط لمريد جـاء يطلب الطريق، أصـبر يومـاً أو يومين، أو سـاعة، إلا لما يراه من فتور همـة ذلك المريد، وسـوء أدبه، ولو أنه رأى عنده أدباً، لبـادر بأخذ العـهد عليـه، ولم يجـز للشيـخ أن يقـول : قف سـاعة، لأن ذلك يطفئ نار عزم المريد » وقد قال القائل :

وكنت قديما أطلب الوصل منهم فلما أتانى الحلم وارتفع الجهـل

تيقنّت أن العبد لاطلب له فإن قربوا فضل وإن أبعدوا عدل
وإن أظهروا لم يظهروا غير وصفهم وإن ستروا فالستر من أجلهم يحلو

وقال الآخر :

ولو طردوني كنت عبداً لعبدهم وإن أبعدوني زدت في الحب والود
ولي عندهم هجر كما حكم الهوى وهم أهل فضل لي ومنزلة عندي

٢٠- ومن شأنه، أن لا يأتي حضرة أستاذه قط إلا بالصدق، ولو تكرر إتيانه كل يوم ألف مرة، وقد كان سيدي علي وفا رضي الله عنه يقول : « ما جاء مريد إلى حضرة أستاذه بالصدق، إلا كان من أهله، وجاز للشيخ كشف الأسرار له، وإن جاء بغير الصدق، كان أمره بالعكس ».

٢١- ومن شأنه، إذا قدّم أستاذه عليه أحداً من إخوانه، أن يخدمه أدباً مع الأستاذ، وليحذر أن يحسده فتزلّ قدم بعد ثبوتها، وتذوق السوء، ولكن إن أراد التقدّم على الإخوان، فليطع شيخه، ويتخلق بالصفات التي يستحق بها التقدم، وهناك يقدمه شيخه كذلك على أقرانه، فإن الشيخ حاكم عادل بين المريدين. وكان سيدي علي وفا رضي الله عنه يقول : « لفلاح المريد ثلاث علامات : أن يحب شيخه بالإيثار، ويتلقى منه كل ما أمره به بالقبول، ويوافقه في كل أمر يرومه » ويقول أيضاً : « من تقرب إلى أستاذه بالخدم تقرب الحق تعالى إلى قلبه بأنواع الكرم » ويقول أيضاً : « من آثر أستاذه على نفسه، كشف الله له عن حضرة قدسه، ومن نزّه حضرة أستاذه عن النقائص، منحه الله بالخصائص، ومن إحتجب عنه أستاذه طرفة عين، فلا يلومن إلا نفسه، إذا أوبق بوائق البين، ولا يصل المريد إلى هذا المقام، إلا إن جعل مراد شيخه مراده ».

٢٢- ومن شأنه أن يلزم الأدب مع شيخه، ولا يطلب منه قط كرامة، ولا وقوع خارقة، ولا كشفاً، ولا غير ذلك،

فمن طلب من شيخه كرامة، حتى يتبعه، فهو إلى الآن لم يؤمن بكون أستاذه من أهل العلم بطريق أهل الله، وقد كان الشيخ أبو العباس المرسى رحمه الله يقول : « إحذر أيها المريد، أن تطلب من شيخك كرامة، حتى تتبعه فى أمره لك بالمعروف، ونهيه لك عن المنكر، فإن ذلك سوء أدب، وهو دليل شكك فى دين الإسلام، لأن ما دعاك إليه شيخك، ليس هو شرعه، وإنما هو شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو تابع لا متبوع، ولولا أن رحمه الله تعالى سبقت غضبه، لكان كل من خالف أمر داعيه إلى خير، هلك من وقته ».

٢٣- ومن شأنه، أن يلزم الأدب مع شيخه، ولا يتجسّس له قط على حال، ولا حركة، ولا سكون، ولا يترك نفسه تميل إلى ذلك، ولا يقف له على نوم، ولا طعام، ولا شراب، ولا غُسل جنابة، وكل مريد تجسس على مثل ذلك، حصل له المقت، وكان سيدى على وفا رضى الله عنه يقول : « إياك أن تصغى لقول حاسد أو عدو فى حق شيخك، فيصدّك عن سبيل الله، فقد سبقت كلمة الله التى لا تتبدّل، وسنّة الله التى لا تتحول، أن لا ينفخ الحق تعالى روح العلم الإلهى فى مخصوص من أهل حضرته، إلا إنقسم الخلق فيه قسمين :

ملكى ساجد، وشيطان حاسد، كما وقع فى قصة آدم عليه السلام، فإحرص أيها المريد، على أن تكون لأهل الإختصاص خادماً وخاضعاً، إما لتسلم، أو لتعلم، أو لتُرحم، وإياك أن تكون لهم مبغضاً أو حاسداً، فإنك إما تُسلب، وإما تُرجم،وإما تُحرم » وقال الجيلى رضى الله عنه :

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا   إلى شيخ حق فى الحقيقة بارع
فقم فى رضاه وإتّبع لمراده   ودع كلما من قبل كنت تصانع
وكن عنده كالميت عند مغسل   يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من أمره   عليه فإن الإعتراض تنازع
وسلّم له فيما تراه وإن يكن   على غير مشروع فثم مخادع
ففى قصة الخضر الكريم كفاية   بقتل غُلام والكليم يدافع
فلما أضاء الصبح عن ليل سرّه   وسلّ حُساماً للمحاجج قاطع
أقام له العذر الكليم وأنه   كذلك علم القوم فيه بدائع

٢٤- ومن شأنه، أن لا يقنع فى طريق سلوكه، بالآباء والجدود، كما عليه أولاد غالب المشايخ، بل يجب عليه أن يتخذ له شيخاً يربيه، فليست المشيخة بالإرث، إنما هى بالجد والإجتهاد

٢٥- ومن شأنه أن لا يجلس بين يدى شيخه دائماً، حتى يُفرغ قلبه من حظوظ نفسه، فى جميع معلوماته، طالباً للزيادة، وذلك ليفرغ عليه الشيخ علماً آخر فوق علمه، وقد كان المشايخ إذا جاءهم من يطلب الطريق يقولون له إمسح لوحك وتعال، فإن اللوح إذا كان مكتوباً، لا يقبل كتابة أخرى، ولو قُدّر أن أحداً كتب على تلك الكتابة، فلا يصح قراءة الأولى ولا الثانية، وفى ذلك يقول القائل :

وأنزل الشيخ فى أعلى منازله   وإجعله قبله توجيه وتنزيه
وإعدم وجودك لا تشهد له أثراً   ودعه يهدمه طوراً ويبنيه
ولست تفعل هذا إن ظننت به   نقصاً تشاهده فيما يعانيه

فالمرء إن يعتقد شيئاً وليس كما يظنّـه لم يخب والله يعطيه

٢٥- ومن شأنه أن يرى نوم شيخه، أفضل من عبادته هو، لسلامة شيخه من العلل والأمراض، فليس نومه تهاوناً بعبادة ربه، وإنما ذلك لمشاهدة يذوقها، فإن نوم العارفين يسمى ورداً، فيقال فلان فى ورد النوم، والورد من لازمه الترقى، وقد أرسل ذو النون المصرى شخصاً إلى أبى يزيد، يقول له، إلى متى الدّعة والرحة، وقد سارت القوافل، فأرسل أبو يزيد يقول له : ليس الرجل من يسافر مع القافلة، وإنما الرجل من ينام إلى الصباح، ويُصبح أمام القافلة، فقال ذو النون : هذه درجة، لم تبلغها أحوالنا.

٢٦- ومن شأنه أن لا يستعظم شيئاً من أحواله، أن يذكره للشيخ، كالزنا، والكبر والعجب والنفاق، ومحبة الرياء ونحو ذلك من المعاصى المستقبحة شرعاً، بل يذكرها كلّها له، ليعرفها ويداويها.

٢٧- ومن شأنه، أن يفرح إذا نقّصه شيخه بين إخوانه، وناقشه على النظرة والخطوة، والنقير والقطمير، فإن ذلك دليل على شدة إعتنائه به، ورجائه له الخير والترقى، ولولا ذلك لكان أهمله، كما أهمل من لم ير فيه خيراً.

٢٨- لا ينبغى للمريد أن يتشبه بشيخه فى فعله المباح ولا غيره، لأنه يفعله بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف المريد، وقد قالت عائشة رضى الله عنها، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يذكر الله تعالى على كل أحيانه، يعنى حتى فى حال مزحه مع الأطفال والعجائز وغيرهم.

ونقل الجلال السيوطى رحمه الله تعالى فى الخصائص، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مكلفاً بالحضور مع الله تعالى، حال خطابه للخلق،

فلا يشتغل عن الله تعالى بشئ.

ونقل الإمام القشيرى عن سهل بن عبد الله التسترى أنه كان يقول : « لى منذ ثلاثين سنة أكلّم الله، والناس يظنون أنّى أكلمهم ».

٢٩- ومن شأنه، أن لا يجلس أبداً، فى مجلس شيخه، الخاص بأبناء الدنيا، فإن المريد ليس له فى ذلك منفعة، بخلاف الشيخ، فإنه مأمور بالإقبال على الناس كلهم، قبول رحمة وشفقة، وتعليم وتأديب.

وليحذر المريد من إعتراضه على الشيخ فى مجالسته لأبناء الدنيا، فإن ذلك إنما هو تأليف لهم، ليصرفهم عن محبة الدنيا بالمسارقة شيئاً فشيئاً، إذ المشايخ إنما شغلهم بالأعوج ليقيموه، وأما المستقيم المنقاد فهم فى راحة منه.

٣٠- ومن شأنه، أن لا يكلف شيخه قط المشى إليه ليسلم عليه، من سفر، أو يعوده من مرض، أو يعزيه فى موت أحد، بل يذهب هو إلى شيخه فيسلم عليه ويعزيه، ومتى تغيّر قلبه على شيخه إذا لم يأته فقد أساء الأدب معه، فيجب عليه تجديد العهد.

٣١- ومن شأنه، دوام ربط قلبه مع الشيخ، والإنقياد له، ورؤية إعتقاده، أن الله تعالى جعل جميع أمداده لا يخرج إلا من باب شيخه، وأن شيخه هو المظهر الذى عيّنه الله تعالى للإفاضة عليه منه، ولا يحصل له مدد وفيض إلا بواسطته.

وكان الشيخ زين الدين الخوافى رحمه الله يقول : « يجب على المريد أن يرى إستمداده من شيخه الخاص، هو بعينه إستمداده من النبى صلى الله عليه وسلم، وأن إستمداد رسول الله صلى الله عليه وسلم، من الحق تعالى

ليتصل المريد بطريق أهل الله حقيقة « **سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً** » [الآية (٢٣) الفتح]

قال : وإعلموا أن ربط المريد قلبه بالشيخ أصل كبير فى سرعة الفتح، بل أصل الأصول، وما أتى على المريدين إنقطاعهم عن الفيض والترقى، إلا من عدم ربط قلوبهم بالشيخ على وجه التسليم، والإذعان، والهمة الصادقة، ومن أعظم شئ يقطع القلب عن الربط، الإعتراض على الشيخ بالقلب »

٣٢- ومن شأنه، أن لا يُدْبر عن محبة شيخه وخدمته، إلا لضرورة يعذره شيخه بها، فقد قالوا : من أدبر عن شيخه لحظة واحدة، بعد أن خدمه سبعين سنة مثلاً، كان ما فاته من تلك اللحظة، أكثر مما ناله فى السبعين سنة وقد قال الشعرانى رضى الله عنه : « يا خسارة من أدبر عن شيخه، فإن حكمه، حكم من أدبر عن خدمة ربّه، وأكثر المريدين جاهلون بمثل ذلك، ولذلك عُدموا النفع »

٣٣- ومن شأنه، أن لا يصر قط على وقوعه فى سوء أدب : لا ظاهراً ولا باطناً، لأن المريد الصادق إذا ربط قلبه بالشيخ، وتأدب بآدابه الظاهرة، سرى المدد الباطن، من قلب الشيخ، إلى قلب المريد، كسراج يقتبس من سراج، وإذا جاء المدد من الشيخ، ووجد قلب المريد متلطخاً بسوء أدب، رجع المدد، وكما أن كلام الشيخ ينصح باطن المريد الصادق، فكذلك إمدادات الشيخ الباطنة، فمن نظّف باطنه من جميع المخالفات، وسلك الأدب مع الشيخ، إنتقلت جميع الأمداد، والأحوال، والعلوم التى فى قلب الشيخ، إلى قلب ذلك المريد.

ومما يدخل فى هذا الباب، أن المريد الصادق، يزيد فى تعظيم شيخه كلما باسطه وحادثه، بل لا يزداد بمباسطة شيخه له، إلا إحتراماً، وإكراماً،

وتبجيلاً، وإحتشاماً، وأنشدوا فى ذلك :

كلما إزداد بسطة وخضوعاً زدت فيه مهابة وجلالاً

٣٤- ومن شأنه، إذا شاور شيخه فى فعل أمر من الأمور، أن يردّ الأمر فى ذلك إلى الشيخ، كما كان الصحابة يفعلون مع النبى صلى الله عليه وسلم، فإنه كان أعلم من جميع أصحابه، بأمور الدنيا والآخرة، وإنما كان يشاورهم تأليفاً لقلوبهم، وبياناً لمقامهم فى الأدب معه، أو فى المعرفة لذلك الأمر، الذى إستشارهم، وكذلك الحكم فى الشيخ، بحكم الإرث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أن مشورة الشيخ للمريد، ليس هو لإفتقار الشيخ إلى رأى المريد.

٣٥- أما عمدة الأدب مع الشيخ، فهو المحبة له، فمن لم يبالغ فى محبة شيخه، بحيث يؤثره على جميع شهواته، لا يُفلح فى الطريق، لأن محبة الشيخ، إنما هى المرتبة التى عليه المعوّل فى طريق القوم، للترقى إلى مقامات القرب من الحق جل وعلا، وقد ذكر الشيخ محى الدين بن عربى رضى الله عنه فى الباب الثامن والسبعين بعد المائة من الفتوحات المكية : « أن جملة أوصاف المحبين، أن يكون أحدهم مقتولاً، تألفاً فى محبوبه، سائراً إلى حضرته على الدوام، دائم السهر، كامن الغم، راغباً فى الخروج من كل شئ يشغله عنه، من شهوات الدنيا والآخرة، فهو مُتَبرّم من صحبة كل شئ يحجبه عن محبوبه، كثير التأوّه، يستريح إلى كلام محبوبه، وذكر إسمه، دائم الموافقة لمحاب محبوبه، خائف من ترك الحرمة، فى إقامة خدمته، يستقل الكثير من نفسه فى حق محبوبه، ويستكثر القليل من محبوبه، يعانق طاعة محبوبه، ويجانب مخالفته، خارج له عن نفسه بالكلية، لا يطلب الدّية فى

قتله، يصبر على الضراء التى تنفر منها الطباع، قياماً بما كلّفه محبوبه، دائم الهيام فى محبوبه، وقد وطّن نفسه على محبة كل شئ يريده محبوبه، ليس له معه نَفْس، بل كله لمحبوبه، يعاتب نفسه فى حق محبوبه، ولا يعاتب قط محبوبه، غيور على محبوبه من نفسه، فيود أنه لا يراه، مع شهوته لرؤيته، لا يقبل حبه الزيادة بإحسان المحبوب، ولا النقص بجفائه له، ناسٍ حظ نفسه، ذاكر حظ محبوبه، مجهول النعوت كأنه سالٍ، وليس بسالٍ، لا يفيق من سكره، بين الوصول والهجر، لا يقول قط لمحبوبه، لم فعلت كذا؟ أو قلت كذا؟ سرّة علانية، مسرور محزون، مقامه الخرس، حاله يترجم عنه، لسكره من المحبة، يختار مراضى محبوبه على جميع أغراض نفسه ».

ومن ألطف ماروى فى هذه المحبة، ما ذكره الإمام القشيرى رضى الله عنه، عن حاله مع شيخه أبى على الدقاق رضى الله عنه، حيث يقول : « لم أدخُل على الأستاذ أبى على - رحمه الله - فى وقت بدايتى إلا صائماً، وكنت أغتسل قبله، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة، فأرجع من الباب إحتشاماً من أن أدخل عليه، فإذا تجاسرت مرة ودخلت، كنت إذا بلغت وسط المدرسة، يصحبنى شبه خدر، حتى لو غُرز فىّ إبرة مثلاً، لعلّى كنت لا أحسّ بها، ثم إذا قعدت لواقعة، وقعت لى، لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة، فكلما كنت أجلس، كان يبتدئ بشرح واقعتى، وغير مرة رأيت منه هذا عياناً، وكنت أفكر فى نفسى كثيراً، أنه لو بعث الله عز وجل فى وقتى رسولاً إلى الخلق، هل يمكننى أن أزيد فى حشمته على قلبى، فوق ما كان منه رحمه الله تعالى؟ فكان لا يُتصور لى أن ذلك ممكن، ولا أذكر أنى فى طول إختلافى إلى مجلسه، ثم كونى معه بعد حصول الوصلة، أن جرى فى قلبى، أو خطر ببالى عليه قط إعتراض، إلى أن أخرج - رحمه الله تعالى -

من الدنيا » [الرسالة القشيرية صـ ١٤٧]

وكذلك كان الشيخ أبو مدين المغربى رضى الله عنه يقول : « ما دخلت فى إبتداء أمرى على شيخى، حتى أغتسل، وأطهر ثوبى وعصاى، وجميع ما على، وأطهر قلبى من جميع علومى، ومعارفى الظنّية، ثم أدخل بعد ذلك، فإن قبلنى، وأقبل على، فذلك عنوان على سعادتى، وإن أعرض عنّى وتركنى، رأيت العيب منّى، والشؤم علىّ »

هذا وليحذر المريد فى إبتداء أمره، عندما يسمع عن ولىّ بمكان ما، فيصوره فى نفسه، على صورة تُطابق الكرامات التى تُنقل عنه، فإذا وجده على غير تلك الصورة التى سبقت فى ذهنه، وقع له شك فى كونه هو ذلك الولى وقد ذكر الشيخ عبد العزيز الدباغ - رضى الله عنه - فى ذلك، أن رجلاً من الجزائر سمع بولىّ فى فاس، ونقلت إليه عنه كرامات كثيرة، فصوره فى نفسه، فى صورة شيخ كبير، له هيبة عظيمة، فإرتحل إليه لينال من أسراره، فلما وصل مدينة فاس، سأل عن دار ذلك الولى، فدُلّ عليها، وكان يظن أن لذلك الولى بوابين يقفون على باب داره، فدق الباب فخرج الولى، فقال القاصد : يا سيدى أريد منكم أن تشاوروا على سيدى الشيخ، وظن أن الخارج إليه بواب.

فقال له الولى : الذى قصدته من بلادك، وسرت إليه مسيرة شهر أو أكثر هو أنا لا غير

فقال يا سيدى، أنا رجل غريب، وجئت إلى الشيخ بشوق عظيم، فدُلّنى عليه يرحمك الله. وذلك أنه نظر إلى الولى، فلم يجد عليه شارة، ولا صورة عظيمة. فقال له الولى : يا مسكين أنا هو الذى تريد فقال القاصد : أنا أقول لكم إنى غريب، وطلبت منكم أن تدلّونى على الشيخ، وأنتم تسخرون بى. فقال له الولى :

الله بيننا إن سخرت بكم فقال القاصد : الله حسبك، وإنصرف، حيث وجده على غير الصورة التى صورها فى فكره

قال الشيخ عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه : « وكم واحد سقط من هذا السبب، فإنه إذا طالع الكتب المؤلفة فى كرامات الأولياء، صوّر الولى على نحو ما سمع فى تلك الكتب، فإذا عرض تلك الصورة على أولياء زمانه، شك فيهم أجمعين، لما يشاهد فيهم من الأوصاف، التى لا تكتب فى الكتب، ولو أنه شاهد الأولياء الذين دُوِّنت كراماتهم قبل تدوينها، لوجد فيهم من الأوصاف ما أنكره على أهل زمانه، وقد يبلغ الجهل بأقوام، إلى إنكار الولاية عن كل موجود من أهل زمانهم، لما إستحكم فى عقولهم، من حصر الولاية، وتحقيقها بالضوابط، فإذا نزّل تلك الضوابط على موجود من أهل زمانه، وجدها لا تطابقه، فينفى الولاية عنه، ويصير حاصله أنه يؤمن بولى كلى لا وجود له فى الخارج، ولم يدر أن الولاية هى مجرد إصطفاء من الله تعالى لعبده، ولا يقدر على ضبطها، مخلوق من المخلوقات ».

ونختم بهذه الكلمة الجامعة لشيخنا فضيلة الشيخ محمد على سلامة - رضى الله عنه فى كتابه (قطرات من بحار المعرفة) صـ١٢٦ :

« وهكذا نجد الصوفية يرون فى أئمتهم الأسوة والقدوة، التى يجب عليهم إتباعها، ويرون فيهم الكمال الذى يجب عليهم أن يسارعوا إليه، وأن يلحقوا به، ويشهدون فيهم النور، الذى يهتدون به، ويعتقدون فيهم الخير الذى يؤملونه، وينشدون فيهم التقوى والصلاح الذى يرجونه، ويؤمنون بأنهم ورثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويلحظون بأن أولئك الأئمة يتلقون من الله الحكمة وفصل الخطاب، ويتناولون من يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم رحيق الشراب، فأحبوهم حباً أكثر من حبهم للوالدين والأقربين، بل

أكثر من حبهم لأنفسهم، وأجلّوهم وإحترموهم، وأنزلوهم من أنفسهم، منزلة الوالد الشفوق العطوف الرحيم، ويبذلون لهم، مِنْ مالهم، ما يسدّ حاجتهم، يذكّرونهم إذا نسوا، ويعتقدون عدم عصمتهم من الذنوب والعيوب، ويؤمنون بأنهم أفضل منهم عند الله، وأقرب منهم إلى الله ورسوله، ويقفون منهم موقف سيدنا موسى من الخضر عليهما السلام، ويتبعونه فيما يعرفونه من أمور الدين، ويسألونه عما لا يعلمون، ويسألونه عن حكمة ما يعملون، ويسألونه عن كيفية تزكية أنفسهم، ويسألونه أن يلحظهم بعيون سره، ويسألونه أن يدعو الله لهم فى سرّه وعلنه، ويسألونه أن يرضى عنهم بقلبه، ويسألونه عن رقيق المعارف، وجليل المعانى، ليرتقوا فى معارج القرب، ويسعدوا فى منازل الحب، حتى إذا ما أنس منهم الإمام الرشاد، وقدرتهم على تحمل أعباء دعوة الخلق إلى الحق، أذن لهم فى تذكير عباد الله، وبث روح الإيمان فى قلوبهم، وتبصيرهم بأمور دينهم، ثم يتخذهم لنفسه رفاقاً، يتعاونون معه على البر والتقوى، ويتناهون معه عن الفحشاء والمنكر، ويدعون الناس معه إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مع الإحتفاظ له بمكانته وحرمته » ولله در إبن عجيبة رضى الله عنه إذ يقول :

مع الشيخ آداب إذا لم تكن له	فإنه فى واد القطيعة راتع
خضوع، وهيبة، وصدق محبة	وعقل كمال فيه : إنه جامع
فلا ترفعن صوتاً إذا كان حاضراً	ولا تضحكن، فالضحك فيه فجائع
ولا تعترض أصلاً عليه فإنه	بنور شهود للبصيرة تابع
ولا ترمين عينا إلى ماء غيره	فترمى كسيراً فى المعاطش ضائع
ولا تخرجن من عُشّ تربية غدت	تمدك بالأنوار منها تتابع
إلى أن ترى الترشيد قد حان وقته	وصرت من التمكين أمرك شائع
تُمد من الأنوار من كل وجهة	وتسقى من الأنام من هو تابع

آدب السالك مع اخوانه

السالكون الصادقون يحققون فى زمنهم وعصرهم، مجتمع المدينة الفاضلة، الذى ظهر لأول مرة فى المدينة المنورة ، عندما كان ساكنوها هم الذين قال الله فيهم: **«محمد رسول الله والذين معه»** [الآية (٢٩) الفتح] ، فهم يعيدون تلك الأحوال على قدر زمانهم، ونصب أعينهم، وصف الله عز وجل لأصحاب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله: **«رحماء بينهم»** ، ليحدثون الأخوة الإيمانية بمعناها الحقيقى ، وقد جمع أوصافها الأمام أبو العزائم رضى الله عنه فى قوله: « والآخوان هم هياكل متعددة، سرت فيهم روح واحدة، كالجسد الواحد، تعددت أعضاؤه ولكنه واحد، فإذا تألم عضو منه شعر بالألم كل الجسد،

فكذلك الأخوان يتألمون جميعاً لألم أحدهم ، غنيهم فقير لأنه يؤثر الفقير على نفسه، وفقيرهم غنى لكمال ثقته بربه، صفت قلوبهم فتجملت ظواهرهم .

فإذا رأى الأخ أخاه ، فكأنه أشرقت عليه أنوار، فانبسط وانشرح، وصافح وفرح، فيزداد نورا على نوره ، وحالا على حاله، وعلما على علمه .

يبذل كل أخ لأخيه ما يجد، من وجد أو وجود، فيغذى الأخ أخاه بعلمه، والآخر يغذيه بخبزه ، فلا يقابل أخ أخا إلا وفتحت أبواب السماء بالبركات، وهطلت الأرزاق والفتوحات ، نزع الله ما فى صدورهم من غل، وما فى قلوبهم من طمع ، لأنه سبحانه هو المحبوب لهم فى أنفسهم .

وما تقولون فى اثنين تقابلا على شوق فى الله ، ومحبة فى الله، وبذْل فى ذات الله؟

هذا يبذل لأخيه ما به سعادته الأبدية، من علم وحال وخُلق حسن، والآخر يبذل له طعامه وشرابه وماله، وما تقولون فيمن تحقق فيهم قوله صلى الله

عليه وسلم فى الحديث القدس عن الله تعالى: **«المتحابون فىّ، والمتباذلون فىّ، والمتزاورون فىّ، على منابر من نور، يغبطهم الملائكة والأنبياء لقربهم من الله»** [رواه السيوطى فى الجامع الصغير، عن عبادة بن الصامت] .

وليس هذا الوصف العلى موجوداً إلا فى الصديقين، وأبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام.

فكل أخ يعامل اخوانه بهذا فهو من الصديقين، ومن أبدال الرسل عليهم الصلاة والسلام» [دستور آداب السلوك صـ٤٩] هذا التآخى بين المؤمنين فى الله ضرورة لينهض بعضهم بأحوال بعض، ويعين بعضهم بعضاً على البر والتقوى ، والمعروف والإحسان، وخاصة إذا كان من أجل الدنيا والآخرة ، لا من أجل المصالح والمنافع الدنيوية فقط، ومن أجل الله ورسوله، لا من أجل أهواءهم وحظوظهم وشهواتهم، ومن أجل التراحم والتناصح والتوادد، لا من أجل التعرف على المسالب والأخطاء والمعايب، ومن أجل الستر عليهم ومداراتهم، لا من أجل التشهير بهم، والتنديد بأحوالهم. وفى ذلك يقول شيخنا العارف بالله تعالى الشيخ محمد على سلامه فى كتابه : «مصابيح على طريق الإيمان حـ٢صـ٢١»: «فقد طلب سيدنا موسى عليه السلام من الله عز وجل، أن يجعل له وزيرا من أهله ويعنى معينا يؤازره ويساعده ويعينه، وحدد فى طلبه هذا سيدنا هارون عليه السلام، فقال الله عز وجل مبينا ذلك:

«واجعل لى وزيرا من أهلى، هارون أخى، أشدد به أزرى، وأشركه فى أمرى» [الآيات (٢٩:٣٢) طه] ، وكانت العلة الباعثة على هذا الطلب، والضرورة القاضية به، والحكمة منه: **«كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيراً»** .

وذلك لأن الذكر الكثير، والتسبيح الكثير، والعبادة المستمرة، تحتاج إلى معين، ورفيق ملازم للإنسان، ومباشر له بصفة مستمرة، من أجل استدامة الذكر والشكر والتسبيح ، واستمرار الطاعة والعبادة، بخلاف الأعمال الأخرى، من دعوة فرعون وقومه إلى الله، فإنها كانت تأخذ دوراً بعد دور، ووقتا بعد وقت، كلما سمحت الظروف بذلك، وكلما نزلت أوامر جديدة، وآيات أخرى يحتاج سيدنا موسى إلى هارون فى إبلاغها إلى فرعون وقومه، فكانت أعمال الذكر والتسبيح أكبر بكثير من مهمة إبلاغ الدعوة إلى فرعون وقومه، ومن هنا كانت حاجة سيدنا موسى إلى سيدنا هارون فى هذه الناحية أكثر وأعظم» .

فإذا توثقت رابطة الأخوة، كان من أوجب الواجبات على الأخ نحو أخيه، زيارته فى الله ورسوله، وتوثيق الروابط بينهم، وتجديد المحبة والمودة، والتعاون على البر والتقوى، والإطمئنان على الأخ ، والوقوف على أخباره وأحواله ، ومدّيد العون له إن كان فى حاجة، والتسرية عنه إن كان فى مُلمّة، ومشاركته فرحته إن كان فى مسرّة ، وتزويده بما معه من علم ومعرفة، والأخذ عنه إن كان لديه مزيداً من الهدى والحكمة :

وفى الحقيقة إن آداب الفقراء لا تنحصر ، لأنها مجموع ما فى الكتب الإلهية، والأحاديث النبوية، والآثار الصحابية، والآداب السلفية، ولكن يجمع آداب الفقير مع اخوانه كلها، أن لا يعاملهم إلا بما يحب أن يعاملوه به، وأن يرجو لهم من الخير والمسامحة فى ذنوبهم ما يرجوه لنفسه، وأن يحملهم فى جميع ما يقعون فيه من مواطن التهم على أحسن المحامل، مما يحب أن يحملوه عليه، لو وقع هو فى ذلك، ويرجو لهم قبول التوبة، ولو فعلوا من معاصى أهل الإسلام ما فعلوا ، كما يرجو ذلك لنفسه، إذا وقع فيما وقعوا

وسنشير هنا بإيجاز إلى بعض الأخلاق التى لا بد منها للمريد فى الخلطة والمعاشرة لاخوانه، والتى لو وفّى بها خلع الله عز وجل عليه من الأخلاق المحمدية ، ما به يعطى كل ذى حق حقه على الكمال من والد وزوجة وولد وصاحب وجار ونحوهم ، فمن ذلك:

١ - أن ينظر إلى أخيه على أنه خير منه على أى وجه كان، فمن كان أكبر منه يعتقد أنه خير منه، لأنه سبقه فى طاعة الله عز وجل، ومن هو أصغر منه، يعتقد أنه خير منه، لأنه أقل منه معصية لله عز وجل، وأما المساوى له فإن كان أعلم منه اعتقد أنه أفضل منه لعلمه، وإن كان أقل منه علما، اعتقد أنه أفضل منه لخفة حسابه، حيث أن المرء يحاسب على قدر علمه، وهكذا.

٢ - إذا جالس اخوانه يستحضر فى نفسه المعانى التى أشار إليها الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى كتابه (دستور آداب السلوك) صـ٤٩: «جلس مُحصّلا ، لا موصّلا ، ومُكتسَبا، لامنْفقا، وطالبا لا مطلوبا، ومجاهدا لأعدائه فيه، لا مغرورا مخدوعا، ومريضا يستشفى، لا طبيبا يُعالج» .

٣ - أن يغضّ عينه عن عيوب اخوانه ، ويصم آذانه عن سماع مثالبهم ومعايبهم، لأن الأخ ليس رسولا معصوما، ولا ملَكا نورانيا مجردا عن لوازم البشرية ، وعليه أن يشتغل بتطهير نفسه وتزكيتها من عيوبها، وأن ينظر لنفسه بالانتقاد ، أو البحث عن دسائها ومساويها، وينظر لكمالات اخوانه ، ليتكمل بها، ومحاسنهم ليتجمل بها قال صلى الله عليه وسلم : **«من تتبع عورات الناس، تتبّع الله تعالى عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو فى جوف رحله»**

٤ – أن يعفّ نفسه عن حاجات اخوانه، ومتاعهم ، فلا يتطلع إليها، ولا يطمع فى شيء منها . بل يعوّد نفسه على إيثار اخوانه على نفسه، فإن أكابر القوم ما وصلوا إلى ذلك إلا بالإيثار وسلامة الصدور من الحقد والحسد والضغائن.

٥ – إذا جالس أخاه، يجاهد معه فى تحصيل العلم النافع ، والعمل الرافع، وتجديد الأحوال العلية ، وتنشيط الهمم والعزائم ، حتى يفيد أخاه ويستفيد منه ، بأعظم الأرباح ، وأعلى المكاسب .

٦ – أن يستر ما يراه من عورات أخيه ، ولا يبديها لغيره ، وإن تحتم إخباره بها، فليكن ذلك بلطف وفى رفق ولين ، ويكون سرابينه وبين أخيه . فقد قالوا: كل كشف أطلع صاحبه على شيء من عيوب الناس فهو كشف شيطانى يجب عليه التوبة منه .

٧ – ألا يكون ثقيلاً فى زيارته لأخيه ، وذلك بأن يحرص على ألا يؤخّر له عملا ، ولا يعطّل له شُغلا، وأن يرعى حرمات أهله ومنزله ، ولا يطيل أمد الزيارة لقوله صلى الله عليه وسلم : **«زُر غِبّا ، تزدد حبا»** ، وأن يختار الوقت المناسب للزيارة ، فلا تكون وقت القيلولة مثلا فى الصيف ، أو فى وقت متأخر من الليل ، أو عقب صلاة الفجر .

٨ – أن يحرص على الوفاء بكل موعد وعد به أخاه ، وكذلك إنجاز كل عمل طلبه منه ، وإذا تأخر فى تنفيذ أى أمر لعذر، فعليه أن يتصل بأخيه بأى كيفية ، ويبلغه إعتذاره .

٩ – ومن شأنه أن يكون عنده شفقة على دين اخوانه أكثر من شفقته عليهم فى أمر دنياهم، فينبههم إلى أوقات المواهب الإلهية كالأسحار، وكذلك مواسم الفضل الربانى ، على أن يكون ذلك بسياسة ولين ، وليس

بفظاظة وغلظة واحتقار ، حتى لا تتحرك نفوسهم ، فلا يسمعون له .

١٠ - ينبغى أن لا يرى نفسه على أحد من اخوانه، بسبب طاعة يواظب عليها، أو لسان بيان وهبه له الله ، أو ميزة روحانية تفضّل عليه بها الله ، فقد كان سيدى عبد العزيز الدرينى رضى الله عنه يقول :

«من أراد أن يصير الوجود كله يمده بالخير ، فليجعل نفسه تحت الخلق كلهم فى الدرجات ، لأن المدد الذى مع الخلق كالماء ، والماء لا يجرى إلا فى المواضع المنخفضة دون العالية أو المساوية ، فمن رأى نفسه مساوية لجليسه، فمدده واقف لا يجرى إليه ، أو أعلى منه ، فلا يصعد إليه ذرة من مدده»

١١ - ومن شأنه أن يتباعد عن حب الرياسة ، فإذا شهد وجوده ، وظهرت له خصوصيته ، وجب عليه أن يلزم الأعتاب ، ويتجمل بالآداب، فإن مراد السالك القبول ، والغيبة عن الخلق بالحضور مع الله تعالى فمن غيبّه علمه وحاله وبيانه عن الحضور مع الحق ، فعاند أو جادل ، أو اصطفى لنفسه اخوانا ، أو ظن أنه كُمِّل فقام ليكمل غيره ، خلع حلل السلوك ، وحُرم السير إلى ملك الملوك، وهذا هو المرض الابليسى ومن لم يتدارك نفسه فى هذا التّية ، بتعاطى الأدوية المرة من يد المرشد ، أو النصوح المخلص من اخوانه ، ردّ عن الجناب إلى الأعتاب أو إلى رعى الدواب ، نسأل الله السلامة .

١٢ - أن يألف الأخوان ، ويتحمل أذاهم ، حتى يألفوه ، ويتخلق معهم بالأخلاق الكريمة ، فيسامحهم فى كل شيء آذوه به ، من قول ، أو فعل ، أو سوء ظن . فقد قال سيدى أحمد الزاهد رضى الله عنه : «ما صبر مريد على الكلام فى عرضه، واشتغل بالله، ورضى بعلمه تعالى،

إلا جعله الله تعالى إماماً يقتدى به عن قرب ، وما تعلق مريد من كلام قيل فيه ، إلا صار وراء الناس» .

وكان سيدى محمد الغمرى رضى الله عنه يقول : «من أراد أن يكون إماما يقتدى به ، فليخلص النية فى خدمة اخوانه ، ويصبر على جفائهم له، وكلامهم فى عرضه ، وحملهم له على المحامل السيئة فى خدمته لهم ، وجميع أحواله» ومن كلام سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه : «من انتصر لنفسه، وأجاب عنها ، تلف وتعب ، ومن سامح الناس وفوّض أمره لمولاه ، نصره من غير أهل ولا عشيرة ».

١٣ - ومن شأنه ، أن لا يصدق فى إخوانه نمّاما ، وإن نقل إليه أن اخوانك يكرهونك، وقال : رأيتهم كلهم البارحة متحلّقين ، يجرحونك ، ويذكرون نقائصك ، ونفسك الخبيثة ، فليقل له ، يافلان : أنا من محبة اخوانى وودّهم على يقين ، ومن كلامك على ظن ، ولا أترك يقينا لأجل الظن ، فبذلك يخزى النمام، ولا يعود ينقل إليك شيئا ، وإن قلت له أنا لا أصدقك حتى أجمع بينك وبينهم ، وأنظر هل يصدقونك فيما قلت عنهم أو يكذبونك ، فإنه لا يعود يأتى إليك بالنميمة عنهم أبداً .

١٤ - ومن شأنه ، أن يقوم بخدمة اخوانه ، ويكون مقداما لهم فى الخدمة ، فلا يرمى بنفسه إلى الكسل والخمول ، فمن كان قائماً فى مصالح الخلق ، كان الوجود كله يمده ويساعده ، ومن اشتغل بمصالح نفسه فقط ، دون إخوانه ، تخلف الوجود عن مساعدته ، وربما صار يقاسى فى تحصيل رزقه وجده أشد التعب قال سيدى على الخواص رضى الله عنه : «إن الله ييسر الرزق لمن خدمه خالصا مخلصا ، وخدم اخوانه كذلك» والمريد الصادق ينظر فى صفات شيخه التى هو عليها ،

إن طلب أن يكون مثله فى سعة الرزق أو غيره .

١٥ – ومن شأنه ، أن لا يكون مقداما لاخوانه فى التكاسل عن حضور مجالس الذكر بالكلية ، أو عن الحضور فى أول المجلس ، أو عن حضور صلاة الجماعة ، أو مجلس العلم ، لأن من كان مقداما لاخوانه فى ذلك ، أساء الأدب معهم ، وكان عليه وزر كل من تبعه وقد قال صلى الله عليه وسلم : **«لا يزال قوم يتأخرون – يعنى عن صلاة الجماعة – حتى يؤخرهم الله فى النار»** . وكذلك لا يكون مقداما لاخوانه فى الخروج من مجلس الذكر ، قبل الفراغ منه .

١٦ – ومن أدبه ، أن لا ينصرف من مجلس الذكر الذى يكون مع الشيخ ، ولو لحاجة ضرورية ، إلا بعد استئذانه الشيخ صريحا أو بالإشارة ، لا سيما مفارقة من علت رتبته من أصحاب الشيخ ، فإنه يتعين عليه المشاورة جزما لئلا يقتدى به غيره . وذلك لأن الله تعالى جعل الأنبياء ونوابهم من الدعاء إلى الله أمناء على الأمة ، فى كل ما يرقى درجاتهم ، فأشار إلى ذلك عز وجل فقال : **«إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه»** [الآية (٦٢) النور] ومجالسه الأشياخ فى الذكر ، وقراءة القرآن ، والعلم ، أمر جامع بيقين ، فلا ينبغى لأحد أن يفارقهم حتى يستأذنهم .

١٧ – ومن حسن أدبه ، أن يجتنب مواطن التهم ويبتعد عن ارتكاب الرذائل، ويكون أبعد الناس عن الريبة ، ليسمع له اخوانه إذا نصحهم . وكذا يحذّر اخوانه من ذلك .

١٨ – ومن شأنه ، أن يرشد اخوانه إلى ترك البغى على من بغى عليهم ، ولا يأمرهم قط بمقابلة الباغى بمثل عمله ، لقوله صلى الله عليه وسلم :

«أدّ الأمـانة لمن ائتمنك ، ولا تخن من خـانك» ، وفى زبور داود عليـه الصـلاة والسـلام : «ياداود لا تبـغى على من بغى عليك إن أردت أنّى أنصرك ، فمن بغى على من بغى عليه تخلفت عنه نصرتى» وفى الزبور أيضـاً «لا تستبطىء الإجابة لدعائك فى حق عدوك ، فإنى إنما أبطىء إجـابة دعـائك ، لأعـاملك بنظير ذلك ، إذا ظلمت إنسـانا ودعـا عليك ، فإن طلبت إجابة دعائك بسرعة ، فلا تستغرب سرعة إجابة دعاء عدوّك عليك» .

١٩ – ويجب عليه أن يأخذ بيد الظالم ، ويكفّه عن ظلمه بالقول والفعل ، وذلك بحسن سياسة ، ولين قول.

٢٠ – ومن شـأنه أن لا يفرق بين اخـوانه فى الأقبال عليهم ، والبشاشة لهم ، بسبب الفقر أو الغنى أو الجاه أو النسب .

٢١ – ويجب عليـه ترك الجـدال مـرة واحـدة ، إلا مـا كـان لبيـان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه ، ويكون بالتى هى أحسن .

٢٢ – ومن شـأنه أن يراقب قلبه من جـهة اخوانه ، فمهمـا رأى عنده تغييراً وتشـويشـا من أحد من المسلمين ، فليرجع على نفسـه بـاللوم ، وليسـع فى إزالة ذلك من قلبـه ، ويقيم العذر لأخيه فيمـا وقع فيه معـه ، قيامـا بواجب حق الأخوة ، ويرى أنه أخطأ فى تشوّشـه من أخيه ، ولو بلغ له مرتبة الصدق .

وقـد قـال الإمـام الشـافـعى رضي الله عنه : «لا تثق بـود من لا يـحـبك إلا معـصـومـا» .

وكـان الإمـام أحـمـد بن حنبل رضى الله عنه يقـول : «عليكم بصـحـبـة الصوفية ، فإن للقبيح عندهم وجوهـا من المعاذير» .

٢٣ – ومن شأنه أن لا ينسى اخوانه من الدعاء لهم بالمغفرة والرحمة والعفو كلما وجد الوقت صافيا مع ربه عز وجل ، سواء كان فى ليل أو نهار أو سجود أو غيره .

٢٤ – ومن شأنه أن يعترف بالفضل لكل من أحسن إليه من اخوانه ، ويكافىء من أحسن إليه قدر استطاعته ولا يتهاون فى ذلك .

٢٥ – ومن شأنه أن يقدم حوائج اخوانه الضرورية على عباداته من سائر النوافل ، لأن الخير المتعدى نفعه أفضل من القاصر على فاعله ، لا سيما إن أمره شيخه بذلك .

٢٦ – ومن شأنه أن لا يرى نفسه على أحد من جماعة شيخ آخر ، فإنهم اخوانه فى الطريق ، لأن طريق أهل الله واحدة ، ترجع إلى واحد ، وإن تعددت ، وما اتخذ الناس لهم شيخا ، إلا ليهذب أخلاقهم ، ويزيل رعوناتهم، حتى يصير أحدهم، يرى أن الناس كلهم ناجون ، وماهالك إلا هو . وقد كان الشيخ أبو مدين يقول: «الفتوة هى رؤية محاسن الأخوان ، والغيبة عن مساوئهم .

٢٧ – ومن شأنه أن لا يغفل عن نصح نفسه واخوانه ، فلا يطمع فى ما فى يد الخلق ، ولا يصحب مبتدعا ، ولا امرأة ، ولا يرى فى شيخه نقصا، ولا يغفل عن ذكر الله، ولا عن شكره ، ولا يتخلف عن مجالس الذكر ولا عن خدمة الصالحين واحترامهم ، فإن فعل ابتلاه الله بالمقت بين العباد .

٢٨ – ومن شأنه أن لا يحب العلو على أحد من اخوانه ، والتواضع لكل من رفعه الله عليه فى علم أو عمل أو جاه أو نحو ذلك ، أدبا مع الله تعالى الذى رفعه عليه ، فقد أجمع الأشياخ على أن حب العلو على الناس ، من أقوى أسباب الانتكاس .

٢٩ – ومن شأنه أن يحذر اخوانه من أن يطلبوا بعباداتهم مقاماً أو حالاً ، فإن من طلب لنفسه حالا أو مقاما ، فهو بعيد عن طرقات المعارف ، بل ينبغى عليه أن يحثهم على عمارة أوقاتهم بالموافقات طلبا لمشاهدة الحق تعالى فقد قيل : شتان بين من همته الحور والقصور ، وبين من همته رفع الستور ودوام الحضور .

٣٠ – ومن شأنه أن يحذر اخوانه من كل شيء يؤذيهم ، ويوقفهم عن السير، وقد قالوا : من ضيع حقوق اخوانه ابتلاه الله تعالى بتضييع حقوقه .

قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

أيا رفقتى يا خلتى يا أحبتى	على العروة الوثقى فسيروا ورافقوا
ألا فاجتماعا بالقلوب وألفة	وعونا على عمل المكارم تلحقوا
واياكم وأخلاق ابليس أنها	لقد أبعدته وهو طاووس رامق
دعو الكبر والحسد القبيحين سادتى	دعو طمعا فيما يزول وسابقوا
وسترا لعورات الأحبة كلهم	وعفوا عن الزلات فالعفو أرفق
وغضوا عن المكروه أعين عفة	وجودوا ببشر فالسماحة رونق
وأياكم وعدوكم خبث طبعكم	وطمعا وحب الجاه فهو يفرق
توادوا بروح الله فى الله وابذلوا	لاخوانكم بشر اللقا وتعانقوا
لصحبتكم بالرفق والحسن فابذلوا	لأحبابكم عند اللزوم وخالقوا
وكفّوا عن التنفير واسعوا لجمعكم	على الله فالدنيا متاع مفارق

ألا من يكن فى قلبـه بعـض ذرة　　من الكبر والأحقاد ما هو ذائــق

ألا طهّر الأخلاق والنفس زكّهــا　　والا فسـهم البعد يرمى فيفتــق

ألا ياأخـى بالذّل ترقى وتُرفعــن　　وبالزّهد تُعطـى مالـه تتشــوّق

وياصاحبى بالجد والعزم جاهـدن　　لتشـهد أسرارا بها الحق مُشرق

الفصل الثالث

حاجة الناس إلى الصالحين*

- شفاء صدور المؤمنين
- الأولياء ودفع البلاء
- أسرار زيارة الصالحين
- قبس من أخلاق النبوة
- دعاء الصالحين

كان هذا الدرس بمنزل الأستاذ فتحي صديق جمعه المدرس بالمعهد الثانوى الأزهرى بتفتيش الجميزة مركز السنطه - غربيه يوم الأثنين ١٧ من جمادى الأولى ١٤١٧هـ الموافق ٣٠ من سبتمبر ١٩٩٦م بعد صلاة العشاء .



فى عصرنا تغلبت الحياة المادية على كثير من الناس ، وفى كل عصر يتغلب على أهله الحياة المادية يظهر على أهل العصر النوازع الابليسية ، والميول الحيوانية ، والنزوات الشيطانية ، وكل ذلك فى سبيل الوصول إلى المادة ، مما يؤدى إلى فقر القلوب من الإيمان ، فيكثر الخداع وتنتشر المؤامرات ، ويظهر النفاق ، حتى يكون هو السمة الغالبة على أغلب أخلاق العصر وهذا ما جعل بعض العارفين يصف ذلك وقد نظر إلى الناس وقال : «أرى الناس كغابة مليئة بالحيوانات المفترسة ، والقوى منها يأكل الضعيف».

شفاء صدور المؤمنين

فالإنسان المؤمن ، المتمسك بالمبادىء الإسلامية ، والمحافظ على القيم الإيمانية ، والآخذ بالمثل القرآنية ، يضيق صدره ، وتتعب نفسه ، ويهتم قلبه ، عندما يرى هذه الأحوال والأخلاق فى من حوله ، وقد يكون الأمر هيّناً إذا رأى ذلك فى غير المؤمنين ، لكن الذى يزيد الصدر ضيقاً ، والنفس حرجاً هو انتشار هذه الأخلاق الهابطة ، والأحوال الدانية فى صفوف المؤمنين .

ماالذى يشف صدر المؤمن من هذا الحرج والضيق ؟

لا يخفف عنه هذا الضيق ، ولا يرفع عنه هذا الهمّ ، إلا زيارته للصالحين ، لأنهم المثل الطيبة ، والنماذج القيمة الذين جعلهم الله سبحانه وتعالى الراحة لأهل كل عصر ، وقد صدق القائل إذ يقول فيهم :

تحيا بهم كل أرض ينزلون بها ... كأنهم لبقاع الأرض أمطار

وتنظر العين منهم منظراً حسناً ... كأنهم فى عيون الناس أقمار

ومن رحمة الله عز وجل أنه لم يجعل مكاناً فى الوجود ولا زماناً فى العصور ، يخلو من هؤلاء فلكل زمان دولة ورجال ، ولما كان يستحيل جمع العالم أجمع على رجل واحد مهما كان فتحه الروحانى ، فقد جعل الله فى كل بلدة منهم رجال حتى لا يخلو منهم زمان ولا مكان مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى **«وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه»** [الآية (٤) إبراهيم] فكل مكان فيه ولى لله عز وجل يتحدث بلسان القوم الذين يعيش بينهم ، ليجدوا عنده راحتهم ، وسلوتهم ، من عناء الحياة ومشقاتها .

وقد وصفهم النبى صلى الله عليه وسلم وقال :

«إن لله عباداً – ما هم بأنبياء ولا شهداء – يغبطهم النبيون والشهداء لمكانتهم وقربهم من الله عز وجل يوم القيامة» .

فقال أعرابى : يارسول الله أناس ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء جلّهم لنا (أى صفهم لنا) .

فقال صلى الله عليه وسلم **«هم أناس من أمتى من بلدان شتى ، وقبائل شتى توادوا بروح الله على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها فيما بينهم فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى منابر من نور قدام عرش الرحمن يوم القيامة ، يحزن الناس ولا يحزنون ، ويخاف الناس ولا يخافون أولئك أولياء الله فى خلقه وعماله فى أرضه** ثم تلى قول الله عز وجل : **«ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم»** [الآيات (من ٦٢:٦٤) يونس] .

الأوليـاء ودفــع البــلاء

فـهؤلاء القوم طالما هم موجودون فى الأمـة، نعلم علم اليقين أن رحمـة الله عـز وجل تعـمـهـا لأنه سـبـحـانه يقـول فى حـديثـه القـدس : «إنى لأهـم بأهل الأرض عذاباً، فـأنظر إلى أوليائى ، وعمـار بيوتى ، فـأصرف العذاب عنهم» فيصرف الله عز وجل العذاب عن الناس بسببهم، ومن أجلهم، حتى ولو وقع من الناس المعاصى والذنوب، والأوزار والأثقال فإنهم يشفعون فيهم إلى الله عز وجل حتى يتدارك الله عز وجل عباده بلطفه، فيرتفع دعائهم، ليصد البلاء النازل من السـماء على أهليهم وجيرانهم ومن حولهم اقتداءاً بسيدنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان الناس لا يشعرون بذلك .

فقد روى أن سيدى أبى عبد الله القرش رضى الله عنه – وكان فى القرن السادس الهجرى حدث قحط شديد فى مصر فى عصره، فأخذ يضرع إلى الله عـز وجل فى كشـفه فلما وجد أن الأمـر يشـتد ، سـافـر من مصـر إلى فلسطين وذهب لزيارة سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام فى حرمه الشريف بمدينة الخليل وأخذ يضرع إلى الله ويتوسل إليه بخليله عليه السلام ويقول «يا سيدى يا إبراهيم اجعل ضيافتى عندك أن تدعوا لله ليكشف الضر عن أهل مصر»

ومازال يُلح فى ذلك حتى تراءى له سيدنا إبراهيم الخليل وقال له :

«أبشـر فـإن الله عـز وجل فرّج عن أهـل مصـر ورفـع عنهم العناء والبـلاء» وكـذلك فى بداية هذا القرن رأى الشـيخ أحـمـد الشرقـاوى[☆] رضى الله عنه

☆ وهو من أئمة العارفين فى زمانه وكان بمدينة نجع حمادى ببلاد الصعيد وتوفى بالمدينة المنورة ومن أقواله الحكيمة :

قد رمت نهجـاً خفيـاً أسـتريح بـه ... لكـن رب العـلا للخلـق أبدانـى

فصـرت للـه مشـكاه ومأذنـة ... طوبى لمن بالرضـا والبشر يلقانـى

بلاءاً عظيماً نازلاً من السماء على أهل مصر، فأخذ يضرع إلى الله عز وجل فى رفعه فقيل له لو سألتنا بجميع أنبيائنا ورسلنا مارفعناه .

فقال يارب إن كان ولابد فاجعله فىّ ونجى أهل مصر، فشُلّ فى الحال لأنه تحمل هذا البلاء عن أهل مصر .

فهؤلاء القوم كما قال الله عز وجل فى وصفهم **«آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً»** [الآية (٦٥) الكهف] ومن هنا جاءت العبارة المشهورة : «شيال الحمول ياسيد» لأن الصالحين يتحملون عن الناس ويحكى الشيخ أحمد حجاب رضى الله عنه فى كتابه «العظة والاعتبار، آراء فى حياه السيد أحمد البدوى الدنيوية والبرزخية» عن شيخه السيد محمد بن الشريف رضى الله عنه – وكان من الأبدال – الشيء الكثير فى هذا الباب ، من أنه كان يجيئه المريض الذى لا يجد لمرضه علاجاً عند الأطباء ويشكو له أمره، فيصمت الشيخ للحظات ، ثم تظهر عليه علامات المرض لدقائق معدودة، ويشفى المريض فى الحال بالكلية ، ثم تختفى علامات المرض بعد ذلك من الشيخ ، مما يد على أنه تحمله عنه وكان هذا دأبه رضى الله عنه باستمرار فى حمل أثقال وأحمال إخوانه .

أسرار زيارة الصالحين

وهذا هو الذى جعل الناس فى الأزمان الفاضلة يذهبون للصالحين ، لأن الرجل منهم كان يذهب إليهم ، ينوء صدره من كثرة الهموم التى يحملها ، وقبل أن يتكلم ، أو يحكى ما عنده يجد الشيخ يكاشفه بما فى صدره ، ويبشره بتفريج كربه ، حتى أن الناس لما رأوا من الصالحين المداومة على ذلك قالوا عبارتهم المشهورة «الشكوى لصاحب البصيرة عيب» فهم ينظرون

بنور من الله عز وجل ، وينطقون بالهام منه سبحانه وتعالى ، فيظهرون ما فى الصدور ويكشفون ما بالنفوس ، فترتاح أفئدة الزائرين، وتنشرح صدور المحبين بالإضافة إلى أنهم يشهدون فيهم بجلاء جمال القيم الإسلامية من التواضع والرحمة واللين والبشاشة والكرم وحب الخير للخلق جميعاً وغيرها من القيم الفاضلة . أضف إلى ذلك غايتهم النبيلة فى معاملة الخلق وتقديم ما فى وسعهم لهم أبتغاء وجه الله عز وجل لا طمعاً فى مأرب دنيوى ، أو حظ جلى أو خفى وقد عبر عن هذا الإمام على رضى الله عنه فقال: **«إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءاً ولا شكوراً»** [الآية (٩) الإنسان] فيلقون الناس بالبشر والسرور والترحاب كأنهم جميعاً أعز أهليهم لديهم ويجودون لهم بما عندهم ولا يدخرون شيئاً يؤثرون به أنفسهم، بل هم كما قال الله تعالى **«ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»** [الآية (٩) الحشر] فالرجل الذى يضيق صدره مما يجده فى من حوله من الشحناء والبغضاء والحسد والاحقاد والنفاق والشقاق والنفور والكراهية واللئم والخسة والخديعة ويريد أن يتنفس وينفس عن نفسه بعض الوقت فى الصفاء والنقاء أين يجد ذلك ؟

لا يجد ذلك إلا فى ساحات الصالحين ، وفى رحاب العارفين ، حيث يجد فى مجالسهم المحبة والمودة والألفة والأخوة والرحمة والبهجة والصفاء والنقاء ، لأنهم جعلوا شرط أخوتهم ، وسلوك طريقتهم هو قول الله عز وجل **«ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين»** [الآية (٤٧) الحجر] فانظر إلى ما حكاه الشيخ محى الدين بن عربى فى فتوحاته المكية عن الشيخ أبى يزيد البسطامى رضى الله عنه فى باب الفتوة حيث يقول : سُئل أبو يزيد عن معنى الفتوة .

فقال : أن يبدأ الرجل الصالح فى شفاعته يوم القيامة بأعدائه قبل

أحبابه» وهذا قمة التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله **«صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعفُ عمن ظلمك»** فأهل الخصوصية هم الذين يتخلقون بهذه الأخلاق الربانية حتى فى المضايق التى تدفعهم بشدة إلى التخلق بالأخلاق الإبليسية والبهيمية عملاً بقوله صلى الله عليه وسلم :

«اصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله»

قيل يا رسول الله نصنعه فى أهله، فكيف نصنعه فى غير أهله؟

فقال صلى الله عليه وسلم : **«إذا لم يكن أهلاً للمعروف فكن أنت أهل له»** وهذا ما تعبر عنه الحكمة التى تقول : «كل إناء بما فيه ينضح» .

قبس من أخلاق النبوة

وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يبدأ بنفسه فى تطبيق مراد ربه عز وجل ليكون الأسوة الطيبة والقدوة الحسنة لأمته .

فقد كان له جاء يهودى يشتد فى ايذائه ويحاول أصحابه رضوان الله عليهم أن يمنعوه عن ايذائه صلى الله عليه وسلم ، فيكفّهم عن ذلك، وإذا فتح الله عز وجل عليه بشىء من الدنيا، يقول لهم صلى الله عليه وسلم : «ابدأ بجارنا اليهودى» حتى مرض ذلك الرجل ، فقال صلى الله عليه وسلم : **«وجبت علينا زيارته»** وذهب لزيارته صلى الله عليه وسلم . فلما زاره صلى الله عليه وسلم ، تأثر اليهودى بزيارته أبلغ التأثر ، وندم على ما فعله وأعلن إسلامه .

ولو فتشنا فى أحوال الصالحين أجمعين، لوجدناهم على هذه الشاكلة ، لقوله صلى الله عليه وسلم : **«لا يزال لكل مؤمن جار يؤذيه إلى يوم القيامة»**

فالإمام أبو حنيفة رضى الله عنه كان يحيى الليل كله بالعبادة، وكان بجواره فتى مسرفاً على نفسه ، يقضى الليل كله فى الشراب والسكر ويغنى عندما يلعب به الشراب قائلاً :

أضاعونى وأى فتـــى أضاعــــوا ليـــوم كريـهـــة وســـداد ثغـــر

وتصـادف فى ذات مـرة أنه مـشى فى الشـارع وهو سكران ، فـأخـذته الشـرطة ، وأودعـوه فى الحـبس، وعندمـا جـاء الليل ولم يسـمـع أبو حنيـفـه صـوته، ومـرت الليلة هادئة سـأل عنه فى الصبـاح ، فـعلم بما حـدث لـه فقال رضى الله عنه :

«وجب علينا الذهاب إليه واخراجه» فذهب فلما دخل السجن قام إليه كبير الحرس وعظّمه لما يعرفه عنه، وتعجب من سر مجيئه وسأله ، فأخبره أنه جاء من أجل هذا الغلام الذى أخذوه بالأمس سكران، وطلب منه أن يفرجوا عنه من أجله، فقال : سمعاً وطاعة، فلما خرج الغلام، ورأى أبا حنيفه أمامه بكى نادماً على ما فعل وأعلن توبته وعزمه على ألا يعود إلى ذلك أبداً .

وكذلك الإمـام أبو العزائم رضى الله عنه ، فقد كان يسكن فوقه فى منزله بالقـاهرة ، إمـرأة يـهـودية وأولادها، بالغت فى إيذائه رضى الله عنه أشـد الايذاء، حتى أنها كانت تمسك الهون وتدق عليه أعلى سقف الحجرة التى ينام فيها فى أوقات راحتـه حتى لا ينام، ومن كثرة تكرارها لهذا العمل، حـدث خرق فى السقف فكانت تنتظر حتى يلبس ملابسـه ويتـهيـأ للخـروج فتلقى عليه من الخرق، القاذورات التى تنجس ثيابه، ويتضايق المريدون ويثور بعضـهم، فيقول لهم رضى الله عنه ملاطفاً: قال صلى الله عليه وسلم: **«لم يكن مؤمن ولا يكون إلى يوم القيـامـة إلا وله جار يؤذيه»** [رواه أبو سعيد النقاش والأصفهانى وابن النجار عن على كرم الله وجهه] ثم يأمرهم أن يبدأوا بها دائماً بعد

طهى الطعام، فيعطوها ما يكفيها وأولادها، ويطلب منهم أن يشتروا لها ولأولادها كسوة من الملابس كل عام، حتى أنها لما رأت أن صنيعها لا يغير شيئاً، بحثت عن مسكن آخر وتركت المنزل ، وبعد هنيهة من الزمن، فوجئت بأبى العزائم يدق عليها الباب ويستأذن فى زيارتها، ويعتذر إليها إن كان قد بدا منه أو من أحد أولاده شيئاً أساءها فاضطرت إلى مغادرة المنزل - إزاء هذه الأخلاق النبيلة، العالية لم تتمالك اليهودية إلا أن تعلن إسلامها إعجاباً بهذا الخلق النبيل ويلقن الإمام أبناءه فى هذا الأمر درساً عملياً عندما قال له أحدهم مُردّداً قول القائل : «اتق شر من أحسنت إليه» فقال رضى الله عنه :

هذه العبارة غير كاملة، أكملها بما يأتى :

(اتق شر من أحسنت إليه بدوام الإحسان إليه) .

وكذلك الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، عندما أوشى ابن البراء - قاضى قضاة تونس - به إلى الملك وأوعز إليه أنه يعد العدة للقضاء عليه ، واستدل فى ذلك بالجموع الكثيرة التى تلتف حول الشيخ ،

فاستدعاه الملك إلى قصره ونهره ووبخه بشدة، ثم قام وتركه فقام الشيخ ليصلى المغرب وإذا بحريق يشب فى القصر ناحية الحريم ، وبعد إخمادها تبين أنها أتت على هذا الجناح بأكمله، وأحرقت إحدى زوجات الملك حرقاً بالغاً أدى إلى وفاتها، وكانت صاحبه الحظوة عنده، وبينما هم كذلك إذا بأخى الملك قد أقبل - وكان معتقداً فى الشيخ - فلما علم بما حدث نبّه أخاه إلى أن هذا كان نتيجة ما فعله مع الشيخ ، وأن ابن البراء هو الذى أوقعه فى ذلك ، فذهب الملك إلى الشيخ واعتذر له وأخرجه معززاً مكرماً .

فلا يقع المرء فى شدة ويذهب إلى الصالحين ، فيدعون الله عز وجل له إلا ويفرج الله عز وجل عنه كربه بدعائهم، وهذا ما وجّه إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول : **«من شكا لمؤمن فقد شكا لله ورسوله، ومن شكا لغير مؤمن فقد شكا الله ورسوله»** (رواه البخارى فى الأدب المفرد) .

لكن على المريدين والطالبين فى ذلك الأمر ، أن يتأدبوا بآداب الشرع الشريف فى إجابة الدعاء ، فقد يذهب المرء إلى الرجل الصالح ويرجو أن يتم قضاء حاجته بدعائه فى الحال، فإذا لم يشهد الإجابة يشنع عليه، ويتهمه بأنه دعىّ فى طريق القوم وليس برجل صالح، مع أنه ربما يكون الذى يطلبه شراً له وليس خيراً كما قال الله عز وجل **«وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم»** [الآية (٢١٦) البقرة] فالدعاء المستجاب يقول فيه صلى الله عليه وسلم **«إن العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث ، إما أن تُعجّل له دعوته، وإما أن يدخر له فى الآخرة ، وإما أن يُدفع عنه من السوء مثل هذا»** (رواه أحمد والبخارى فى الأدب والحاكم من حديث أبى سعيد) فالله عز وجل يستجيب للعبد - والأولياء عبيد الله - كما يريد ، لا كما يريد العبد، وبما يريد، لا بما يريد العبد، لأنه عز وجل أعلم بما ينفعنا، وبما يُصْلحنا منّا والذى لا يستجيبه الله عز وجل للعبد فى الدنيا ، ويدّخره له فى الآخرة يكون أعظم لأجره وأرفع لمنزلته فى الدار الآخرة، وفى ذلك يقول صلى الله عليه وسلم .

«لا يَدّع الله المؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه ، فيقول عبدى إنى أمرتك أن تدعونى، ووعدتك أن استجيب لك، فيقول: نعم يارب ، فيقول: أما إنك لم تدعنى بدعوة إلا استجيب لك ، أليس دعوتنى كذا وكذا لغمّ نزل بك أن أفرجه عنك ففرجت عنك ؟

فيقول نعم يارب ، فيقول: فإنى عجّلتها لك فى الدنيا ودعوتنى يوم كذا وكذا لغمّ نزل بك فلم تر فرجاً ؟

قال: نعم يارب ، فيقول : إنى ادخرت لك فى الجنة كذا وكذا، ودعوتنى فى حاجة أقضيها لك فى يوم كذا وكذا ؟

فيقول : نعم يارب، فيقول: فإنى عجلتها لك فى الدنيا، ودعوتنى يوم كذا وكذا فى حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها؟

فيقول: نعم يارب، فيقول: إنى أدخرتها لك فى الجنة كذا وكذا»

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **«فلا يدعو الله عبده المؤمن إلا بين له: إما أن يكون عجل له فى الدنيا، وإما أن يكون ادخر له فى الآخرة، قال : فيقول المؤمن فى ذلك المقام : ياليته لم يكن عجّل له شىء فى الدنيا من دعائه»** (رواه الحاكم عن جابر بن عبد الله) .

وفى ذلك يقول سيدى عبد العزيز الدباغ رضى الله عنه فى كتابه (الابريز) صـ ٣٧٨ :

«إن الذين ألّفوا فى كرامات الأولياء رضى الله عنهم، وإن نفعوا الناس من حيث التعريف بالأولياء ، فقد أضروا بهم كثيراً ، من حيث إنهم اقتصروا على ذكر الكرامات، ولم يذكروا شيئاً من الأمور الفانية التى تقع من الأولياء الذين لهم تلك الكرامات، حتى أن الواقف على كلامهم، إذا رأى كرامة على كرامة، وتصرفا على تصرف، وكشفا على كشف، توهم أن الولى لا يعجز فى أمر يُطلب فيه، ولا يصدر منه شىء من المخالفات ولو ظاهرا، فيقع فى جهل عظيم ، لأنه يظن أن الولى موصوف بوصف من أوصاف الربوبية، وهو أنه يفعل ما يشاء ولا يلحقه عجز، وبوصف من أوصاف النبوة وهو العصمة.

والأمر الأول من خصائص الربوبية، ولم يعطه الله تعالى لرسله الكرام، فكيف بالأولياء؟!

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : **«ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون»** [الآية (١٢٨) آل عمران] .

وقال: **«إنك لا تهدى من أحببت ، ولكن الله يهدى من يشاء»** [الآية (٥٦) القصص] .

وقال صلى الله عليه وسلم : **«سألت ربى عز وجل اثنين فأعطانيهما ، وسألته اثنين فمنعنيهما» قال تعالى: «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم» فقلت : أعوذ بوجهك الكريم، قال: قد فعلت «أو من تحت أرجلكم» فقلت : أعوذ بوجهك فقال قد فعلت «أو يلبسكم شيعا» فقلت : أعوذ بوجهك فقال: قد سبق القضاء «ويذيق بعضكم بأس بعض» فقلت : أعوذ بوجهك فقال : سبق القضاء»** [الآية (٦٥) الأنعام] .

وقال تعالى فى سؤال نوح نجاة إبنه من الغرق :

«ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين. قال يانوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين» [الآية (٤٥) هود] وقال تعالى: **«وضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً»** [الآية (١٠) التحريم] .

والناس اليوم إذا رأوا وليا دعا فلم يستجب له، أو رأوا ولده على غير طريق، أو امرأته لا تتقى الله، قالوا ليس بولى ، إذ لو كان وليا لاستجاب الله دعاءه، ولو كان وليا لأصلح أهل داره، ويظنون أن الولى يصلح غيره،

وهو لا يقدر على إصلاح نفسه، قال الله تعالى: **«ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبداً ولكن الله يزكى من يشاء»** [الآية (٢١) النور].

وأما الأمر الثانى وهو العصمة فهو من خصائص النبوة، والولاية لا تزاحم النبوة»

ثم قال رضى الله عن: «والخير الذى يظهر على يد الولى، إنما هو من بركته صلى الله عليه وسلم، إذ الإيمان الذى هو السبب فى ذلك الخير، إنما وصل إليه بواسطة النبى صلى الله عليه وسلم .

أما ذات الولى ، فإنها كسائر الذوات بخلاف الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم جبلوا على العصمة ، وفطروا على معرفة الله تعالى وتقواه، بحيث أنهم لا يحتاجون إلى شرع يتبعونه، ولا إلى معلم يستفيدون منه، والحق الساكن فى ذواتهم، وهو حرف النبوة الذى طبعوا عليه، يسلك بهم النهج القويم، والطريق المستقيم.

ولو أن الناس الذين ألفوا فى الكرامات ، قصدوا إلى شرح حال الولى، الذى وقع التأليف فيه، فيذكرون ما وقع له بعد الفتح، من الأمور الباقية الصالحة، والأمور الفانية ، لعلم الناس الأولياء على الحقيقة ، فيعلمون أن الولى يدعو تارة فيستجاب له ، وتارة لا يستجاب له، ويريد الأمر فتارة يُقضى، وتارة لا يُقضى، كما وقع للأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ويزيد الولى بأنه تارة تظهر الطاعة على جوارحه، وتارة تظهر المخالفة عليها كسائر الناس، وإنما امتاز الولى عنهم بأمر واحد، وهو ما خصه الله تعالى به من المعارف ، ومنحه من الفتوحات، ومع ذلك فالمخالفة إن ظهرت عليه، فإنما هى بحسب ما يظهر لنا لا فى الحقيقة ، لأن المشاهدة التى هو فيها تأبى المخالفة، وتمنع من المعصية منعاً لا ينتهى إلى حد

العصمة، حتى تزاحم الولاية النبوة، فإن المنع من المعصية ذاتى فى الأنبياء ، عرضى فى الأولياء، فيمكن زواله فى الأولياء، ولا يمكن زواله فى الأنبياء، وسره ما سبق وهو أن خير الأنبياء من ذواتهم ، وخير الأولياء من غير ذواتهم، فعصمة الأنبياء ذاتية، وعصمة الأولياء عرضية، فإن العارف الكامل إذا وقعت منه مخالفة فهى صورية لا حقيقية قصد بها امتحان من شاهدها واختاره ، ولذلك أسرار» ومن علم سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، فى أكله وشربه ، ونومه، ويقظته، وجميع أحواله فى بيته، وعلم سيرته فى حروبه وغزواته، وكيف يدال له مرة، ويدال عليه أخرى، وكيف يطلب منه أناس قوما من أصحابه، ثم يذهبون ويغدرون بهم، كما فى غزوة الرجيع، وغزوة بئر معونة، وعلم ما وقع فى قصة الحديبية وغيرها، ولكل ذلك أسرار ربانية أطلع الله عليها نبينا صلى الله عليه وسلم ، هانت عليه معرفة الأولياء ، ولا يستكثر ما يراه على ظاهرهم من الأمور الفانية، والأوصاف البشرية، فعلى العاقل الذى يحب الخير ويحب أهله، أن يكثر من مطالعة سيرته صلى الله عليه وسلم ، فإنه يهديه ذلك إلى معرفة الأولياء العارفين ، ولا يشكل عليه شىء من أمورهم .



الفصل الرابع

*أسرار مودة الصالحين

- أسباب زيارة الصالحين
- مراتب القرب
- ميزاب العطاء الإلهى
- ورثة النور والهداية
- أسرار أهل العناية

كان هذا الدرس بعد صلاة العشاء بمنزل الشيخ عبد الحليم يوسف بقرية دهتوره مركز زفتى محافظة الغربية يوم الأحد ١٢ من ربيع الأول ١٤١٧ هـ الموافق ٢٨/٧/١٩٩٦ .



أســـباب زيـارة الصالحيـــن

الناس الذين يذهبون للصالحين صنفان إما راغبين فى وصلهم ومتابعتهم وإما طالبين لمنفعة منهم لعلمهم علم اليقين بأن هؤلاء القوم لهم مكانة عند الله لأنهم جاهدوا فى الله حق جهاده حتى اجتباهم واصطفاهم ونقّاهم وأصبحوا زاهدين فى خلقه عز وجل فصار **«لهم ما يشاءون عند ربهم»** [الآية (٣٤) الزمر] فيذهب إليهم فى أوقات الشدة المريض الذى يأس من الشفاء والرجل الذى فقد القدرة على الإنجاب ويطمع أن يتولاه الله على يد أحد الصالحين ويكرمه بالانجاب والذى يذهب وعنده ضيق نفس من شىء ألمّ به فيذهب ليدعوا له الله أن يشرح صدره ويصرف عنه السوء إلى غير ذلك من أصحاب الحاجات وهؤلاء يكونوا زاهدين فى بضاعة الصالحين من الحب والأخلاص والعرفان وكل همهم أن تقضى حاجتهم فإذا قُضيت حاجة أحدهم ذهب ولم يعد إلا إذا حدثت له حاجة أخرى فيعود طالباً تيسيرها ودعاء الصالحين لله عز وجل فى تفريجها ولكن مادامت الدنيا ميسرة له وحوائجه مقضية فلا يتردد عليهم أما الآخرين وهم الأكياس لأنهم يذهبوا للصالحين وهم على اعتقاد تام أنّنا جميعاً مسافرون إلى الدار الآخرة وبعد خروجنا من الدنيا فكل أمرىء يُبعث على ما مات عليه والمؤمنون يوم القيامة كما قال الله تعالى **«هم درجات عند الله»** [الآية (١٦٣) آل عمران] فليسوا كلهم فى درجة واحدة بل منهم طائفة على منبر من نور أمام عرش الرحمن ومنهم فئة تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله ومنهم رهط على الآرائك ينظرون، وهناك قوم يعطيهم النبى صلى الله عليه وسلم توكيلاً من حضرته ليشفعوا فى غيرهم فمنهم من يشفع فى ألف ومنهم من يشفع فى عشرة آلاف ومنهم من يشفع فى مليون ومنهم الذى يشفع فى سبعين ومنهم الذى يشفع فى عشرة وهكذا وهناك طائفة يصف حسنهم فى الموقف النبى صلى الله عليه

وسلم فيقول **«إن من أمتى رجال يُضىء حسنهم لأهل الموقف كما تضىء الشمس لأهل الدنيا»** وهناك كوكبة يدخلهم الله عز وجل الجنة والملائكة تعرض عليهم كل ألوان النعيم فى الجنة وهم يزهدون فيه فيسألهم الله عز وجل ألم يرضكم نعيمى ؟

فيقولون تركناها أحوج ما نكون إليها فى الدنيا فيقول عز وجل وماذا تريدون؟ فيقولون لا نريد إلا النظر إلى جمال وجهك **«وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»** [الآيتان (٢٢ . ٢٣) القيامة] فيقول الله عز وجل «أنتم عبادى حقاً وأوليائى صدقا وهناك من هذه المقامات أسماء وأنوا ع لو جلسنا إلى يوم القيامة نعدهم لما استطعنا ويجمعهم مقام «القرب» ويطلق عليهم جميعاً المقربون .

مراتب القرب

فالذى يريد أن يكون من المقربين لابد أن يخرج من الدنيا على درجة من درجات المقربين وكيف يحصل المؤمن على درجة من درجات القرب ؟ أبالعمل؟ وما العمل الموصل إلى ذلك ؟

إن الدرجات التى تُنال بالعمل درجات الجنة **«وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون»** [الآية (٧٢) الزخرف] فدخول الجنة بالفضل أما درجات الجنة فبالعمل فهناك جنة الخلد وجنة عدن وجنة الفردوس وجنة دار السلام وجنة المأوى وكل مؤمن يدخل الجنة المناسبة لعمله لكن درجات القرب هى على حسب ما يحدده وما يطلبه أهل القرب من الكريم عز وجل لهم وما العمل الذى أعمله من القرآن والسنة والذى يجعلنى رجل من أهل الكشف ؟ وما العمل الذى أعمله ليفتح الله عز وجل لى به عيون الإلهام ؟

لا يوجد عمل يُنال به ذلك لأن ذلك فضل من الله وفتح من الله ولذلك يقول

الله عز وجل فى العبد الذى فتح عليه بذلك **«آتيناه رحمة من عندنا وعلّمناه من لدنا علماً»** [الآية (٦٥) الكهف] فالإلهام والفتح والكشف والفراسة والوراثة وغيرها كلها بابها فى كتاب الله **«يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم»** [الآية (١٠٥) البقرة] والأدلة فى هذا المجال كثيرة فالرجل الذى منحه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقب الفاروق لم يتفضل عليه بذلك لكثرة نوافله ومجاهداته لأن ذلك كان بعد دخوله الإسلام مباشرة فقد كان إسلامه بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **«اللهم أعزّ الإسلام بأحد العمرين»** فقد خرج فى صباح ذلك اليوم حاملاً سيفه ليقضى به فى- زعمه - على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابته هذه الدعوة فذهب إليه وأسلم ثم قال يارسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟

فقال صلى الله عليه وسلم : بلى قال فلم لا نجهر بهذا الدين ؟

طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج بالمسلمين إلى الكعبة فوافق صلى الله عليه وسلم فاقترح على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج المسلمون فى صفين يكون هو على رأس أحدهما وحمزة يتقدم الصف الثانى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين الصفين فى أوسطهما ولكن بدون الطبول والمزامير وما شابه ذلك وهذا أساس المواكب التى تسيرّها الصوفية فمشوا حتى وصلوا إلى الكعبة فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه اللحظة الفاروق وجعل الله الحق على لسانه وقلبه فكان لا ينطق بحكم إلا وأيّده القرآن ما سبب هذه الموهبة ؟

دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أصابته وكذلك صنع صلى الله عليه وسلم عندما دخل المدينة فقد دخلها بهذه الكيفية فقبل المدينة بمرحلتين قابله صلى الله عليه وسلم بُريدة بن الحصيب الأسلمى وكان قد

بلغته الأخبار بالجائزة التى أعلنتها قريش لمن يأتى بالرسول صلى الله عليه وسلم حيّاً أو ميتاً فخرج ومعه سبعون رجلاً مُدجّجين بالسلاح **فقال له صلى الله عليه وسلم من أنت ؟**

قال بُريدة فالتفت إلى أبى بكر وقال له : بَرُد أمرك يا أبا بكر ثم قال ممن؟ قال : مِنْ أسلم فقال صلى الله عليه وسلم : سلمت يا أبا بكر فقال بُريدة ومن أنت ؟ قال محمد رسول الله فقال أشهد أنك رسول الله . فشرح الله صدره للإسلام هو ومن معه وسار بمن معه فى رُفْقته صلى الله عليه وسلم فلما اقتربوا من المدينة قال انتظر يا رسول الله حتى نتهيّأ للدخول فإذا به يُنظّم من معه إلى صفين ثم يخلع عمامته وينصبها راية على رمحه ويتقدمهم ويطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسير فى المؤخرة بمن معه ومن تمام النعمة عليه صلى الله عليه وسلم أنه كان قد تقابل مع سيدنا عبد الرحمن بن عوف وسيدنا الزبير بن العوام وكانا راجعين من تجارة لهما ببلاد الشام ومعهما ثياب بيضاء فاخرة فأعطياه صلى الله عليه وسلم ثوبين منهما لبسهما عند دخوله المدينة المنورة . وكذلك الصديق رضى الله عنه ماذا فعل لكى ينال هذا المقام ؟ هل كان لعبادة خاصة يقوم بها ؟

كلا بل لأن النبى قال له : **«أنت يا أبا بكر الصديق »** فسمى الصديق .

ميزاب العطاء الإلهى

وهكذا الأمر يا أخوانى إلى يوم القيامة فإن الله عز وجل جعل هذه العطاءات خاصة برسول الله وقال له صلى الله عليه وسلم **«هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب»** [الآية (٣٩) ص] فقد سلمناك المنح الإلهية لكى توزعها على من تريد وكما تريد لماذا ؟ لأنه عز وجل يعلم أنه صلى الله عليه وسلم ليس عنده هوى فى توزيع هذا الفضل فلا يخص أحد بشىء لأنه

قريبه أو نسيبه أو لأنه صنع معه معروفاً ولكن لا يعطى إلا الذى يستحق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم **«الله المعطى وأنا القاسم»** إذن من الذى يوزع عطاء الله من الكشف الربانى ومن الإلهام النورانى ومن الدرجات والمقامات الوهبية ؟

سيدنا رسول الله صلى الله وسلم ، فهذه الدرجات لا توزع على أساس المحسوبية أو العصبية بل هى مبرأة من الهوى بالكلية والأساس فيها للتقى والهدى والورع والخشية ومقياس منحها قول الله عز وجل **«إن اكرمكم عند الله أتقاكم»** [الآية (١٣) الحجرات] أى على حسب التقوى الموجودة فى القلب ومن هذا العطاء الذى وزعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله صلوات الله وسلامه عليه **«أزهد أمتى أبوذر وأفتاهم علىّ وأفرضهم زيد بن ثابت وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأقرأهم أبى بن كعب»** من الذى أصدر القرار بهذه المنح ؟

رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه صلى الله عليه وسلم ليس عنده أدنى هوى بل هو كما قال الله عز وجل فى شأنه **«وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى»** [الآيتان (٣، ٤) النجم] وهذا الأمر يسلمه صلى الله عليه وسلم لفرد وارث عنه فى كل زمان من أمته على أن يكون قارب هذه المنزلة الشريفة أى تنزّه عن الهوى والغرض والحظ والعصبية ليوزع هذا العطاء على أهل الخصوصية وفقاً للقواعد الإلهية والسنن النبوية ومن ذلك ما حدثنا به سيدنا على رضى الله عنه وكرم الله وجهه من أنه رأى فى المنام فى عصر سيدنا عمر أن سيدنا رسول الله جالس فى المسجد فى القبلة وأمامه مِكْتل مملوء بالتمر والذى يدخل من أصحابه يناوله بعضه فدخل سيدنا على فأعطاه تمرتين قال : فأكلتهما فوجدت لهما حلاوة لم أذقها فى حياتى قط فتمنيت أن يزيدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكننى استحييت من حضرته

صلى الله عليه وسلم أن أطلب منه قال : فاستيقظت من النوم وتوضأت وذهبت إلى المسجد فوجدت فى القبلة سيدنا عمر وإذا بامرأة من الأنصار تدخل المسجد تحمل مكتلاً به تمر فوضعته أمامه وطلبت منه أن يوزعه على أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم فتقدمت منه فأعطانى تمرتين فأكلتهما فوجدت فى نفسى حلاوة التمر الذى أكلته فى المنام فقلت زدنى يا عمر فقال رضى الله عنه : عجباً لك يا أبا الحسن أتستحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تستحى منّى ولو زادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدتك فهنا يظهر لنا أن سيدنا عمر كان هو القائم مقام رسول الله فهؤلاء ورثته صلى الله عليه وسلم فيعطيهم سيدنا رسول الله عطاء الله ويطلب منهم أن يوزّعوه على عباد الله ولكن متى ؟

بعد أن يتحققوا بقول الله عز وجل **«فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون»** [الآية (١٠١) المؤمنون] فيصير الرجل منهم وليس فى قلبه ذرة من الهوى حتى لابنه ولا مرأته فما بالك بقريبه أو نسيبه ؟

لأن هذا عطاء الله لا يعطيه إلا لمن يستحق عطاء الله والذى وقع عليه اختيار الله ولهم علامات وإشارات يُظهرها لهم الله عز وجل فيعلمون أن هذا يستحق منزلة كذا وأن هذا لا يستحق كذا فهم يعطون على أساس ما يكشفه الله لهم عز وجل **«قل هذه سبيلى ادعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى»** [الآية (١٠٨) يوسف] فقد ذهب رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : علمنى غرائب العلم فقال صلى الله عليه وسلم : **«هل تعلمت أساس العلم ؟**

قال لا قال : فاذهب وتعلم أساس العلم ثم أقبل لأعلمك غرائب العلم» وكان يوزع فى يوم من الأيام الدرجات الوهبية فقال صلى الله عليه وسلم

«يُدخل الله عز وجل سبعين ألفاً من أمتى الجنة بغير حساب» فقال سيدنا عكاشة رضى الله عنه يارسول الله أدعوا لله أن أكون منهم فقال صلى الله عليه وسلم : أنت منهم فقال رجل آخر أدعوا لله أن أكون منهم فقال : **سبقك بها عكاشة** لماذا؟ لأنه نظر صلى الله عليه وسلم ببصيرته النورانية فوجده من جملة المنافقين ولذا فلا يستحق هذه المنزلة .

ورثة النور والهداية

وعلى هذا المنوال سار ورثته الأبرار رضى الله عنهم فهذا الشيخ منصور الباز البطائحى رضى الله عنه أعطى الخلافة من بعده لأبن اخته سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه وترك ابنه فغضبت زوجته من ذلك وطلبت من كبار الأخوان المحيطين بالشيخ أن يكلموه فى ذلك فلما أثقلوا عليه الكلام فى ذلك طلب منهم احضار الأثنين معاً فلما حضرا بين يديه طلب من كل منهما أن يحضر حملاً من العشب من الوادى المجاور لهم فأسرع ابنه وأظهر همة بالغة فى تنفيذ الأمر وجاء بالحمل فى أقل من الوقت المقرر لهما أما سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه فقد ذهب ولم يرجع فلما طالت غيبته واستبطأ الشيخ عودته طالبهم باحضاره فحضر وليس معه شيء فسأله الشيخ عن سبب عدم احضاره ما طُلب منه فقال كلما أردت أن أقطع نبتة سمعتها تذكر الله فأستحى من الله أن أقطعها وهى تذكره فقال لهم الشيخ رضى الله عنه أرأيتم الفارق بين الرجلين ؟

قالوا نعم وسلمنا لك فيما فعلت وهذا لأن الذى سيختاره للخلافة من بعده سيقود المريدين والسالكين ولا يستطيع أن ينهض بذلك إلا إذا كانت عنده بصيرة نورانية وشفافية روحانية يستطلع بهما أحوال المريدين ويأخذ بأيديهم إلى طريق الصدق واليقين أما إذا كان لا يملك هذه المؤهلات

الروحانية وكل همه تحصيل الدنيا وجمعها فسيكون شأنه مع المريدين كما يقول الرجل الصالح .

إذا كان الغراب دليل قوم　　هوى بهم إلى وادى الخراب

وهذا رجل آخر من العارفين أراد إكرام ابنه فأدخله الخلوة وأعطى له أوراداً ثم أخرجه بعد فترة وسأله عمّا رآه فلم يجده قد فُتح عليه بشيء فأعطاه أوراداً أخرى ثم أدخله الخلوة ولكنه أيضاً لم يُفْتح عليه بشيء فكرر ذلك معه مراراً وفي كل مرة لا يُفْتح عليه بشيء وفي النهاية قال له : يا بني لو كان الفتح بيدي لكنت أول مريد عندي في الطريق لكن الفتح بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده فهؤلاء القوم لا يحابون أحداً ولا يخصّون أحداً بفضل لا يستحقه لأن الله أعطاهم الموازين القرآنية والمقاييس النبوية وراثة عن خير البرية صلى الله عليه وسلم ولذلك فهو صلى الله عليه وسلم يسلّمهم الأمانة كيف يفعلون بها ؟

هذا ما نراه في هذه الحكاية التي رواها الشيخ اليافعي في كتابه نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية» صـ ٤١٣ عن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضى الله عنه وارضاه حيث يقول : «إشارة إلى شيء مما شوهد من عظيم شرفه صلى الله عليه وسلم وجلالة قدره وعلو مقامه فوق جميع مقامات الأصفياء واستمداد الكل من نوره وتأدّب الكل معه وما يكشف للشيوخ العارفين من العجائب وينالون من المواهب ببركته صلى الله عليه وسلم ومن ذلك ماروُى عن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى أبي عبد الله محمد بن أحمد البلخي رضى الله تعالى عنه قال سافرت من بلخ إلى بغداد وأنا شاب لأرى الشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنه فوافيته يصلى العصر بمدرسته وما كنت رأيته ولا رآني قبل

ذلك فلمّا سلّم وأهرع الناس للسلام عليه تقدمت إليه وصافحته فأمسك بيدى ونظر إلى مُبتسماً وقال : مرحباً بك يابلخى يا محمد قد رأى الله سبحانه مكانك وعلم نيتك، قال: فكأن كلامه كان دواء الجرح وشفاء العليل فذرفت عيناى خشية وارتعدت فرائصى هيبة ونفضت احشائى شوقاً ومحبة وأوحشت نفسى من الخلق ووجدت فى قلبى أمراً لا أُحسن أعبر عنه ثم مازال ذلك ينمو ويقوى وأنا أغالبه فلما كان ذات ليله قُمت إلى وردى وكانت ليلة مظلمة فبرز لى من قلبى شخصان بيد أحدهما كأس وبيد الآخر خِلْعة فقال لى صاحب الخلعة أنا على بن أبى طالب وهذا أحد الملائكة المقربين وهذا كأس شراب المحبة وهذه خِلْعة من حُلل الرضى ثم ألبسنى تلك الخلعة وناولنى صاحب الكأس فأضاء بنوره المشرق والمغرب فلما شربته كُشف لى أسرار الغيوب ومقامات أولياء الله تعالى وغير ذلك من العجائب فكان مما رأيت مقاماً تزلّ أقدام العقول فى سرّه وتضل أفهام الأفكار فى جلاله وتخضع رقاب الأولياء لهيبته وتذهل أسرار السرائر فى بهائه وتدهش أبصار البصائر لأشعة أنواره لاتسامته طائفة من الملائكة الكروبيين والروحانية والمقربين إلاّ حَنتَ ظهورها على هيئة الراكع تعظيماً لقدر ذلك المقام وسبّحت الله عز وجل بأنواع التقديس والتنزيه وسلّمت على أهل ذلك المقام ويقول القائل إنه ليس فوقه إلا عرش الرحمن يتحقق الناظر إليه أن كل مقام لواصل أو حال لمجذوب أو سر لمحبوب أو علم لعارف أو تصريف لولى أو تمكين لمقرب فمبدؤه وموئله وجملته وتفصيله وكله وبعضه وأوله وآخره فيه استقر ومنه نشأ وعنه صدر وبه كمل فمكثت مدة لا أستطيع النظر إليه ثم طوّقت النظر إليه ومكثت مدة لا أستطيع أن أسامته ثم طوقت مُسامتته ومكثت مدة لا أستطيع أعلم بمن فيه ثم بعد مدة علمت بمن فيه فإذا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يمينه آدم وإبراهيم وجبريل وعن شماله

نوح وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وبين يديه أكابر أصحابه رضى الله تعالى عنهم والأولياء قدس الله تعالى أرواحهم قيام على هيئة الخدم كأن على رءوسهم الطير من هيبته صلى الله عليه وسلم وكان ممن عرفت من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة والعباس رضى الله تعالى عنهم وممن عرفت من الأولياء معروف الكرخى وسرى السقطى والجنيد وسهل التسترى وتاج العارفين أبو الوفاء والشيخ عبد القادر والشيخ عدى والشيخ أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنهم أجمعين وكان من أقرب الصحابة إلى النبى صلى الله عليه وسلم أبو بكر ومن أقرب الأولياء إليه الشيخ عبد القادر فسمعت قائلاً يقول إذا اشتاق الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون والأولياء المحبوبون إلى رؤية محمد صلى الله عليه وسلم ينزل من مقامه الأعلى إلى هذا المقام فتُضاعف أنوارهم برؤيته وتزكو أحوالهم بمشاهدته ويعلو مكانهم ومقاماتهم ببركته ثم يعود للرفيق الأعلى فسمعت الكل يقولون **(سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)** ثم بدت لى بارقة من نور القدس الأعظم فغيبتنى عن كل مشهود واختطفتنى عن كل موجود وأسقطت منى التمييز بين كل مختلفين وأقمت على هذا الحال ثلاث سنين فلم أشعر إلا وأنا فى سامراً والشيخ عبد القادر رضى الله عنه قابض على صدرى وإحدى رجليه عندى والأخرى ببغداد وقد عاد إلىّ تمييزى وملكت أمرى فقال لى الشيخ يا بلخى قد أُمرت أن أردّك إلى وجودك وأملكك حالك وأسلب منك ما قهرك ثم أخبرنى بجميع مشاهداتى وأحوالى من أول أمرى إلى ذلك الوقت إخباراً يدل على اطّلاعه علىّ فى كل نفس وقال لى لقد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع مرات حتى طَوّقت النظر إلى ذلك المقام وسبع مرات حتى طوقت مُسامتته وسبع مرات حتى اطّلعت على من فيه وسبع مرات حتى سمعت المنادى ولقد سألت الله تعالى فيك سبع وسبع

مرات حتى ألاح لك تلك البارقة وكنت من قبل قد سألته فيك سبعين مرة حتى سقاك كأساً من محبته وألبسك خلعة رضوانه يابنى اقضى جميع ما فاتك من الفرائض . ومن جملة الأنوار التى حصلت للشيوخ العارفين بالله تعالى أولى الأسرار من نوره صلى الله عليه وسلم الباهر ببركة متابعته صلى الله عليه وسلم بالباطن والظاهر واستمداد أنهارهم من بحره الزاخر وبعضهم من بعض حصل لهم منه صلى الله عليه وسلم النصيب الوافر ما شوهد من نور شيخ الشيوخ الأكابر قطب الأولياء الشيخ عبد القادر رضى الله تعالى عنه وذلك أن الشيخ الكبير العارف بالله تعالى بقاء رضى الله تعالى عنه رأى ليلة الجمعة الخامس من شهر رجب سنة ثلاثة وأربعين وخمسمائة نوراً أضاءت به الآفاق وعمّ أقطار الوجود قال ورأيت أسرار ذوى الأسرار تثب إليه فمنها ما يتّصل به ومنها ما يمنعه مانع من الإتصال به وما اتّصل به سرّ منها إلا تضاعف نوره فتطلبت ينبوع ذلك النور فإذا هو صادر عن الشيخ عبد القادر فأردت الكشف عن حقيقته فإذا هو نور شهوده قابل نور قلبه وتقادح هذان النوران فانعكس ضياؤهما على مرآة حاله واتصلت أشعة المتقادحات من لحظ جمعه إلى وصف تفرقته فأشرق بها الكون ولم يبق ملك نزل فى الليلة المذكورة إلى الأرض إلا أتاه وصافحه قال الراوى فأتيناه يعنى الشيخ عبد القادر وقلنا له أصليت صلاة الرغائب فى الليلة المذكورة ؟ فأنشد

إذا نظرت عينى وجوه حبائبى	فتلك صلاتى فى ليالى الرغائب
وجوه إذا ما أسفرت عن جمالها	أضاءت لها الأكوان من كل جانب
حُرمت الرضى إن لم أكن باذلا دمى	أزاحم شجعان الوغى بالمناكب
أشق صفوف العارفين بعزمة	تعلى مجدى فوق تلك المراتب
ومن يوف الحب ما يستحقه	فذاك الذى لم يأت قط بواجب

إذن أى فتح يحدث للمريد يكون ببركة رجال الله الصالحين فإن هؤلاء رضاهم من رضا الله عز وجل والله سبحانه وتعالى يقول فى حبيبه صلى الله عليه وسلم **«والله ورسوله احق أن يرضوه»** [الآية (٦٢) التوبة] وسياق الآية كان يستوجب أن يُقال أحق أن يرضوهما لأنهما أثنين لكنه عز وجل قال أحق أن يرضوه والضمير يعود على أقرب مذكور فالرضا هنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورضا الله من رضا الرسول صلى الله عليه وسلم فالذين يريدون المنازل العالية والدرجات السامية لأهل القرب عليهم أن يعلموا علم اليقين أن ما يطلبونه فى خزائن الحبيب صلى الله عليه وسلم ولا يخرج منها إلا بأمر طبيب عيّنه الحبيب وأعطاه إذن للتطبيب فهم يكتبون على تذكرة الدواء الذى يصرفه سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم للمرضى هذا الدواء لا يخرج إلا بأمر الطبيب وهذا ما جعل المريدين الصادقين حريصين على ملازمة الصالحين ولا يملّون من زيارتهم ولا يشبعون من رؤيتهم ولا يسئمون من مجالستهم لأنهم يريدون تحقيق بغيتهم وإن كان الصالحون فى أنفسهم يتمنّون الأنفراد بالله عز وجل ويفرون من الخلق من أجل ذلك وفى ذلك تقول السيدة رابعة العدوية رضى الله عنها :

راحتى يا أخوتى فى خلوتى   وحبيبى معى أبداً فى جلوتى

ولا يخرجون إلى الخلق إلا بأمر من الملك الحق وفى ذلك يقول سيدى أحمد أبو شرقاوى رضى الله عنه :

قد رُمْت نهجاً خفياً أستريح به   لكن ربّ العـُلا للخلق أبدانى

فصرت لله مشكاة ومأذنة   طُوبى لمن بالرضا والبشر يلقانى

هذه يا اخوانى مواهب الصالحين والذى يعتقد أو يعرف جهة أخرى

توصلنا إلى الله غير هذه فليدلّنا عليها ويبينها لنا . وتأمل معى فى قول الإمام أبى العزائم رضى الله عنه :

لا تقل إن وصولى بالعمل	أو بقطع الوقت فى طول الأمل
إن مولانا تنزّه عن علل	إنه الرب المهيمن والكبير

فمشكلة الناس التى تحرمهم من هذا الفضل هى عدم تسليمهم للصالحين لرؤيتهم لذواتهم البشرية وعدم إطّلاعهم على حقائقهم النورانية وقديماً قالوا فى الحكمة : من فاز بالتسليم فاز بكمال النعيم ومن أبى التسليم حُرم عطايا الكريم فقد ورد أن إبليس عندما تقابل مع سيدنا موسى طلب منه أن يسأل له الله عز وجل ليتوب عليه فأوحى إليه الله عز وجل ياموسى قل له إن كان صادقاً فى توبته فليذهب إلى قبر عبدى آدم ويسجد له فلما أخبره موسى عليه السلام بذلك قال يا موسى إذا كنت لم أسجد له وهو حى فكيف أسجد له بعد موته؟! ولذلك يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه فى حكمته : عجبت لمن سجد لواحد فأشرك ولمن سجد لا ثنين فوحّد ويقصد بذلك إبليس والملائكة وهكذا الأمر فالذى لا يسجد يعنى لا يسلّم ظاهراً أو باطناً للعارفين لا يحدث له فتح لقوله عز وجل **«فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً»** [الآية (٦٥) النساء] ففضل الله عز وجل لأهل العناية وأهل الكمال ومننه بالمواهب والعطاءات والمنح للاتقياء والأصفياء لا تكون إلا عن طريق الصالحين ولا تُفاض المواهب من الصالحين إلا بالتسليم الكلّى ظاهراً وباطناً لهم ومداومة لقاءتهم وحضور جلساتهم حتى ينال ما عندهم فقد ذهب رجل إلى الإمام أبى العزائم رضى الله عنه وقال يامولانا أنا أريد أن أصل إلى الله فماذا أعمل ؟

فقال يابنى انظر إلى رجل قريب من الله فتقرّب إليه وتودّد إليه حتى

يحبك فإذا أحبك دخلت فى قلبه والله عز وجل ينظر فى قلوب أحبابه فى كل يوم سبعين مرة فإذا نظر فى قلبه ووجدك فيه أحبك وإذا أحبك هداك وبتوفيقه والاك وبطاعته عز وجل أقامك **«فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه»** [الآية (٥٤) المائدة] فهو الذى يحبهم أولاً وكيف يتم لهم ذلك ؟

إذا عيونه عز وجل فى الأرض أحبتهم فهذه أسرار العناية وأسرار الهداية أبحناها لكم وإن كان أهل العقول لا يسلّمون بها ولا يصدّقون بها فإن ذلك لحرمانهم لأنهم ليس لهم فى هذه العطاءات نصيب وصلى الله علىٰ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل الخامس

فى معية الصالحين

- أسباب تعلق الناس بالصالحين
- أسرار ابتلاءات المحبين
- رابطة القلوب النورانية
- موقف الصالحين من المعترضين عليهم
- شيم الكرام
- تجارة الصالحين
- غيرة الله للصالحين

● كان هذا الدرس صباح يوم الجمعة ١٩ من صفر ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦/٧/٥ قبل صلاة الجمعة بمنزل مولانا الشيخ محمد على سلامه ببورسعيد بمناسبة الإحتفال بذكراه رضى الله عنه .

أسباب تعلق الناس بالصالحين

السؤال الذى يجيش بصدر إخواننا ، أو ببعض الإخوان الحاضرين .. لماذا هذا الجمع ؟

هذا الجمع جمعه الله عزَّ وجلَّ يا إخوانى

وهذا السؤال يسأله الناس فى كل زمان ومكان عندما يرون تحلق الناس حول الصالحين ، وإجتماعهم حولهم ، ويعجبون أكثر عندما يرون شدة ارتباطهم بهم ، لدرجة أن كثيراً منهم لا يُصدر أمراً ، ولا يفعل شيئاً إلاَّ بعد استئذانهم ومشورتهم وأخذ رأيهم .

هذه الأحوال تثير كثيراً من التساؤلات لدى بعض الناس الذين لم يصلوا إلى هدفهم ، ولم يروا بعين القلب حقيقتها وحكمتها .

لكن ما قيل عن الصالحين، قد قيل قبل عن الأنبياء والمرسلين ، فالكلُّ مرسل برسالة الله إلى صفوة من خلق الله يدعونهم ويهدونهم إلى الله عزَّ وجلَّ .

هذا الحب نستطيع أن نجيب عليه بإجابات كثيرة ، وكلها محكمة وسديدة، لأنها من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فالحبُّ والبغض من أمر الله، وليس لأىّ إمرىء مهما بلغ قدره، ومهما علت منزلته، ومهما اتسع علمه، ومهما كَثُرَ خيره وبرّه إستطاعة فى أن يجذب القلوب إليه جذباً دائماً. لكن ذلك الأمر لله عزَّ وجلَّ كما قال لحبيبه ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه:

«لو أنفقت ما فى الأرض جميعاً ما ألَّفت بين قلوبهم ولكن الله ألَّف بينهم إنه عزيز حكيم» [آية (٦٣) من سورة الإنفال] .

إذن تأليف القلوب خصوصية لعلاّم الغيوب عزَّ وجلَّ . وعندما نريد أن نعرف بياناً وكشفاً واتضاحاً لهذه الكيفية تأتى المذكرة التفسيرية لكتاب الله، وهى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم توضح ذلك .

فى قوله صلى الله عليه وسلم : **«إذا أحب الله عبداً، نادى جبريل وقال: ياجبريل إنى أحب فلاناً فأحبه .**

قال صلى الله عليه وسلم : فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء – وأهل السماء لها إشارة هنا، يعنى أهل الرفعة وأهل الأرواح المرتفعة ، وأهل القلوب الطالبة للقرب من حضرة علاّم الغيوب عزَّ وجلَّ . هؤلاء اسمهم أهل السماء لأن همتهم عالية وعزيمتهم راقية ، وبضاعتهم التى يطلبونها من الله عزَّ وجلَّ عزيزة وغالية ، فهم لا يريدون بضاعة رخيصة من الله عزَّ وجلَّ، يعنى لا يطلبون دنيا ولا أهواء ولا رغبات فانية ، ولكن يريدون وجه الباقى عزَّ وجلَّ . وهؤلاء مثل ما قال القائل :

أيها الطالب معنى حُسـننا ... مهرنا غـالٍ لمن يطلبنا

بدنٌ مضْنى وفؤاد فى عَنـَا ... وعيون لا تذوق طعم الوَسَـنا

هذا هو المهر لمن يريد وجه الله عزَّ وجلَّ . فالذى يريد الجنة، ماذا يدفع يا إخوانى؟ يدفع نفسه وماله لله عزَّ وجلَّ .

«إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » [آية (١١١) من سورة التوبة] .

وهؤلاء هم المؤمنون ، فكيف بمن يريد صاحب الجنة عزَّ وجلَّ والتمتع بالنظر إليه ، والتزلّف بالقرب لديه؟ هذا يترقى من دائرة المؤمنين إلى دائرة المحسنين ، أو إلى دائرة الموقنين .. ماذا يشترى الله عزَّ وجلَّ من هؤلاء ؟

كما قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه :

فبذلتُ الروح لهّا أن أتى الداعى وبشَّر

وقليلٌ بذل روحى للمليك وفيه أعذر

ليس معه أبداً إلاَّ الروح ، وإن كان هو يعرف أنها قليلة ، لأن الروح أصلاً من الله عزَّ وجلَّ ، فهى منه وإليه سبحانه وتعالى .

فأهل السماء ، وأهل العلو ، وأهل الرفعة **ينادى فيهم جبريل -: ياأهل السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه . قال صلى الله عليه وسلم : «فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى أهل الأرض»** [رواه البخارى مسلم] .

هذه هى حقيقة الحب الذى يجمع بين الصالحين وبين المريدين فى كل زمان ومكان ، فهو من الله إلى قلوب الصفوة من عباد الله ، لا تراه العيون ولا تصل إلى كنهه العقول . ولذلك لا يستطيع أحد دفعه أو منعه لأنه من الله عزَّ وجلَّ .

أسرار ابتلاءات المحبين

ومن أجل ذلك كلنا نسمع عن ما تعرض له المحبون من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتن والإبتلاءات من أجل أن يرجعوا ، أو من أجل أن يندموا ، أو من أجل أن يقولوا شيئاً فى حبيبهم يُرضى غرور الكفار والمنافقين ، ولكنهم كانوا عند ذلك ثابتين كالجبال ، حتى أن أحد أبناء الإمام أبو العزائم رضى الله عنه وأرضاه - وكان من السودان - لما تعرض لهذه الفتن ، وثبت كالجبل الأشم ، وفى النهاية قال لهم اسمعوا :

وإذا الجبال تزحزحت عن أرضها عن حبِّ ماضى العزم لا نتحول

وحى السماء مُنَزَّلٌ ببيوتنا وحقائق الآيات عنّا تُنْقل

وإذا تجلّى بالجمال حبيبنا في الأوليا فلنا الطِّراز الأول
قل للحسود إخْأ فإنك جاهل بجنابنا يتوسل المتوسل

فهذا الحب الذى فى قلوبنا لمحبوبنا ، حتى نحن أنفسنا لو أراد رجل منا أن يخلعه من قلبه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . فما بالك بغيره ؟ لماذا؟ لأنه ليس بأيدينا ، إنه كما قال الله فى القرآن :

«وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى» [من الآية (٣٩) من سورة طه] .

رابطة القلوب النورانية

فالمحبة التى فى قلوبنا من الله عزَّ وجلَّ ، هو الذى أوجدها ، وهو الذى ثبَّتها ، وهو الذى ربط عليها . لمَّا وضعها وثبَّتها وربط عليها ، مَنْ فى الوجود كله الذى يستطيع أن يحلّ هذه الرابطة ؟

«وربطنا على قلوبهم إذ قاموا» [من الآية (١٥) من سورة الكهف] .

فلما قاموا لله ، صادقين مع الله ، مخلصين مع سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ربط الله على هذه القلوب بالرابطة النورانية النبوية . وهذه هى النقطة التى تجعل كثيراً من الناس - ياإخوانى - يعترض وينتقد ، ولو نظر إلي الحقيقة لسلَّم أحوال أهل الطريقة . لماذا ؟

من أين هذا الحب ؟

من الله عزَّ وجلَّ . وبالله سبحانه وتعالى

وما الهدف المرجو من هذا الحب ؟

رضاء الله ورضاء سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لأن الله عزَّ وجلَّ أمرنا أن نحب رسوله الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، وأمرنا أن نخضع لمن يدلّنا عليه ، ويحرق قلوبنا بالشوق إليه ، ويرفع الحجب والأستار عن نفوسنا حتى نشاهد الأنوار التى تفضل بها المولى عزَّ وجلَّ عليه - صلوات الله وسلامه عليه .

ولماذا لا يحصل هذا الكلام مع كل الناس ؟

لأنه ليس كل الناس تطلب هذه الأحوال ، أو تطلب هذه الخصال ، أو تطلب هذه الفعال فهناك أناس يعيشون فى الدنيا وهمهم كله أن يتمتعوا بحطامها الفانى ، ولا ترتفع عيونهم طرفة عين للنظر إلى الشىء الباقى الذى دعانا الله عزَّ وجلَّ إليه ودلّنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - عليه . فهؤلاء الناس كيف يحسّون بهذه الأحوال التى نحن فيها ؟ إنهم يظنون كما قال الدهريون فى القرآن :

«إن هى إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاَّ الدهر» [من الآية (٢٤) من سورة الجاثية] .

هؤلاء الناس يظنون أن الحكاية كلها هى الدنيا ، مع أنهم يرون أن الدنيا كل نَفَس من الأنفاس تتجمل بزينة وفتن ، وبهارج وزخارف ، وكلها كالسَّراب والغرور لأهلها وطلابها . ويرون أن كل مَنْ على ظهرها لا يثبت على حال ، ففى طرفة عين يتحول المرء من صحيح إلى سقيم ، ومن غنى إلى فقير أو العكس ، لأنها تتقلب بأهلها على الدوام . وفى كل نَفَس نودّع جماعة ممن انقضى عمرهم على ظهرها ونشيّعهم إلى المستقر الأخير ، ليلقوا عند العلى القدير عزَّ وجلَّ جزاء ما قدّموه من أعمال صالحة فى الدنيا، أو عقاب ما فعلوه من أعمال سيئة فى دار الدنيا .

لكن أهل الدنيا لا يعتبرون بهذا الأمر ، فالاعتبار لمن ياإخوانى ؟ كما قال الله فى القرآن :

«فاعتبروا يا أولى الأبصار» [من الآية (٢) سورة الحشر] .

فالإعتبار أيضاً لأهل البصيرة . حتى أن الله يروى عن الكفار واقعة ، يُتندّر بها ليس من المسلمين فحسب بل من أهل الشرك وأهل الكفران من لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة . واقعة عجيبة وغريبة ، عندما اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سيعطيهم الله عزَّ وجلَّ جزاء إسلامهم فى الآخرة ، وبعض البشائر التى ستنالهم فى الدنيا نتيجة دخولهم فى دين الله عزَّ وجلَّ أفواجاً ، واختلف الأمر وقال الكفار : نحن الذين على الحق ، والنبى قال بل نحن أهل الحق ، قال لهم : تعالوا وندعوا الله معاً لأن يهدينا الله جميعاً للأمر الذى فيه الحق .

هل هناك شىء بعد هذا يا إخوانى ؟

الرسول قال لهم هذا : تعالوا ندعوا الله معاً لأن يهدينا جميعاً كلنا لما فيه الحق . قالوا : لا

«اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» [الآية (٣٢) سورة الأنفال] .

حاجة غريبة ، أبو جهل وقف فى وسطهم ودعا بهذا الدعاء ، قال : يارب إن كان هذا هو الحق فأنزل علينا حجارة من السماء أو آت لنا عذاباً أليماً .

فحتى الجماعة المستشرقين الآن فى عصرنا تعجبوا من هذا العبد الآبق وقالوا كان الواجب عليه أن يقول : اللهم ان كان هذا هو الحق فاهدنى له ، أليس كذلك ؟ لكن انظر إلى العناد والاصرار والمكابرة على الكفر - والعياذ بالله عزَّ وجلَّ - إن كان هذا هو الحق فأنزل علينا حجارة من السماء أو آت لنا عذاباً أليماً .

موقف الصالحين من المعترضين عليهم

هذا مثل من يقول الآن : إن كان شيخك شيخاً كما تقول اجعله يعمل فىّ كرامة ، يكسر لى ذراعى ، أو يأتى لى بمرض أو يعمل فى شيئاً مثل ذلك.

وهل المشايخ تعمل مثل هذا ؟ كلاّ

فالمشايخ ليس لهم شأن بهذه الترهّات ، لإنهم رحمة للخلق فقد أرسلهم الله عزَّ وجلَّ رحمة لجميع خلق الله ، ولا يوجد شيخ من هؤلاء الصالحين الصادقين مع الله عزَّ وجلَّ ومع رسوله صلى الله عليه وسلم يطلب لأحد مصيبة أو نقمة أو عذاب لأنه يعترض عليه ، أو يعترض على أحواله أو مثل ذلك .

بل إنه لو حصل لبعض المعترضين أو المنتقدين شيئاً من هذا فإنه يدل على أنه له خير ، فقد يكون له فكرة أو ذكرى بأن هؤلاء الناس على الحق ، فيرجع إليهم نادماً وإلى الله عزَّ وجلَّ تائباً ، فيتوب الله عليه ويدخله حظيرة أحبابه رضوان الله عليهم أجمعين .

لكن هل هناك أحد من الصالحين يتمنى الضُرّ لعبد من عباد الله ؟

إنه يتمنى له الهداية ، أو يتمنى له الولاية ، أو يتمنى له التسليم والرضا ، أو يتمنى له العفو والعافية . لكن ليس هناك أحد من الصالحين السابقين أو اللاحقين سمعنا عنه أنه تمنى ضراً أو شراً لعبد من عباد الله المسلمين .

ولذلك فلأمر الذى أأكده فى نفوس إخوانى – لأن بعض الإخوان الصغار الذين لم يتمكنوا فى اليقين ، عندما يعترض عليه أحد يهدّده قائلاً : شوف أبو العزائم سوف يعمل فيك إيه ، أو شوف الصالحين سوف يعملون فيك كذا .

إن هذا الكلام لا ينفع ولا يفيد ، لأن الصالحين أنفسهم لا يرضون بهذا الأمر ، لأنهم رسل رحمة ، فهم ورّاث الرحمة الإلهية التى نزلت على المصطفى خير البرية صلوات الله وسلامه عليه .

وقد لا يوجد من الصالحين أو ذى بذرّة مما أُوذى به سيّد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ، لكنه مع ذلك كان يقول : **«اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون»** [متفق عليه] .

ولما عمه وحبيبه وصفيه حمزة – وهو ناصره الأعظم حتى سمّاه أسداً لله عزَّ وجلَّ – قُتل ، وجاءت هند بنت أمية فشقّت بطنه وأخرجت كبده وحاولت مضغه بأسنانها – تريد أن تأكل كبده لأنه قَتَل فى غزوة بدر أباها وعمها وأخاها فحاولت أن تأكل كبده ، لكن سيدنا الحمزة ورث من الوراثة النبوية ، والأنبياء وعلى إثرهم من تبعهم وورثهم من الشهداء يُحرّم الله عزَّ وجلَّ على أجسادهم الأرض ومَنْ عليها .

يعنى الأرض لا تأكل أجسادهم ، وكذلك الحيوانات المفترسة وغيرها لا تستطيع أن تنال من أجسادهم ، ولذلك لما إخوة يوسف عليه السلام جاءوا على قميصه بدم كذب وقالوا أكله الذئب ، فنادى سيدنا يعقوب على الذئب وأراد أن يفضحهم ويكشف نواياهم ودخائلهم وقال : ياذئب لم أكلت يوسف ؟ قال : يانبى الله أنت تعلم أن الله حرّم علينا أكل أجسام الأنبياء .

يعنى ليست الأرض فقط هى التى حُرِّم عليها أكل أجسام الأنبياء ، لكن حتى الحيوانات ، وحتى الإنس لا يستطيعون أن يلوكوا أو يمضغوا أو ينهشوا أجسام الأنبياء إرْثاً من سيّد الأنبياء صلى الله عليه وسلم .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم غضب غضباً شديداً لأنها

انتهكت حرمة عمه الحمزة رضى الله عنه وأرضاه ، وقال : لئن أظفرنى الله بهم لأقتلن به سبعين رجلاً . ففى الحال نزل قول الله عزَّ وجلَّ :

«وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به» [من الآية (١٣٦) سورة النحل].

يعنى يكفى واحد . ويمر الزمن ويأتى هذا الرجل قاتل الحمزة والمفروض أن يُقْتل به ، لأن مَنْ قتل يقتل . وهذا الرجل حتى تثبت الكرامة ، المفروض أن تأتى له مصيبة تأخذه ، أو تأتى عليه حاجة تقضى عليه ، وإلا لا يكون هناك كرامة . فالرجل الصالح إذا أوذى ولم يحدث لمن آذاه شيئاً فى الحال نقول : أين هى كرامته ؟ الكرامة الأعظم هى التى سوف نعلمها بعد .

يأتى هذا الرجل ، ويرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يطلب الهداية ، ويقول له : أريد أن أومن بالله عزَّ وجلَّ ولكنى قد فعلت كل ما حرّمه الله من شرب الخمر والقتل والزنا والشرك وخلافه ، فنزل قول الله عزَّ وجلَّ :

«إلاَّ من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» [الآية (٧٠) الفرقان] . فأرسلها النبى صلى الله عليه وسلم إليه .

فبعث يقول : من أين أضمن أنى أعمل عملاً صالحاً ، فهذه الآية فيها شرط أن يتوب ويعمل عملاً صالحاً ، فأنا لا أضمن أن أعيش حتى أعمل عملاً صالحاً مرة أخرى ، خفف الأمر علىّ قليلاً ، فنزل قول الله عزَّ وجلَّ .

«إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» [الآية (١١٦) سورة النساء] .

فأرسل بها النبي صلى الله عليه وسلم إليه .

فقال : إن هذه الآية معلقة بالمشيئة ، فماذا أفعل إذا شاء أن لا يغفر لى؟

فنزل قول الله عزَّ وجلَّ :

«قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم» [الآية (٥٣) سورة الزمر] .

فأرسل إليه النبى صلى الله عليه وسلم – أرسل إلى من ؟ انتبهوا معى .. أرسل إلى من؟ إلى قاتل حمزة الذى أعطاه الله تفويضاً فى القرآن أن يقتله، أيرضيك هذه ؟ قال: بلى يارسول الله ، فتاب وأناب ورجع إلى الله عزَّ وجلَّ .

فهنا يعرفنا صلوات الله وسلامه عليه أنه ليس الصالحون الذين يسلّطون البلايا والنكبات على من يعترض عليهم أو يعترض على الأحباب والمريدين بل هؤلاء ليسوا بصالحين ، لكن الصالحين هم الذين يحوّلون أعداءهم ، ويحوّلون المعترضين عليهم إلى محبين لله ومُقْبِلين على سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

شيم الكرام

ولو تفحصنا سير الصالحين أجمعين نجدهم بهذه الكيفية .

شيمة الأكرمين عفو وصفح ... كل ذنب لديكم مغفور

كما حدث مع سيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه وأرضاه ، عندما جاءه جمع من علماء الأزهر الشريف يعترضون عليه ، وكل واحد منهم أحضر معه جمع من الأسئلة ، فلما جلسوا بين يديه أنساهم الله سبحانه وتعالى ما بأنفسهم ، وأنساهم أنفسهم ، وحدث لهم حالة مثل حالة الذهول حتى طالت شعورهم وطالت أظافرهم ، وبعد أيام طويلة ردَّهم الله إلى حالهم فقال لهم سيدى إبراهيم الدسوقى : لم جئتم ؟ فتنبهوا ، فأخذ يجيب

كل رجل منهم عن أسئلته التى جاء من أجلها قبل أن يتلفظ بالسؤال بها ، فيقول له : أنت جئت تسأل عن كذا واجابته كذا ، وأنت جئت تسأل عن كذا واجابته كذا . فهداهم الله أجمعين وأخذوا على يديه البيعة ، وقال فى ذلك رضى الله عنه وأرضاه :

وكم من عالم قد أتى وهو منكـــرٌ   فصار بفضل الله من أهل خرقتى☆

وكنت أنا الساقى لمن كان حاضرا   أطوف عليهـم كـرّة بعـد كـرّة

تجـارة الصالحـين

فحال الصالحين هو هذا ياإخوانى لأن تجارتهم هى هداية الخلق إلى الله عـزَّ وجلَّ ، هداية العصـاة ، وهداية المذنبين ، وهداية الحائرين ، وهداية الشاكين والمتشككين ، وهداية الخلق أجمعين إلى الله عزَّ وجلَّ ، حتى يقعوا بهم على عين اليقين فى حب الله عزَّ وجلَّ وفي حب رسوله صلى الله عليه وسلم .

وهذه هى الأحوال التى تجعل كُمل الرجال يتمسكون بأهدابهم ، ويفدونهم بأنفسهم وأرواحهم ، لماذا ؟ لأن الإنسان العادى لا يستطيع أن يصبر على الأذى ، بل يريد أن يرد الصّاع صاعين . لكن هؤلاء يُحوّلون العدو اللدود إلى محب صادق الحب فى الله عزَّ وجلَّ ، قوى العزم فى دين الله سبحانه وتعالى، أسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم .

فنريد أن شاء الله أن لا نسمع أبداً أحداً من إخواننا يتوعد أحداً آذاه، أو شتمه أو لعنه، أو تسبب فى ضرر له وأن يعمل نفسه ولياً فيقول له : انتظر ما يحدث لك ، ربنا لازم يأخذ لى ثأرى ، ربنا لابد أن ينتقم لى ، أو

☆ الخرقة : هى الزّى الذى كان يلبسه المشايخ للمريدين بعد أخذ العهود عليهم للدلالة على أنهم قد انضموا إلى طريقتهم وقد انقرضت هذه العادة الآن .

أن يجعل نفسه مع ولى ويقول له : انتظر ما يفعله معك الشيخ فلان الذى أنا من أحبابه وأنصاره .

لا ، فالصالحون بُرءاء من مثل هذه الأقوال ، ومن مثل هذه الأفعال ، ومن مثل هذه الأحوال . ومن قال ذلك فليس منهم ، وإنما هو مدَّعى ، وهذه شهادة على أنه مُدّعى ، لأنهم جميعاً يتأسّون بقول الله عزَّ وجلَّ .

«لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً» [الآية (٢١) سورة الأحزاب] .

غيرة الله للصالحين

أما الأمور التى قد تحدث فى هذا المجال فهى لأمرين : أولهما : أنه قد يكون هذا الشخص مطلوباً لله فربُّنا يظهر له آية ليكون من أهل العناية . أو إذا كان تزايد بغضه وزاد عن حده ، فإن الله عزَّ وجلَّ يغار لأوليائه لأنه يقول فى الحديث القدسى :

«من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب» [رواه البخارى من حديث أبى هريرة] .

فمن يستطع أن يحارب الله عزَّ وجلَّ ياأخوانى ؟

لذلك كان سيدى أبو الحسن الشاذلى يقول : «إذا غضب الله على عبدٍ وأراد الإنتقام منه يوقعه فى الصالحين» يعنى يسبّهم أو يلعنهم أو يعترض عليهم - فيغار الله لأوليائه فيعلن عليه الحرب انتقاماً لوقوعه فى الصالحين رضى الله عنهم وأرضاهم تماماً مثل ما حدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - ونحن نأخذ أمثلة طفيفة من سنته - لما طلب أبو جهل من أبى لهب أن يأمر ولداه أن يطلقا ابنتا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فأبو لهب كان عم النبى وكان قد زوَّج بنتاً من بنات النبى لأحد أولاده ، وخطب أخرى

لإبن ثان ولكن لم يتم الزواج – فهاتان لم ترتكبا ذنباً ولا فعلتا إثماً ، ما ذنبهما حتى يطلقاهما فى يوم واحد وفى لحظة واحدة ؟ لكن أبا لهب أمرهما بذلك نكاية فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم .

ولما وصل الخبر إلى النبى صلى الله عليه وسلم وطلق ابن أبى لهب بنت النبى ، دعا الله وقال : **(اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك)** . فخرج أبو جهل ومعه أبو لهب ومعه ابنه فى تجارة إلى بلاد الشام ، وكلما نزلوا فى مكان للمبيت قال لهم أبو لهب : ما تعلمون عنىّ؟ فيقولون : سيدنا وابن سيدنا فيقول: اجعلوا ابنى فى الوسط، وضعوا حوله المتاع والتجارة كلها، وأنتم من ورائها تحرسونه ، فيقولون له: لماذا؟ فيقول: إن النبى قال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك. فيقولون : وماذا فى هذا؟ فيقول: مادام قال ذلك فلابد من نفاذ كلامه . وكلهم كانوا يعرفون هذه الحقيقة ، حتى أن أمية بن خلف لما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : سأقتلك ، جاء فى غزوة بدر، وعندما رفع النبى الرمح صرخ صرخة دوّت فى العسكر كله، فقالوا له: مابك؟ قال: قتلنى محمد، قالوا: ليس بك شىء، قال: مادام قال سيقتلنى فوالله لو بصق علىّ لقتلنى .

انظر إلى مدى اليقين الذى كان عندهم فى رسول الله!!

يقيـن عجيب وغريـب   ولذلك يقول الله عز وجل فى شأنهم

«فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون» [الآية (٣٣) سورة الأنعام] .

إنه الحسد الذى منعهم من الإيمان ، حسدهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ففعلوا ، وفى يوم من الأيام جاء أسد - وهو كلب لأنه من فصيلة الكلاب - وجعل يشمهّم واحداً واحداً ، يشم هذا ويتركه ، وهذا ويتركه ، حتى قفز من فوق المتاع وشم عتبة بن أبى لهب وضربه ضربة فضخت رأسه - أى كسرت رأسه كلها - ومات كما أنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لماذا كان هذا الإنتقام ؟

غيرة من الله عزَّ وجلَّ لحبيبة ومصطفاه . لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة مهداة، ونعمة مسداة لجميع خلق الله عزَّ وجلَّ .

إذن ما يحدث لهؤلاء المعترضين والمنتقدين إنما هو أحد أمرين كما قلنا : أما أن الله يريد أن ينبههم ليعودوا إلى رحاب المحبين ، وإما أن الله عزَّ وجلَّ يغار على أحبابه حتى يكونوا عبرة لأمثالهم فلا يفكروا فى الإعتداء أو الإعتراض على أولياء الله وعلى أحباب الله عزَّ وجلَّ ، لأن الله عزَّ وجلَّ من عادى له ولياً فقد آذنه وأعلنه بالحرب .

لكن نحن مع ذلك - كما قلنا - لانهدد ، ولا نتوعد ، وإنما ندعو بالرحمة والهداية لجميع خلق الله ، وصدورنا مملوءة ومنشرحة بالخير لكل عبد من عباد الله عزَّ وجلَّ ، حتى أننا نطلب من الله الرحمة للكافرين والمبعدين بأن يرحمهم ويخلّصهم من سجن الشرك والكفر إلى حظيرة الإيمان ونور الإسلام لله عزَّ وجلَّ ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فهذا الحب يا إخوانى من الله ، وبالله ، وأساسه قوله صلى الله عليه وسلم .

«إن الله خلق الخلق فى ظلمة ، ثم رشّ عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور وُفّق واهتدى، ومن لم يصبه ذلك النور ضلّ وغوى» [رواه أحمد والترمذى والحاكم عن ابن عمر] .

فنسـألهِ عزَّ وجلَّ أن يديم لنا هذه الجـمـعـيـة الربانية حـتـى تشـرق على قلوبنا بالأنوار المحـمـدية ، وأن يملأ قلوبنا بالوجـد والعـشق والإصـطلام فى الذات العلية ، وأن تتنـزل لنا من سـمـاء فضل القرآن دروس العطايا الإلهـيـة ومـواهب العلوم اللدنيـة ، ويـجـعلنا فى الدنيـا من أهل النفـوس الزكـيـة وفى الآخرة من أهل المعية المقدسة المحمدية .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الفصل السادس

أنوار صحبة الأخيار

- طلاب الصالحين
- عقيدة الصالحين حب جميع المقربين
- بركة الصالحين
- مائدة الصالحين
- جمال المؤمنين
- منازل المقربين
- برهان العناية

● كان هذا الدرس مساء الخميس ٣ من جمادى الأولى ١٤١٦هـ الموافق ٢٨ من سبتمبر ١٩٩٥م بعد صلاة العشاء بمنزل الحاج جوده الصاوى الإمام بمدينة الزقازيق .



طلاب الصالحين صنفين : أما الصنف الأول منهم فهم الذين يطلبونهم ليتبعونهم ويتشبهوا بهم وأما الصنف الثانى فهم الذين يسمعون عن كرامتهم وعن معاملتهم مع الله وعن مواجهاتهم مع سيدنا ومولانا رسول الله وهؤلاء لو مكث الرجل منهم أبد الدهر فى سماع هذه الكلمات لا يمل ولا يكل وهؤلاء هم المحبون للصالحين وفيهم يقول سيدى أبو اليزيد البسطامى رضى الله عنه :

من أحب هذه العلوم (علوم الصالحين) وأقبل عليها فهو من أولياء الله عزَّ وجلَّ فما بالك بمن ذاقها؟

فالذى يحب هذه العلوم فقط ويحب سماعها يكون من أولياء الله لأن من أحب قوماً حشر معهم ولا يوجد رجل يحب هؤلاء القوم ويحب علومهم وأحوالهم إلا إذا كان له نصيب عندهم وإلا ما الذى أتى به ؟ وما الذى جعله يحب هذه العلوم ؟

إلا إذا كان معهم فى يوم الميثاق الأول بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع هذه المعانى هناك فلما كرّرت عليه هنا مال بالكلية إليها وهذا ما يعبّر عنه الرجل الصالح حيث يقول :

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

أبداً تحنّ قلوبنا وحنينها ... دوماً لأول منزل

فالحنين يكون للمنزل الأول فى يوم الميثاق وهذا ما أشار إليه الله عزَّ وجلَّ فى قوله **«إن الذين أتوا العلم من قبله»** [الآية (١٠٧) الأسراء] أى هناك

عندما يأتون إلى هنا **«إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً»** يخضعون ويسلّمون فوراً لأنهم يقولون هذا الكلام سمعناه من قبل لكن أين؟ هنا فى الدنيا، كلا، لكن سمعناه فى يوم الميثاق الأول بين يدى الحبيب الأول صلوات الله وسلامه عليه .

عقيدة الصالحين حب جميع المقربين

فدائرة المحبين دائرة واسعة والذين بها هم أصحاب العقيدة الصحيحة من المسلمين فإن أساس العقيدة الصحيحة حب الصالحين وحب الأولياء والمقربين فإن كل إنسان ليس فى قلبه نصيب للصالحين فإنه والعياذ بالله يكتب له بسوء الخاتمة إذا ناداه رب العالمين عزَّ وجلَّ وقد أشار إلى ذلك سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه فى قوله «إذا اغضب الله عزَّ وجلَّ على عبد رزقه الوقيعة فى أولياء الله لأن الله يغار على أحبابه فيعلن عليه الحرب» ومن الذى يستطيع أن يحارب الله عزَّ وجلَّ وقد قال فى حديثه القدسى «من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب»؟

فالمحبون أصحاب العقيدة الصادقة والتى لبّها حب الصالحين والمقربين أجمعين مبدأهم **«لا نفرق بين أحد من رسله»** [الآية (٢٨٥) البقرة] ويقولون فى ذلك كما لا نفرق بين أحد من رسله فكذلك لا نفرق بين أحد من أوليائه ومثل الصالحين مع مريدهم كالأساتذة فى الدراسات العليا بالجامعة فهذا الأستاذ الجامعى يشرف على رسالتى وهل معنى ذلك أننى أتنكر لبقية الأساتذة؟

كلا، بل كلهم أساتذتى لكن هذا هو الذى عيّنته الجامعة ليشرف على الرسالة وهكذا طريق الصالحين فإن الله عز وجل يهيىء لى رجلاً منهم يشرف على رسالتى فى تزكية النفس وفى إزالة اللبس وفى الوصول إلى

منازل القدس لأنى لا أستطيع أن أصل لهذه المنازل بنفسى وكذلك الرسالة جزء نظرى وجزء عملى فلا ينفع النظرى بمفرده ولا العملى بمفرده فالاقبال على الحياة العملية يعنى الإقبال على المناهج العبادية فيصبح عابداً والعابد أجره جنان الفردوس يأخذ من نعيمها ما يريد، يفتحونها له ويقولون له هذه الجنه خذ من نعيمها ما تريد، لكن الذى يريد المعرفة غير الذى يريد الجنة فالمعرفة مقام أعلى لأن طالب المعرفة يطلب المعروف عزَّ وجلَّ وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

لا تقـف عند العلـوم وســـرها	وأطلـب المعلوم منه بـه أُخـىّ
لا تقـف عنـد المحبـة إنهــــا	حجبة العشـاق عن غيب بهـى
ما صلاتـى ما صيامـى ما أنـا	كل ذا حَجبْ ومـــولانا علـــىّ

فالعلوم وأسرارها والأعمال والنوافل والقربات والأحوال والمقامات كلها وسائل للمقصد الأعظم وهو نيل القرب من حضرة الله عزَّ وجلَّ فلا أقف عندها ولا أشغل نفسى بها لأن الذى يُقْبل على الله لا يلتفت نفساً إلى سواه وقد قال الإمام الجنيد رضى الله عنه وأرضاه :

«لو أقبل رجل على الله عزَّ وجلَّ ألف عام ثم التفت عنه سبحانه نفساً لكان ما فاته فى ذلك النفس أكثر مما حصله فى الألف عام» لأن المراتب العالية القرب فيها ليس بالأيام والشهور والسنين ولكن بالأنفاس وإلى ذلك الإشارة بقوله عزَّ وجلَّ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون» [الآية (٤٧) الحج] فاليوم فى العروج إلى الله عزَّ وجلَّ بالروح ولا يكون ذلك إلا فى صحبة مربى الروح يرفع الإنسان عند حضرة السبوح أكثر من ألف عام فى العبادات والمجاهدات والمكابدات بدون مربى الروح وهذا ما نبّه إليه الإمام أبو العزائم رضى الله عنه حيث يقول : «نفس مع العارف حياة للقلب ونفس

فى حياة القلب خير من حياة الفردوس ونفس فى الفردوس خير من الدنيا كلها من أولها إلى آخرها » لأن نَفسَ العارف يرفع الحجب التى بينك وبين الله عزَّ وجلَّ فالنفس الواحد الروحانى لو تنفسه بباطنك يحيى القلب ولو احتيا القلب فإنه لا يموت بعد ذلك أبداً فالمحبّون الذين يعشقون كمالات الصالحين ويقبلون على أحوال المقربين ويتمنون أن يلحقوا بهم لكنهم غير قادرين على جهاد نفوسهم .

بركة الصالحين

أما أصحاب المرتبة الأعلى فهم الذين سلّموا أرواحهم للأئمة المرشدين ليقودهم ويهدوهم إلى الله وهؤلاء يسميهم القوم بالسالكين وهم أصحاب المرتبة العليا فى القرب من الصالحين فغاية مطمح المحبين من الصالحين أن يدخلوهم فى شفاعتهم يوم القيامة لكن السالكين يريدون أن تكون لهم شفاعة يُدْخلون بها غيرهم الجنة يوم القيامة فالذى يدخل الجنة بالشفاعة غير الذى يُدْخل غيره بالشفاعة فهذا مقام أعلى أعطاه لهم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببركة أدبهم مع الصالحين وفى الحقيقة فإن من يرزقهم الله محبة الصالحين يكون هذا دليل لهم على أن الله عزَّ وجلَّ سيكرمهم ولو بعد حين ولو لم يكرمهم فى الدنيا فسيكرمهم فى البرزخ وفى الآخرة لكن لابد أن ينالوا كرامة الله والذين يقع فى قلوبهم بغض الصالحين فإنما ذلك للمكر الخفى الذى أراده بهم الله وهذا إنذار لهم بأنه عزَّ وجلَّ سيهينهم ولو بعد حين إما والعياذ بالله يسلب منهم الإيمان عند الموت وإما يخرجون من الدنيا وعليهم غضب الله ومقته تلك سنّة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولذلك ففى الزمن الذى أدركناه فى الصغر لما كان معظم الناس مجتمعين على

الصالحين كانت البلاد عامرة بالخير ولا أقصد بالخير الأقوات بل بالرضا عن الله والقناعة والمحبة والمودة والصفاءوالوفاء فلم تكن هناك بينهم مشاكل ولا بغضاء ولا أحقاد وإن كان الأكل والمال كانا قليلاً فقد كانت الأحوال الإيمانية تعوض هذه الأشياء والآن فالحمد لله الخيرات كثرت ومصادر الخير بغير حساب لكن أين المحبة بين المؤمنين ؟ وأين الوفاء بين الأوفياء؟ وأين المودة بين الأودّاء؟ هذه الأشياء قلّت لأن الناس انشغلت بالدنيا عن الدين فقلّت فى نفوسهم المحبة للصالحين فالمحبون الذين يحبون أحوال الصالحين ويحبون سماع علوم الصالحين وإن كانوا فى نفوسهم لا يستطيعون أن يسيروا فى ركابهم لكنهم إن شاء الله مكرمين فى الآخرة ببركة حبهم للصالحين .

مائدة الصالحين

لكن المنزلة الأعلى منزلة السالكين فمن هم السالكون؟

هم الذين يرغبون فى أن يكونوا مع الصالحين فيتجملون بأحوالهم ويرتقون إلى منازلهم وينزلون فى مقامتهم وينالون من علومهم ويتمنون أن يجلسوا على مائدة الصالحين على الدوام ومائدة الصالحين مائدة ممدودة من الذات العلية إلى الحضرة المحمدية فيها من علوم الله وأسرار الله وأنوار الله وألطاف الله والأحوال العالية والمنازل الراقية والأخلاق السامية ما تتحيرّ معه ألباب الأحباب وهى التى قال فيها صلى الله عليه وسلم **«القرآن مأدبة الله عز وجل فى الأرض»** والجالسون على هذه المأدبة بماذا يأكلون؟ وماذا يأكلون؟ لا يأكلون بأفواههم وإنما يأكلون بحقائقهم المعنوية النورانية وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

جعنا فأطعمنا الحقائق ربنا   واسق الجميع محبة الغفار

ويأكلون حقائق القرآن وأسرار الرحمن ويشربون من كأس محبة الحنان المنان فالذى يريد أن يجلس على هذه المائدة ويحظى بصحبة الصالحين لابد أن يتجمل بأخلاقهم ويتهذّب بأحوالهم ويتكمل بآدابهم ليفتحوا له الباب ويجلسوه مع الأحباب فإذا وجدوه تأدّب وتهذب بالآداب المطلوبة للأحباب يفتحون له الباب أما إذا لم يتأدب أدباً كاملاً يُردّ إلى الآداب وهل هذا الكلام له أصل؟

نعم ورد فى صحيح السنة أن سيدنا أبو بكر رضى الله عنه وارضاه كان يستقبل الأعراب عندما يريدون زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الباب ويشرح لهم كيفية الدخول على رسول الله وكيفية الجلوس بين يديه وكيفية الإستماع والإنصات له صلوات الله وسلامه عليه وكان هذا بعد أن أنزل الله عزَّ وجلَّ قوله **«إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم»** [الآيتان (٤، ٥) الحجرات] ومن أخوف الآيات لدى الصالحين قوله عز شأنه **«إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى»** [الآية (٣) الحجرات] ولم يقل إن الذين يغضون صوتهم مع أن للمرء صوت واحد بل قال أصواتهم لأنه ربما يجلس المرء بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولسانه خافت ولكن أحاديث النفس وخواطرها وهواجسها ربما تشغله وحديث النفس يعد صوتا ولذلك قالوا: إذا جلست بين يدى الصالحين فكن كلك مسامع وقالوا أيضاً :

إذا جلست مع العالم فاحفظ لسانك لتنتفع بعلمه وإذا جلست مع العارف فاحفظ قلبك ليرد عليك من لطائفه وإذا جلست مع العالم العارف فاحفظ قلبك ولسانك وقد قال فى ذلك الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

خذ ما صفا لك من نور الإشارة كن　　حال السماع قوىّ العزم والديـن

فالإشارة فى الآية أن من يجعل الأصوات كلها الظاهرة والباطنة تخشع وتخضع للحضرة المحمدية تفتح مسامع حقائقه لعلوم الذات المحمدية وينال من رحيق الولاية الأحمدية وقد كان من هدى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الإستماع إليه قولهم :

«عندما نجالسك فكأنما تصافحنا الملائكة» وهناك اشارة كذلك فى قوله سبحانه وتعالى **«إن الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون»** وهى لأهل العناية أن الذين ينادونه دائماً ولا تكف ألسنتهم عن التوجه لحضرته يحدث لهم ذلك فى حالة الجذب فينادون رسول الله صلى الله عليه وسلم هنا وهناك واكثرهم فى هذه الحالة لا يعقلون لشغلهم بالكلية بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم مع غيبتهم عن الأكوان .

جمـــال المؤمنيـــن

ولن يتأدب المرء بآداب السالكين ويتجمل بجمال المقربين إلا إذا خصّه بالقرب ووالاه بالحب سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم وكما كان هناك باب فى زمانه لدخول الأحباب كذلك لابد أن يكون هناك باب للأحباب فى كل زمان يتعلمون منه آداب الخطاب وكيفية معاملة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنوار المراقبة وأبواب المحاسبة وأنواع الذكر الذى يحرك اللطائف ويجعلها تنهل من العوارف العالية وكل هذه المواهب لا تُنال إلا بواسطة الباب الروحانى فلذلك فإن مراقبة السالك لابد أن تكون مع مرشد روحانى وعالم ربانى لأنه يريد أن يكون مع الصالحين أما الذى يريد الجنة فالقرآن مشهور والسنة معلومة مثل الذى يريد الليسانس فالجامعة مفتوحة

يأخذ الثانوية ويدخل ويذاكر وينجح لكن الذى يريد الدكتوراه لابد له من مشرف على رسالته وكذلك الأمر بالنسبة لطريق الله عز وجل فالذى يريد أن يدخل الجنة طريقه مفتوح وقد دلّ صلي الله عليه وسلم من أراد دخولها بشرح أسبابها وحَصَرها فى فرائض الله وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم **«الصلوات الخمس إلا أن تتطوع فقال لن ازيد وصيام شهر رمضان إلا أن تتطوع فقال لن اتطوع فقال صلى الله عليه وسلم والزكاه إلا أن تتصدق فقال له لن اتصدق فقال صلى الله عليه وسلم وحج بيت الله الحرام إلا أن تتطوع فقال لن اتطوع فقال صلى الله عليه وسلم أفلح إن صدق»** أما الذى يريد الدرجات العالية فى الجنة فعليه بالزهد فى الدنيا والإجتهاد فى منازل العبادة فيقوم الليل ويصوم الأثنين والخميس أو يختار أى باب من أبواب الأنبياء فى العبادات فكل نبى له باب فى العبادة خاص به أو يقرأ القرآن فدخول الجنة بالفضل ودرجاتها تُنال بالأعمال .

منـــازل المقـربيـــن

لكن الذى يريد منازل الصالحين ما العمل الذى يوصّله لمقام الكشف ومقام الإلهام ؟

تقوى الله عز وجل كيف أتقى الله لأحصل على هذه المواهب؟ وما التقوى التى تجعلنى أهلاً لهذه المكاسب؟

إذن فلابد من رجل تقى يعلمنى التقوى التى توصلنى لهذه المقامات لأن التقوى أنواع فهناك تقوى النار وإليها الإشارة بقول الله عز وجل **«فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة»** [الآية (٢٤) البقرة] وهناك تقوى يوم القيامة وفيها يقول الله عز وجل **«واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله»** [الآية (٢٨١) البقرة]

وهناك تقوى لزيادة الأرزاق والعطايا **«ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب»** [الآيتان (٢، ٣) الطلاق] وكل هذه الأنواع تحتاج إلى الجهاد في ترك المعاصي والمصابرة على العبادات لكن تقوى الله عز وجل في مثل قوله سبحانه **«اتقوا الله حق تقاته»** [الآية (١٠٢) آل عمران] تحتاج إلى خبير في التقوى علمه الله علوم الأتقياء وأعطاه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إجازة عالية في علوم التقوى وأذن له أن يخبر الأتقياء بالمنازل العالية التي أعدها لهم الله عز وجل فلابد أن يكون عالماً بالطريق.

قد سلك الطريق ثم عاد   لينبئ القوم بما استفاد

«الرحمن فاسئل به خبيرا» [الآية (٥٩) الفرقان] فلابد أن يكون الخبير «الرحمن فاسأل به» وليس فاسأل عنه لأنه لا يعلم بذاته إلا هو لكن فاسأل به أن يدلك على خبير يعرفك به كما قال الرجل الصالح : عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي فالذي يريد أن يكون من السالكين يجب أن يبحث عن إمام من المرشدين وشيخ من الواصلين يكون معه إجازة من سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم لأن الذي يفتح أبوابه لعلاج مرضى القلوب وليس معه تصريح من نقابة الحبيب المحبوب فهذا متطبّب دعيّ يجرف الناس لأودية الدنيا لأن كل همه أن يستغلهم لمنافع عاجلة فلا يطهر قلوبهم ولا يزكي نفوسهم بل سيزيدهم همّاً على هم لأنهم سيقتدون به في إقباله على الدنيا فيزيدون هماً على هم لكن الطبيب الذي أُسلّم له وأثق به لابد أن يكون متّصفاً بقول الله سبحانه وتعالى **«قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني»** [الآية (١٠٨) يوسف] فلابد أن يكون على بصيرة كاملة وهذا هو الشرط الأول والشرط الثاني **«اتبعوا من لا يسألكم اجراً وهم مهتدون»** [الآية (٢١) يس] فلا يطلب أجراً على إرشاده وتعليمه وإنما يتجمل

بقول إمام المرشدين بعد سيد الأولين والآخرين **«إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً»** [الآية (٩) الإنسان] والذى قال هذا الكلام سيدنا على كرم الله وجه والإشارة فى و«نطعمكم» هنا ليست لطعام الدنيا فقط وإنما لطعام الحقائق والحال أيضاً ولذلك قالوا : شيخك من يعطيك لا من يأخذ منك .

والشرط الثالث أن يكون قد أقامه الله ولياً مرشداً فلا يجوز الاقتداء بأهل الجذب رغم كثرتهم وفيهم يقول الشيخ محى الدين بن عربى : «لا تخلو الأرض من مائه ألف على قدم عيسى عليه السلام» فأنا أريد الحصول على كنز من فضل الله وهؤلاء المجاذيب وجدوا كنوزهم بدون عناء أو تعب فالذى وجد كنزه لا يستطيع أن يشرح لنا كيف أخذه لأنه أخذه بدون جهاد ولكنى أريد رجلاً جاهد إلى أن حصل على الكنز حتى يشرح لى كيف أحصل على كنزى فالمجذوب لا أعترض عليه ولا أطلب أن أتعلم على يده لأن دلالة الخلق على الله ليست عمله ولا وظيفته فى ديوان النبوة وإن كان فى ديوان النبوة كل رجل من المجاذيب له وظيفة باطنية لكن لا يعرفها إلا الله ورسوله وبعض كُمّل العارفين الذين يطلعهم الله عز وجل على هذه الإشراقات .

سؤال: ولو كان هناك من يخرج فى الظاهر على حد الشرع ؟

الإجابة : لا يوجد مجذوب يخرج عن حد الشرع فى الظاهر فالذى يخرج عن حد الشرع ليس من المجاذيب بل هو معتوه أو مخبول لأنهم مصابون بقصور فى عقولهم ولأن عندنا نحن المصريين طيبة فى نفوسنا فكل من يرونه على هيئة شاذة لقصور فى عقله كفاقد التمييز بين الأشياء أو من يمشى عرياناً أو يحمل أشياء تثير السخرية يظنونه ولياً لله مجذوباً فينسجون حوله روايات ليخوفون الناس منه ويحذرونهم بقولهم إن من

يتعرض له يُصاب بمكروه وقد يؤلفون له من خيالهم بعض الكرامات وكل هذه الخزعبلات يجب علينا ونحن فى عصر العلم ألا نؤمن بها لكن المجذوب هو الذى أخذ الله قلبه عنده فشغله به عما سواه فأصبح لا يلتفت لسواه عز وجل طرفة عين ولا أقل فإن كان مجذوباً حقاً لابد أن يوقظه الله فى أوقات الفرائض ليؤديها إلا فى بعض أحوال خاصة لخاصة أهل الجذب الذين يأخذهم الله أخذاً كلياً لفترة قصيرة أو فترات تطول أو تقصر وهؤلاء يصور لهم الله عز وجل أكثر من صورة ليتمكنون من أداء الفرائض بأى صورة من هذه الصور ولذا فإن بعض الصالحين قالوا لا تطلب من المجذوب أن يدعو لك لأنه جائز يدعو لك بما تراه أنت دعاءا عليك ودعوته مستجابة فمثلاً سألوا سيدنا أبو ذر ماذا تحب؟

قال أحب المرض عن الصحة وأحب الفقر عن الغنى وقد كان هذا ملائما فى نظره لأنه كان فى مرحلة جهاد النفس لكنه لا يلائم غيره ، لكن السالكين يبحثون عن الأئمة المرشدين الذين تلوح عليهم أنوار سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ولا يقصدون الذين يتعلقون بالمظاهر ولكن بغيتهم الذين وصلوا إلى كنز الجواهر وأعطاهم صلى الله عليه وسلم الاذن والتصريح أن يدلوا الناس على الله عز وجل .

برهـــان العنايـــة

وهؤلاء يكون لهم فى المقبلين عليهم علامات: يرونها بأعين سريرتهم فى المقبلين وعلامات يكشفها الله عنهم للمقبولين فعندما تقع العين على العين يريك الله آية ليطمئن قلبك ويُطلع الله المرشد على آية ليعرف أنك فى كشفه المطلوب منه فإذا تلاقت الآيتان كان هذا هو البرهان كى يسلم الإنسان لهذا المرشد الروحانى . وهذا المرشد فى حالة الإرشاد لابد أن يكون مُكّملا

بآداب الشريعة المطهرة فلا يتخلى عنها طرفة عين ولا أقل فالمرشد الربانى لابد أن يكون فى كل نفس من أنفاسه خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم القدم على القدم لأن فتحهم ونورهم بسر أتباعهم لشرع رسول الله ولكن الفارق بينهم وبين غيرهم من علماء الشريعة وأهل ظاهر الشريعة أن هؤلاء يتبعوه صلى الله عليه وسلم فى شرعه فقط ولكن هؤلاء يتبعونه صلى الله عليه وسلم فى الشريعة وفى الحقيقة فمثلاً الذى يصلى وحركات الصلاة الظاهرة من الركوع والسجود والتلاوة والوقوف كاملة وتامة ولكنه لا يستطيع أن يتبعه صلى الله عليه وسلم فى الخشوع فهذا لا تكون متابعته كاملة لأن المتابعة الكاملة أن أتابعه فى الحضور والخشوع كما أتابعه فى الحركات الظاهرة صلوات الله وسلامه عليه وهذا الذى يبذّ به العارفون غيرهم وهو أنهم يتابعونه صلى الله عليه وسلم فى الأحوال القلبية والأحوال النفسية صلوات الله وسلامه عليه التى ذكرها الله عن رسوله فى قرآنه ومن غير هذا المنهاج لا يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذه الأحوال لأنه حتى إذا وصل بجده واجتهاده إلى حال فإن نفسه ربما تُلبّس عليه فيزلّ والشيطان ربما يُزيّن له فيضلّ والناس ربما يغترون به فيميل والذى يحفظه من ذلك كله هو المرشد الذى يقول فيه الله عز وجل **«الرحمن فاسأل به خبيراً»** [الآية (٥٩) الفرقان] فهو الذى يحفظ به الله الإنسان ولذلك فما الذى حفظ سيدنا يوسف عليه السلام عندما تزيّنت له السيدة زليخة وراودته عن نفسها وأغرته؟ القرآن يقول : **«لولا أن رأى برهان ربه»** [الآية (٢٤) يوسف] فالبرهان هو أنه ظهر له صورة سيدنا يعقوب عليه السلام فعندما راءها رجع وما الذى جعل يعقوب يبكى عليه ؟

خاف عليه لأنه فى بلاد ليس فيها الإيمان أن يضل عن طريق الإيمان لأنه

يعلم علم اليقين أن الله عز وجل يُبدّل الأحوال ويغير الأطوار في كل نَفَس من الأنفاس **«لا يُسئل عما يفعل وهم يسئلون»** [الآية (٢٣) الأنبياء] ولهذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه في مجلسه : ليس بشيخ من لم يحفظ مريده من وراء حجاب فالشيخ أبو العزائم وهو أحد تلاميذه قال في نفسه كيف يحفظ المريد من وراء حجاب ؟

فاعترض في نفسه على هذا القول وساعة العصر ذهب يتنزه على البحر في الأسكندرية فرأى امرأة جميلة على الشاطىء تدعوه إليها ولم يستطيع المقاومة وفجأة وجد نفسه بين يديها تلعب به كما يلعب الولد بالكره حتى همّ بها وفي تلك اللحظة وجد يداً تنتزعه من بين أحضانها وتلقيه بعيداً فظهر عليه الحياء لعلمه أن الشيخ كشف خبيئة نفسه وامتنع عن زيارة الشيخ حياءاً منه وتظاهر بالمرض وعندما سأل عنه الشيخ قالوا له إنه مريض وفي ليلة قال لهم لابد من احضاره فأحضره وأشار إليهم الشيخ . أن يتركوهما على انفراد وبعد انصرافهم التفت إليه وقال «يابني ليس بشيخ من لم يحفظ مريده من وراء حجاب» فقال تبت ياسيدى وهذا الكلام وإن كان أهل العقول لا يقبلونه لكى أهل الحقيقة يؤيدونه والحديث القدس يقول فيه الله عز وجل: «لا يزال عبدى يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به ويده التى يبطش بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذ بى لأعيذنه» [رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه] وعلى هذا فاليد التى امتدت لم تكن يده العادية ولكنها يد تجمّلت بقدرة الله والعين التى رأت ليست عينه الظاهرة بل عين امتدت بقدرة الله واللسان الذى أوصل الكلام لسارية لسان عمر لكنه استمد قوة نطقه من الله والأذن التى سمعت في سارية ليست أذن سارية العادية وإنما أذن تحلّت

بجمال الله هذه هى الأحوال التى يكون فيها العارفون فى هذا الوقت فالعارف فى هذا الحال يكون مندرجاً فى قول الله : **«أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمش به فى الناس»** [الآية (١٢٢) الأنعام] فإذا كان العارف فى مقام العبودية فإن حاله يقول أنا لا أعرف شيئاً أنا مسكين وفقير ولا حول لى ولا طول لأن هذه أحوال العبودية أما فى الحالة الثانية فيكون العارفون مؤيدون بالربوبية وفى حالة التأييد بالربوبية **«لهم ما يشاءون عند ربهم»** أما فى حالة العبودية **«قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله»** [الآية (١٨٨) الأعراف] فالحالتان يتقلب فيهما العارف فتارة هو فى ثياب العبودية وتارة يجمّل بالأوصاف الإلهية فالذى يراه فى حالة العبودية ويعتقد أنه لا يوجد سوى ذلك أخطأ، لأنه يجرده من فضل الله عز وجل عليه والذى يراه عندما يغشاه جمال الأوصاف العلية ويظن أنه هو الذى تصدر منه هذه الأحوال فقد أخطأ أيضاً لأنه نسب ما لله لسواه أما أهل المقام الأسمى فينظرون بالعينين ويتأدبون بأدب المشهدين فيقولون : عبد جمّله مولاه ووهبه فضله ونواله فالفضل من الله وقد تفضل عليه به الله عز وجل ليكون ذلك بمثابة إعلان لأهل الإيمان أن هذا الرجل من أهل الإحسان فاتبعوه حتى يوصلكم للرحمن عز وجل وهذا هو العبد الذى يأمرنا الله أن نتصل به ليوصلنا إلى الله وفيه يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

هذا هو العبد الذى لو جاءه	قلب سليم لحظة أحياه
لو نَظْرة من وارث يحيا بها	كل امرىء متشوق يرآه

وهذا الإمام يكون صورة مصغرة جداً جداً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهره شرع وباطنه أنوار الحق ولذلك فأقول لاخواننا الذين يتعجلون ويسارعون إلى التمشيخ على اخوانهم قبل أن تكتمل أنوارهم ويتمكنون فى

أحوالهم زن نفسك ياأخى بأحوال الكمّل من الرجال فإذا وجدت نفسك قد فتح الله عز وجل عليك فاصبر حتى يكتمل الفتح وادفن نفسك فى أرض الخمول حتى تشرق عليك أنوار الوصول ولا تخرج بنفسك فانهم إذا أخرجوك تولّوك وأعانوك وإذا خرجت بنفسك تخلوا عنك وتركوك ومثال ذلك الجنيد رضى الله عنه عندما طلب منه إخوانه أن يحدثهم لمارأوا عليه من علامات الفتح فامتنع وقال لهم : حتى يأتى الأذن قال وعزمت فى نفسى ألا أتحدث حتى يأتى الأذن من الرسول صلى الله عليه وسلم فذهبوا إلى شيخه السرى وقالوا له مُر الجنيد يحدثنا بما فتح الله عليه قال : فأمرنى بذلك فقلت فى نفسى حتى يأتى الأذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى تلك الليلة جاءنى رسول الله وقال ياجنيد حدّث اخوانك بما فتح الله عليك فقام من نومه قبل الفجر فى ساعة السحر وذهب ليخبر شيخه فدق الباب وإذا به يقول من وراء الباب : قد علمنا ما علمت ورأينا ما رأيت فذهب الجنيد إلى المسجد فى صلاة الظهر وبعد الصلاة جلس على الكرسى فإذا بالمسجد مكتظ على آخره وقبل أن يبدأ حديثه إذا برجل نصرانى فى زى أعرابى يقف ويقول يا جنيد ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم **«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»** فأطرق الجنيد إلى الأرض هنيهة ثم رفع رأسه ونظر إليه وقال: معناه أنه قد آن الآن ميعاد اسلامك يانصرانى فإنطق بالشهادتين فنطق بهما الرجل بعد أن قال صدقت يا إمام العارفين وقد كان هذا الرجل قد طاف على كثير من الصالحين ينتظر أن يكاشفه رجل منهم بما فى نفسه فيُسْلم فلم يتمّ له ذلك إلا على يد الجنيد رضى الله عنه وصدق الله إذ يقول على لسان حبيبه ومصطفاه **«قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى»** [الآية (١٠٨) يوسف] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفصل السابع

حديث الأحبة

- نور الولاية
- الحب والمتابعة
- أوصاف الصالحين
- التصريف الكامل
- الوراثة الأكملية
- العبودية الكاملة

كان هذا الدرس بديوان أبى العزائم بترعة ناصر مركز اسنا محافظة قنا بعد صلاة الظهر يوم الثلاثاء ٢ من صفر ١٤١٧هـ الموافق ١٨/٦/١٩٩٦م .



أديرو على سمعى حديث الأحبـة   فذكراهم طربى وأنسـى ولذتـى

ولا تذكر الأغيار إن فاح طيبهـم   فنشر شذاهم له حسنى وحلْيتى

نحن يا اخواننا جميعا بارك الله فيكم قد أكرمنا الله جميعاً بحب الصالحين وحب الصالحين هو رأس المال الذى استودعناه فى قلوبنا لنلقى به الواحد المتعال عز وجل فليس معنا عمل نعتمد عليه ولا حسب نتكل عليه ولاشىء نقبل بالله عليه إلا حب الصالحين فهو غاية المنى وهو كل الهنا الذى سيقابلنا به ربنا عز وجل .

نـــور الـولايـــة

وقد أجمع السادة العلماء الأجلاء فى كل زمان ومكان على أن حب الصالحين هو باب اللطف الإلهى وسرّ الكرم الربانى للذين يتمسكون بهديهم ويمشون على منوالهم ولذلك يقول سيدى أبو العباس المرسى رضى الله عنه «إذا أحب الله عبداً دلّه على أوليائه ، ثم ستر عنه شهود بشريتهم وكشف له عن خصوصيتهم وإذا غضب الله على عبد حجبه عن أوليائه وكاشفه ببشريتهم وستر عنه خصوصيتهم» لأن الولاية نور من الله يتنزل فى قلب العبد الذى اختاره الله وحباه وأدناه واصطفاه وصافاه وقرّبه وناجاه وبشهوده عز وجل هنّاه ثم جعله إماماً يهتدى به عباد الله فهى منح الهية ومنن ربانية يتفضل بها الله عز وجل على من يشاء من أهل الخصوصية وخصوصيتهم فى قلوبهم لا تراها العيون ولا تحسّ بها الأبدان ولكن تتعلق بها الأرواح وتشعر بها القلوب التى أكرمها الكريم الفتاح عز وجل ولذا نجد البعض يعترض على المحبين للصالحين وهؤلاء يقول فيهم الإمام البوصيرى رضى الله عنه وأرضاه :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

فالمريض بالحميّ إذا أحضرت له الماء يقول بعد شربه إنه مُرّ والعسل كذلك يقول عنه إنه مُرّه والحلاوة يقول مرة فهذه المراره من أين؟

من عنده هو وليست فى الحلاوة أو فى الماء أو فى العسل فالمعترضين قلوبهم فيها مرض ولذلك لا يحسّون بأحبّاء الله وأصفياء الله وأولياء الله رضوان الله عز وجل عليهم أجمعين فإذا زاد عداؤهم وخاضوا فى أعراضهم فتلك الطامة الكبرى والمصيبة العظمى فقد قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وأرضاه : إذا غضب الله على عبد رزقه الوقيعة فى الصالحين لأن الله يغار لأحبائه فيعلن الحرب عليه لقوله عز وجل فى الحديث القدس : « من عادلى ولياً فقد آذنته بالحرب » [رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه] ولا طاقة لأحد بحرب الله عز وجل.

الحب والمتابعة

فحب الصالحين يا إخوانى هو عمادنا وهو رأس مالنا لكن هل الحب وحده يكفى بدون المتابعة؟

لا ولذا فنقول للذى وضع يده فى يد الصالحين وأخذوا عليه العهد هذا العهد يكون على الإستقامة فى طاعة الله وعلى متابعة سيدنا رسول الله فالذى يقول بعد أن يأخذ العهد أنت تحب وتنام وليس مهما أن تصلى أو تصوم مادمت أحببت الشيخ فلان فقد ضمنت أن تدخل الجنة هذا الكلام لا ينفع يا إخوانى لأنه حتى نبى الله وهو أعظم الكائنات فحبه الذى لا يترجم عنه إتباعه حب لا ينفع ولا يرفع ولا يشفع فقد قال صلى الله عليه وسلم

لخيار أهله « **يا فاطمة بنت محمد يا صفية عمه رسول الله يا فلان يا فلان يا بنى هاشم لا يأتينى الناس يوم القيامة بالأعمال وتأتونى بالأنساب** » فكلمة حب ونام التى يقولها سادتنا الصوفية تعنى عندهم أن الذى يحب الله عز وجل حباً يملك جميع مشاعره ويسيطر على جميع شواغله ويغلق عليه أبواب الحظوظ والشهوات والملذات ، إذا نام لكى يريح الجسم من عناء التعب ومن عناء الوصب فإن قلبه لا ينام وراثة عن المصطفى عليه الصلاة والسلام فقد وصل بهم الحب إلى درجة أن تنام أعينهم وقلوبهم لا تنام لأنها مشغولة بحب الله وبحب حبيب الله صلوات الله وسلامه عليه فحقيقة الحب للصالحين التشبه بأحوالهم والإقتداء بأعمالهم مع إستمطار الرحمات من عند الله بهم وإستنزال البركات من الله بجاههم وإن كان أساس ذلك كله أن يكون نصب أعينهم عند كل نَفَس من أنفاسهم أن يتشَبَّهوا بهم ويتمثلوا بهم.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالرجال فلاح

أوصاف الصالحين

فالصالحون رضى الله عنهم وأرضاهم « **كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون** » [الآية (١٧) الذاريات] وألسنتهم رطبة فى كل حركاتهم وسكناتهم بذكر الله لا يغفلون عنه طرفة عين أو أقل فى أوقات صحوهم وأوقات نومهم فضلاً عن أوقات عبادتهم حاضرين القلب مع الله عز وجل، يمينهم تمتد بالعطاء لأمر الله بالجود تشبهاً بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم فقد قالوا فى شأنه صلى الله عليه وسلم « كان أجود بالخير من الريح المرسلة » وقالوا فى شأنه أيضاً :

يُمناك تهمى بالعطا وتجود   وسما بنسبته إليك الجود

ولذا فلا يجوز لفرد أن يدّعى أنه متشبه بالصالحين أو فى رحاب المتقين وهو شحيح بالخير لأنهم قالوا : أقبح القبيح صوفى شحيح فهؤلاء القوم بعضهم يقول بقى لى أربعين عاماً لو غاب عنّى صلى الله عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفس من المؤمنين. ولهذا فيجب عليّ ألا يغيب عنى على الأقل عند الصلاة لأنى أضع نصب عينى قوله صلى الله عليه وسلم « **صلوا كما رأيتمونى أصلى** ». وكذلك عند أى عمل صالح إستحضر الحضرة المحمدية وقيامها بهذه الأعمال إخلاصاً للذات العلية وأحاول أن أتشبه به صلى الله عليه وسلم على قدر طاقتى ويكون صلى الله عليه وسلم إمامى فى حياتى وقدوتى عند أكلى وأسوتى عند شربى وكذا فى مشيتى وفى بيتى لقول الله عز وجل: « **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** » [الآية (٢١) الأحزاب] هذه يا إخوانى حقيقة الحب للصالحين فالجماعة المحبين يا إخوانى الذين يزورون الصالحين ويحملون إليهم النفحات ويقدمون لهم النذور هم على الخير لكن بشرط أن يكونوا قائمين بفرائض الله ، لكن الذى لا يصلى ويرسل نذراً إلى سيدنا الحسين ويقول طالما أرسلت النذر فأنا سأنجح أو سأنجو وأدخل الجنة نقول إن سيدنا الحسين رضى الله عنه سوف يتبرأ منك غداً يوم القيامة لأن أحباب الحسين هم الذين يسيرون وراءه ويتبعونه فى سيره وسلوكه إلى الله عز وجل وتلك عقيدتنا التى نلقى عليها الله عز وجل وتلك محبتنا التى نقدمها قربى لنا عند الله وتلك حقيقة الإعتقاد الذى نستنزل به عفو الله ونستمطر به فضل الله نسأل الله عز وجل أن يرزقنا فى كل حركاتنا وسكناتنا التشبه بأحوال الصالحين والإقتداء بإمام المتقين وأن يرزقنا حبهم وحب أفعالهم وحب حركاتهم وسكناتهم وحب أسرارهم وعلومهم حتى نكون من الذين يحشرون معهم يوم الدين.

❁التصريـف الكامـل

سؤال: هل هناك من الأولياء من أعطى التصريف فى البرزخ؟

الإجابة : من العارفين الأفراد الكمل وهؤلاء لهم التصريف فى حياتهم الدنيا وهناك الفرد الأكمل الذى له التصريف الأكمل فى حياته الدنيوية وفى البرزخ وهؤلاء أناس معدودون لأن الله عز وجل أعطاهم الوراثة الأكملية فالذين يعطون التصريف فى الدنيا هم أهل الوراثة النبوية الذين على قدم أنبياء الله ورسل الله السابقين أما الذين على قدم سيدنا رسول الله الأعظم صلى الله عليه وسلم فهم أهل الوراثة الأكملية ولهم التصريف الشامل فى الدنيا والبرزخ والآخرة « **لهم ما يشاءون عند ربهم** » [الآية (٣٤) الزمر] وفيهم يقول صلى الله عليه وسلم « **إذا كان يوم القيامة يقول الله عز وجل للعُبّاد إدخلوا الجنة برحمتى ويقول للعلماء العاملين إهبطوا إلى أرض الموقف فكل مَن واساكم من أجلى أو واصلكم من أجلى أو قدّم لكم معروفاً من أجلى فخذوا بيده وأدخلوه الجنة** » هذا غير من يأخذوا كشفا بسبعين رجلاً أو ثمانين رجلاً يشفعون فيهم لكن هؤلاء ليس معهم كشوف بل كل من يريدون أن يدخلوه الجنة يدخلوه فأعلى أصحاب الشفاعة قدراً هم الذين على قدم أويس القرنى رضى الله عنه والذى قال فيه الرسول صلى الله عليه وسلم « **يشفع فى أكثر من ربيعة ومضر** » لكن هؤلاء خصهم الله بالمزيد فليس لهم عدد أو تحديد ولكنهم فى هذه الحالة وصلوا إلى مقام العدول فلن يجاملوا أحداً من الناس حتى ولو كان ابناً أو أبنه أو زوجة فالمجاملة تأتى من الهوى وقد تخلصوا منه فى الدنيا ولا يرجعون له فى الآخرة فليس للرجل منهم

كان هذا السؤال من فضيلة الشيخ عبد اللطيف محمد على بمنزل مولانا الشيخ أحمد حسن غرباوى بعد تناول الغذاء يوم الأربعاء ٣ من صفر ١٤١٧هـ الموافق ١٩/ ٦/ ١٩٩٦م

نسب أو حسب إلا نسب رسول الله الروحانى والنورانى وليس الجسمانى لأنهم لا أنساب لهم يومئذ ولا يتساءلون ولذلك حتى فى الدنيا فهم عدول فلو أن رجلاً والاهم فى الدنيا من أجل اقبال المريدين عليهم وواساهم بالخيرات والنفحات هل معنى هذا أن يخصّوه بشىء من البركات لم يكن له ؟

لا لأن الذى أحضر شيئاً إنما يحضره لله فلا ينتظر العطاء إلا من الله ولا يطلب الفتح أيضاً إلا من الله وهم عبارة عن صراف للقدرة يسلّم كل فرد ما أهّله الحق عز وجل له ويقول له عند تسليم الأمانة له **«وما بكم من نعمة فمن الله»** [الآية (٥٣) النحل] .

الوراثــــة الأكمليــــة

فهؤلاء هم أهل الولاية الأكملية والوراثة الكاملة الذين لبسوا الحلة المحمدية والحلة الأحمدية غير الحلة المحمدية لأن من لبس الحلة المحمدية لابد أن يكون لبس الحلة الأحمدية لأنه يكون ورث الظاهر والباطن ويكون أشبه الناس بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يرث التصريف فى عالم الدنيا والبرزخ والآخرة وعالم الجنة فيتحكمون فى منازل الجنة ويمنحونها للأحباب والمريدين على حسب تقاهم وخشيتهم واقبالهم على الله عز وجل **«كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً»** [الآية (٢٠) الاسراء] لأن الله عز وجل طهر نفوسهم من البواعث النفسانية وطهر سرائرهم من كل الغيرية والاثنينية حتى صاروا بالله لله فبه يتحركون وعنه ينطقون ولا يطلبون لأنفسهم شيئاً صغيراً ولا كبير إلا ما أقامهم فيه الله عز وجل من كرمه وجوده ومن فضله سبحانه وتعالى وقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم **«يحتاج الناس إلى العلماء فى الجنة كما يحتاجون إليهم فى**

الدنيا قيل وكيف ذلك يارسول الله؟ قال عندما يدعوهم الله عز وجل لزيارته يقول لهم تمنوا فيتحيرون فيرجعون إلى العلماء ويسألونهم ما الذى يتمنونه من الله ؟ فيخبرونهم»

إذاً هم محتاجون إليهم فى الجنة مثل احتياجهم إليهم فى الدنيا والآخرة فأعطى الله عز وجل أصحاب الوراثة الأكملية التعريف الكامل فى حياتهم الدنيوية والبرزخية والأخروية والجنانية إكراماً من الله عز وجل لهم لأنهم على قدم حبيب الله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم ونأخذ مثلا بسيط لرجل منهم سيدنا الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه رأى فى منامه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى موضع صلاته من مسجده ملتفتاً إلى أصحابه وبين يديه وعاء فيه تمر يناول كل من يدخل المسجد من أصحابه شيئاً منه قال فلما وصلت عنده أعطانى تمرتين فأكلتهما فوجدت لذلك حلاوة لم أذقها فى حياتى قط فتمنيت أن يزيدنى ولكنى استحييت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستيقظت من النوم وقد بقى على الفجر حوالى الساعة فتوضأت ثم ذهبت إلى المسجد فوجدت فى نفس الموضع عمر رضى الله عنه وارضاه جالساً وبينما هو جالس إذا بأمرأة من الأنصار تدخل المسجد ومعها وعاء فيه تمر وتقول له ياأمير المؤمنين خذ هذا ووزّعه على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذه هى الوراثة الأكملية التى نتكلم فيها» قال فذهبت إليه فأعطانى تمرتين فأكلتهما فوجدت الحلاوة التى ذقتها فى المنام فقلت يا أمير المؤمنين زدنى فقال عجباً لك ياأبا الحسن تستحى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تستحى منى ووالله لوزادك رسول الله صلى الله عليه وسلم لزدتك ما الذى عرف سيدنا عمر أن سيدنا على كان يتمنى المزيد ولكنه استحى ؟ وكيف اطّلع على ما نفسه فى المنام ؟

لأن سيدنا عمر كان وارثاً كاملاً ظاهراً وباطناً لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك لما مات قال سيدنا عبد الله بن مسعود : ذهب تسعة اعشار العلم ، قالوا كيف ذلك واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مايزال أكثرهم حياً ؟

قال أقصد علم الورع وهو العلم الذى كان عند عمر بن الخطاب وبلغ فيه الغاية القصوى لأنه رضى الله عنه لما جاء له مسك وأراد أن يوزعه قالت له زوجته أنا ماهرة فى الميزان واستطيع أن أزن لك قال : لا فقيل له ولم ؟

قال لأنها ستشم عطراً ومِسْكاً أكثر من بقية المسلمين ولا يجوز ذلك لها أى وهى تقوم بوزن المسك سوف تشم وهم لا. وكان يقول فيه صلى الله عليه وسلم **«جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه»** وكان يقول الرأى رضى الله عنه فينزل الوحى بتصديقه وقد حدث هذا أكثر من مرة فلا يقول شيئاً إلا وينزل الوحى بتصديقه ويقول فيه صلى الله عليه وسلم : **«لو سلك عمر طريقاً لسلك الشيطان طريقاً آخر»** والآيات التى أيده الله بها كثيرة ويكفيه منها ياسارية الجبل ويكفيه أيضاً أن الأرض لما اهتزت فى زمانه فى المدينة وتزلزلت أمسك درّته وضربها وقال لها قرىّ واسكنى فإنى أعدل على ظهرك فاستكانت فى الحال فهو يكلم الأرض ويعطيها أو امر فصاحب الوراثة الكاملة هو الذى له الهيمنة على جميع هذه الحقائق فى عصره .

سؤال : هل كان الخلفاء الراشدون هم أصحاب الوراثة الكاملة فى عصورهم أم أن سيدنا على فقط كان صاحب الوراثة الكاملة ؟ ولماذا استسقى سيدنا عمر بالعباس وكان يقدم سيدنا على فى الفتوى إذن ؟

الإجابة : نعم فإن كل واحد لبس الحلة فى عصره أما لماذا جاء سيدنا عمر فى الإستسقاء بسيدنا العباس فقد كان ذلك ليبيّن منزلته رضى الله

عنه وأيضاً كان يقدم سيدنا على فى الفتوى لأنه كان يريد أن يُظْهر منزلته فى الفتوى وأدباً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تخصيص أصحابه حيث قال **«أفتاكم على»** لكن من كرم سيدنا رسول الله أنه ألبس الخلفاء الراشدين حلة الوراثة الظاهرة والباطنة ولذلك قال لسيدنا عثمان : **«ياعثمان سيقمصك الله عز وجل بقميص فإذا أرادوا نزعه عنك فلا تنزعه حتى يكون الله هو الذى ينزعه»** ولذلك فى اللحظة الأخيرة دخل عليه سيدنا أبو هريرة وقال له أصحاب رسول الله ينتظرون بالخارج ويقولون لك نحن طوع أمرك قال لا فإنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الخوخة «الفتحة» وقال لى ياعثمان حصروك ياعثمان عطّشوك إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا ذلك اليوم فقلت يارسول الله بل أفطر عندكم اليوم ولذلك فكل المشاكل التى ابتلى بها المسلمون بعد ذلك كانت نتيجة قتل سيدنا عثمان لأنه كان متقمصا بقميص من الله عز وجل فنزعوه بأهواءهم فالولاية الكاملة والوراثة الكاملة كانت حتى زمان سيدنا على ظاهرة وباطنة فالخليفة الظاهر هو الخليفة الباطن وإنما يبين قدر ما حوله من النجوم ليعرف منزلتهم القوم مثل سيدنا سليمان حينما قال **«أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين»** [الآية (٣٨) النمل] ألا يستطيع أن يأتى به هو ؟

بلى ولكنه يريد أن يبين مكانة الرجل الصالح والناس كانت قد فتنت فى زمانه بالجن فأراد أن يبين لهم أن الرجل الصالح فاق مهرة الجن وعفاريت الجن لكن بعد سيدنا على أصبح للظاهر سلطانه وللباطن قطبه ولذلك كان يدعو بهذا الدعاء «اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة إما ظاهراً مشهوراً أو باطناً مستوراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته لكن فى عصر الخلفاء الراشدين كان الخليفة القائم هو نفسه الظاهر وهو كذلك الباطن ولذلك لما

الراشدين كان الخليفة القائم هو نفسه الظاهر وهو كذلك الباطن ولذلك لما نرى موقف سيدنا أبو بكر فى موضوع الزكاه نعرف أنه الوارث الأكمل لسيدنا رسول الله لأن كل أصحاب رسول الله قالوا له اتركهم إلى أن تستقر الأمور ولكنه رضى الله عنه قال : لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله لحاربتهم عليه حتى قال سيدى محى الدين بن العربى رضى الله عنه وأرضاه : لو ظهرت روح سيدنا أبو بكر لهزمت جيشاً بأكمله ، فالعزيمة والمراس والقوة التى عنده لو ظهرت لهزمت جيشاً كاملاً ومازال يظهر ويوصى اخوانه من الصالحين والأولياء والمتقين هو وسيدنا عمر وسيدنا على وسيدنا عثمان وغيرهم فهذه هى الوراثة الكاملة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أما سيدنا أبو ذر فقد كان وارثاً ولكنه كان وارثاً لسيدنا عيسى لذلك كان لا يريد الدنيا ولا المال ولكنه يريد العبادة فكل واحد من أصحاب رسول الله كان وارثاً لمقام نبى من أنبياء الله ولذلك اجتمعت مقامات الأنبياء فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان كل رجل منهم على قدم نبى من أنبياء الله الصالحين فى حاله وفى اقباله وفى التكليفات التى يلهمه بها الله عز وجل سواء فى نفسه أو لمن حوله كانوا كلهم على هذا المقام .

العبودية الكاملة

فالحمد لله ياإخوانى أن ربنا أكرمنا برجل وارث كامل لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالوراثة الكاملة علامتها العبودية الكاملة لله عز وجل والتى نراها فيه فى التواضع والرحمة والشفقة والعطف والانكسار والتذلّل لله والتبتل لله والابتهال لله فهذه هى صفات العبودية لكن الولى الذى يجاهر الناس أنت عملت كذا وأنت لم تفعل هذا يكون على قدم نبى من أنبياء الله

السابقين على قدر سيدنا موسى أو سيدنا عيسى لكن أهل الوراثة الكاملة على قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كل حركاتهم وفى كل سكناتهم لا يعلم ولا يشعر بهم إلا مَنْ وصل قلبه بقلبهم وجاءته الأنوار منهم له فهذا الذى يقول فيه الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

من كان منهم يرأهم ويودّهم ويفوز منهم بالصفا ويوالى

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



الفهـــرس

دار الإيمان والحياة تقدم

كتــــب للمـــــؤلف

أ – من أعلام الصوفية المعاصرين:

١– الامام أبو العزائم المجدد الصوفي.

٢– الشيخ محمد علي سلامة سيرة وسريرة.

ب – الايمـــــان والحيـــــاة.

٣– زاد الحـــاج والمعتمـــر.

٤– نفحات من نور القرآن (الجزء الاول)

٥– مائدة المسلم بين الدين والعلم. (ترجم إلى الانجليزية والاندونيسية)

٦– طريق الصديقين إلي رضوان رب العالمين (ترجم إلى الأندونيسية)

٧– حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق

٨– مفاتـــح الفـــــرج. (ترجم إلى الأندونيسية)

٩– تربية القرآن لجيل الايمان. (ترجم إلى الانجليزية والأندونيسية)

ج – رسائـــــل الصفـــــاء.

١٠– الصوفية والحياة المعاصرة.

١١– الصفاء والأصفياء

١٢– أبواب القرب ومنازل التقريب

تحـــت الطبـــع للمؤلـــــف

١– أهل العناية في منازل الولاية.

٢– نفحات من نور القرآن (الجزء الثانى)

تطلب مطبوعات الدار
من الأماكن التالية

١- الزقازيق : حى السلام ش عمرو بن العاص - مسجد جمعية الدعوة إلى الله

٢- ديرب نجم : جمعية الدعوة إلى الله - خلف المدرسة الثانوية للبنات.

٣- الجميزة / غربية : دار الصفا.

٤- بنها : جمعية الدعوة إلى الله - المنشية - ٧ ش شريف باشا متفرع من ش وهبة.

٥- محافظة المنيا - مغاغة: جمعية آل العزائم «مسجد آل العزائم»

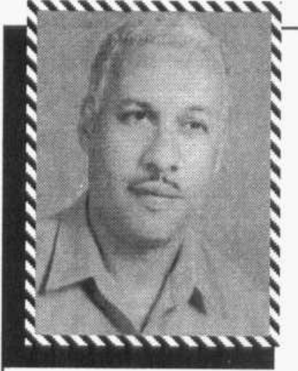
٦- محافظة قنا - العديسات قبلى - نجع علوان : جمعية الدعوة إلى الله.

٧- محافظة الإسماعيلية - سرابيوم - عزبة القراقرة
مهندس / عبد العزيز عبد السلام.

٨- الدراسة : دار جوامع الكلم.

٩- مكتبات القاهرة.

١٠ - دار الشعب : شارع القصر العينى



المؤلــــف فى سطــــور

فوزى محمد أبو زيد

تاريخ ومـحل الميلاد : ١٩٤٨/١٠/١٨ الجـمـيزة مركز السنطة محافظة الغربية.

المؤهـــــــل : ليسانس كلية دار العلوم ١٩٧٠م

العمــــــــل : مدير اعدادى بالتربية والتعليم.

مقــــر الاقامـــة : الجميـــزة - غربيـــة

النشـــاط :

- يعمل رئيساً للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية والمشـهـرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ٧٤ ش ١٠٥ حدائق المعادى بالقاهرة ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية.
- يتجول فى جميع انحاء الجمهورية لنشر الدعوة الاسلامية وإحياء المثل والاخلاق الايمانية بالحكمة والموعظة الحسنة بالاضافة إلى الكتابات الهادفه إلى إعادة المجد الاسلامى.

دعــوته:

- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين والعمل على جمع الصف الاسـلامى واحـيـاء روح الاخـوة الاسـلاميـة والتـخلص من الاحـقـاد والاحساد والأثره والانانية وغيرها من أمراض النفس.
- يحرص على تربية أحبابه على التربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.
- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام.

رقم الإيداع : ١٣٤٠١ / ١٩٩٦
طبـع بـدار نويـــار للطبـاعـة

تصويب

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	٢٣	فتترقى	فيترقى
١٧	١١	فوجد	فوجدا
٢١	٥	شوقا منه	شوقا فيه
٢٦	١	شرب	مشرب
٣١	٨	يتلو	يتلوا
٣١	٢٠	الحق	الخلق
٤٧	١٢	ثورته	تورثه
٥٤	٥	الخلق	الخالق
٥٤	٢٢	وذاد	وزاد
٦٠	١٠	والتخلص	والتخلق
٨٧	٢٢	طبعا	طمعا
٩٣	٦	والرحة	والراحة
١٠٨	١٣	الدعاء	الدعاه
١١٧	١٤	تدعوا	تدعو
١١٨	١٤	يد	يدل
١١٨	٢١	بكاشفه	يكاشفه
١٢٠	١١	جاء	جار
١٣١	٤	ذاهدين	زاهدين
١٣٦	١٣	ولا مرأته	ولا إمرأته
١٤٩	٢	لها	لما
١٥٠	٢	إخأ	إخسأ
١٦٦	١٠	اغضب	غضب
١٦٨	٩	ليقودهم	ليقودوهم
١٧١	٢٣	مشهور	مشهود
١٧٣	٩	فاسئل	فسئل
١٧٦	١٦	فاسأل	فسئل
١٧٦	٢١	راءها	رآها
١٧٧	١٥	لكى	لكن
١٧٧	١٥	القدس	القدسى
١٨٥	١٠	عمه	عمة
١٨٦	٤	نفس	نفسى
١٨٩	٦	التعريف	التصريف

